الاستراتيجية الشاملة لمناصرة الرسول ﷺ

دُروس وعِبَر من الحُروب الصَّليبيَّة



د. علي محمد محمد الصَّلابي

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

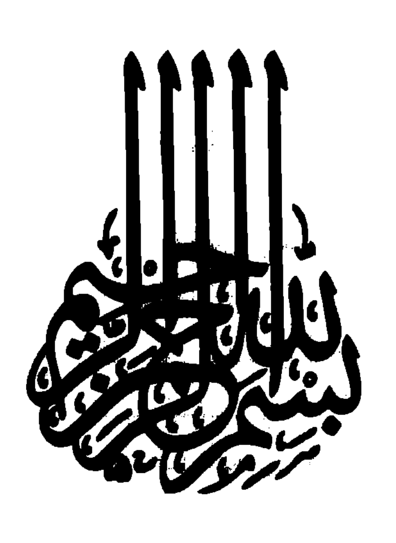

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

الإستراتيجية الشاملة
لمناصرة الرسول ﷺ

دروس وعبر من الحروب الصليبية

د. علي محمد محمد الصلابي




بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى محبّي رسول اللّه ﷺ في المشارق و ‍غارب.

إلى المجاهدين في سبيل اللّه بالأقوال لأفعال إلى كل مسلم حريص على إعزاز دين لّه تعالى أهدي هذا الكتاب سائلاً المولى عز جل بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

[الكهف: ١١١]

علي محمد محمد الصَّلاَّبي.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد للّه، نحمده، ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده اللّه فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

يارب لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى، هذا الكتاب «استراتيجية شاملة لمناصرة النبيﷺ دروس مستقادة من الحروب الصليبية» جزء من كتاب موسوعة الحروب الصليبية المسمّى «الحملات الصليبية، الرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، الأيوبيون بعد صلاح الدين» رأيت نشره على انفراد لتعمّ الفائدة حيث إنه يبين لنا دور الأمة في فهمها لمناصرة النبي ﷺ وأسلوب علماء وفقهاء الإسلام للمناصرة في عهد الحروب الصليبية حيث كانت رؤيتهم، شاملة تناولت مفردات الصراع والتصدي للمشروع الصليبي الغازي، فكرياً وسياسياً، وعسكرياً، وإعلامياً، واقتصادياً، وثقافياً... إلخ.

كانت موسوعتي عن الحروب الصليبية قد تحدثت عن جهاد المسلمين عسكرياً وسياسياً في عهد السلاجقة والزنكيين والأيوبيين، وجهود العلماء في تحريض الأمة وتعليمها وتربيتها على وجوب الجهاد والحرص على الشهادة في سبيل اللّه ولم يقتصر دور الأمة في المقاومة على القادة العسكريين والسياسيين فقط، بل العلماء والفقهاء والخطباء والشعراء والأدباء والتجار وعامّة المسلمين إلا أنني في الكتاب الرابع اكتشفت شيئاً جديداً، يضاف إلى الحروب والقتال

والجهاد، ألا وهو الحوار، والمناظرات، والجدال مع الغزاة في عقائدهم، وكتبهم المقدسة، وأصول ديانتهم، فكان مبحثاً مستقلاً في الكتاب الرابع من الحروب الصليبية، تحدثت فيه عن الجدل الثقافي بين المسلمين والنصارى في عهد الحروب الصليبية، فتكلمت عن أهم موضوعات دعوة المسلمين للنصارى، كالدعوة إلى التوحيد، واعتناق الإسلام، والإيمان بالقرآن الكريم، ومناقشة عقائدهم، كنقض الأمانة، واختلاف الأناجيل، ومناقشة قولهم في المسيح عليه السلام، وإبطال التثليث، ونفي الألوهية عن المسيح، ونفي بنوة المسيح للَّه سبحانه وتعالى، وإبطال الصلب ومناقشة شعائرهم وطقوسهم، كالتعميد والاعتراف وصكوك الغفران وأعيادهم، وصلاة النصارى وصيامهم وتشريع النصارى في الزواج ومناقشتهم في تركهم الختان، وتعظيمهم للصور والتماثيل، وحقيقة خوارق العادات لديهم وأهم الشبه التي أثاروها كدعوى أن القرآن ورد بتعظيم النصارى والثناء عليهم، وشبهاتهم في تعدد الزوجات في الإسلام ودعوى انتشار الإسلام بالسيف ودعوى عدم جزم المسلمين بصحة القرآن لاختلاف الصحابة في جمعه وتعدد قراءاته وانتقادهم للطلاق في الإسلام، ودعوى أن المسلمين وثنيون كفار، وقد ذكرت جهود القائمين على دعوة النصارى في عصر الحروب الصليبية من القادة والولاة، وجهود صلاح الدين ونور الدين والملك العادل، ويوسف بن تاشفين في دعوى النصارى، ودور العلماء، مثل صالح بن الحسين بن طلحة الجعفري وأحمد بن إدريس القرافي، ومحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي في قيادة المعركة العقائدية الفكرية الثقافية ضد الصليبيين، ووضحت وسائل الدعوة الإسلامية، من الكتب كالإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي، والأجوبة الفاخرة للقرافي، وطريق الجهاد، كالمشروع المقاوم الذي قاده نور الدين محمود الشهيد وصلاح الدين الأيوبي والملك العادل، والمرابطون والموحدون في الأندلس، ووسيلة الرسل، والمسجد والرسائل.

هذا وقد شرحت أساليب المسلمين في دعوة النصارى، كالأساليب العقلية، من السبر والتقسيم، وقياس الأولى، والقياس المساوي، والمحاكمات العقلية وأسلوب القلب وتناقض الخصوم وأسلوب المقاربة والاستدلال بمسلمات الخصم والأساليب العاطفية، كأسلوب الترهيب وأسلوب الاستهزاء والتهكم وأسلوب اللين والتلطف بالخطاب، وأسلوب القسم، والأساليب الفنية كأسلوب ضرب

الأمثال، وأسلوب القصة وأسلوب التكرار، وأسلوب الاستفهام، وأسلوب التعجب، وأسلوب استخدام الشعر في تأدية بعض المعاني وبينت آثار دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية، كدخول أعداد كبيرة من النصارى في الإسلام وتأثر النصارى بعادات المسلمين، وأخلاقهم وتقاليدهم، وتحسن نظرة كثير من النصارى، وحسن معاملة النصارى لمن تحت أيديهم من المسلمين وظهور عزة الإسلام وتغير التكتيك الصليبي، وإعجاب بعض القادة الأوروبيين بالحضارة الإسلامية، واهتمام كثير من علماء الغرب بثقافة الشرق وتأثر النصارى باللغة العربية، وفقدان الثقة بالبابا ورجال الدين، ولخصت أهم الدروس والعبر والفوائد من دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية والتي من أهمها:

١ ـ وجوب الحذر من خصوم الإسلام في كل زمان ومكان وإن تغيرت الوسائل وتنوعت الأساليب.

٢ ـ وجوب الدعوة إلى اللّه على بصيرة، ولا يكون ذلك إلا بوجود العلماء الربانيين.

٣ ـ أهمية التدرج في الدعوة وعدم استعجال النتائج خاصة في المجال الدعوي.

٤ ـ إن المقاومة الهادئة للغزاة على منهج سليم أساس النجاح والانتصار على الأعداء وتحصين الصف الداخلي.

٥ ـ للأقليات الإسلامية في ديار الغرب رسالة هامة، ولذلك علينا الاتصال بها وتقوية العلاقة بيننا وبينها لتحقيق المقاصد المرجوة على المدى البعيد.

٦ ـ إن ثبات المسلمين في ديارهم لمقاومة الغزاة من أهم أسباب بقاء الإسلام فيها، ومن ثم دحر العدو وهزيمته.

٧ ـ كان لحركة التأليف التي قام بها علماء المسلمين أثر كبير في تقرير عقيدة الإسلام وبيان السنة وإبراز محاسن الدين وإبطال شبهات الأعداء حوله بمختلف اللغات.

٨ ـ ظهر مبدأ التخصص في دعوة النصارى والتصدي لشبهاتهم وكان من أبرز العلماء القرافي والقرطبي.

٩ ـ إن الالتزام بالإسلام وأحكامه له تأثير في نشر الإسلام وقبوله عند الآخرين.

١٠ ـ خطورة الاختلاف والتناحر على الأمة وأثر الوحدة في عزتها وقوتها وهزيمة أعدائها.

١١ ـ عدم القنوط واليأس مهما كبرت الرزايا وكثرت الفتن.

وأحب أن أبين للقارئ الكريم في الوقت الذي كانت تجري فيه رحى المعارك الحربية بين المسلمين والصليبيين وكان هناك معارك أخرى بين الطرفين في صورة السجال الديني والجدل الثقافي، والردود المتبادلة، ومحاولة كل طرف إثبات أفضلية معتقده الديني وقد برز في هذا الجدال والسجال أعلام وقادة من أشهرهم القرطبي والخزرجي والقرافي وغيرهم فدافعوا عن عقيدة الأمة وثقافتها وتاريخها، وخلد الله ذكر مساعيهم وأعمالهم الحضارية الرائعة التي لا تزال آثارها إلى يومنا هذا، ونصر الله بهم الإسلام في المجال الفكري والدعوي والعقدي والثقافي، وتحقق بهم قول الله تعالى: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة، ٣٢].

وقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٩].

إننا في أشد الحاجة لمناصرة رسول الله ﷺ مناصرة شاملة تليق بمقامه عند الله عز وجل وفق رؤية استراتيجية متكاملة، وعلينا أن نخرج من موقع المدافع إلى الهجوم، حيث إنه خير وسيلة للدفاع، فلنحرص على هداية القوم ودعوتهم إلى الدين الصحيح والعقيدة السليمة وإلا فالحد الأدنى فلنشغلهم بأنفسهم.

إن لدينا رصيداً زاخراً وتراثاً عظيماً، مما خطه أئمة الهدى بمداد النور على صفحات الزمن يرشدنا إلى الطريق القويم والمنهج السليم لنصرة محمد ﷺ.

يقول الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ في كتابه قذائف الحق: إن القوم لو شغلوا بترهات دينهم ومضحكات عقيدتهم لأجهدناهم أي جهد، وشغلناهم كل مشغل[١]. وهذا الكلام صحيح، ولكننا نذهب إلى دعوتهم والحرص على سلامتهم والأخذ بأيدي الباحثين عن الحقيقة منهم إلى بر السلام ونعتمد في ذلك مبدأ الهجوم بالحجج والبراهين والأدلة على العقول، مع صدق وإخلاص في

(١) التنصير، أكرم كساب ص ٣٨١.

دعوتهم بغزو القلوب يقول أبو الحسن الندوي في تقديمه لكتاب رحمت اللّه الكيرانوي «إظهار الحق» مادحاً أسلوبه وخطته الهجومية؛ وهكذا ظهر هذا الكتاب إلى حيز الوجود ويمتاز بعدة ميزات منها: أن المؤلف آثر خطة الهجوم على خطة الدفاع، التي لا تزال أقوى وأكثر تأثيراً في النفس، فإنها تلجىء الخصم إلى أن يتخذ موقف الدفاع وأن يقف في قفص الاتهام، ويدافع عن نفسه وينفي التهمة، لذلك لما طبع كتاب العلامة رحمت اللّه الكيرانوي أثار ضجة كبرى في الأوساط النصرانية والأوروبية ناهيك عما كتبته صحف انجلترا تعليقاً على هذا الكتاب: لو دام الناس يقرأون هذا الكتاب لوقف تقدم المسيحية في العالم[١] وقد اشترى القساوسة كميات كبيرة من طبعات الكتاب، وأتلفوها، إحراقاً وإبادة، ليتغيب الكتاب عن السوق[٢].

إننا اليوم في حاجة ماسَّة لإعادة النظر في التعامل مع المشاريع الغازية، سواء صليبية، أو غيرها ولا بد من المواجهة الشاملة وترتيب الأولويات في ذلك، فالمشروع الصليبي الفكري والسياسي والاقتصادي والعسكري والثقافي والإعلامي.. إلخ بداية هزيمته تحقيق انتصارات ساحقة في المجال الفكري والعقدي والحضاري وهذه تسبق الانتصارات العسكرية والسياسية، وقد فصلت ذلك في موسوعة الحروب الصليبية.

إنني أدعو المسلمين للحفاظ على صورة الإسلام المشرقة عند عامة النصارى ودعوتهم إليه بالأساليب الحديثة، عبر الفضائيات، بالمناظرات، والدروس والخطب والمحاضرات واستخدام كل وسائل الإعلام الحديثة والممكنة، فعندنا ما نقدم لهم ولغيرهم من الأمم من عقيدة صحيحة وتصور عن الكون والحياة والإنسان والموت والجنة والنار والقضاء والقدر ومناحي الحياة من خلال الوحي المنزل على محمد حبيبنا ﷺ.

إنني أدعو للاهتمام بإنشاء مراكز ومدارس مختصة لدعوة النصارى والتصدي لهم في إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية والأماكن التي بها الدول الفقيرة وغيرها، وتحصين المسلمين بالعقيدة الصحيحة، والدين القويم، والقدرة على مناقشة عقائد النصارى، فهذا من مناصرة النبي ﷺ، كما أن دعم حركات

---

(١) إظهار الحق (١/١٦/١٧).

(٢) التنصير ص ٣٨٢.

المقاومة في العراق وفلسطين وغيرها من فقه المناصرة لرسول الله ﷺ، وتعليم الأمة لدينها وتحصين شبابها وفتياتها بالمعرفة الصحيحة والثقافة السليمة من مناصرة الرسول ﷺ.

فهذه الأفكار قابلة للنقاش والإنضاج والزيادة والنقصان حتى تتبلور وفق رؤية لمشروع المناصرة للرسول ﷺ.

هذا وقد انتهيت من مقدمة هذا الكتاب يوم السبت الساعة الحادية عشرة وخمس وعشرون دقيقة صباحاً من تاريخ ١٢/٠٥/١٤٢٩هـ ـ ١٧/٠٥/٢٠٠٨م بالدوحة والفضل للّه من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ولعباده نافعاً ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يصله هذا الكتاب ألّا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه. ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ١٩].

وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢].

سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

الأخوة الكرام: يسرني أن تصل ملاحظاتكم وانطباعاتكم حول هذا الكتاب وغيره من كتبي من خلال دور النشر وأطلب من إخواني الدعاء في ظهر الغيب بالإخلاص للّه رب العالمين، والصواب للوصول للحقائق ومواصلة المسيرة في خدمة تاريخ الأمة والمساهمة في النهوض بها.

Mail: abumohamed2@maktoob.com

الجدل الثقافي بين المسلمين والنصارى في عهد الحروب الصليبية

إن من خصائص الدعوة الإسلامية عالميتها، وقد وردت آيات كثيرة تدل على ذلك منها:

- **بعض الآيات التي ورد فيها لفظ «العالمين»**

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] أي: وما أرسلناك يا محمد بالشرائع والأحكام إلا رحمة لجميع الناس[1].

وقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]: أي ليكون محمد لجميع الجن والإنس[2].

- وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].
- وقال: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٦ ـ ٢٧] إلى غير ذلك من الآيات. ووجه الاستدلال لهذه الآيات ظاهر من جهة كون الإنس والجن هم المكلفون من العالمين، فالدعوة، إذن متوجهة إليهما[3].
- **بعض الآيات التي ورد فيها لفظ «الناس»**: قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] أي قل يا محمد للناس كلهم «إني رسول اللّه إليكم جميعاً» لا إلى بعضكم دون بعض كما كان من قبلي من الرسل[4]. وقال أبو السعود: لما حكي ما في الكتابين من نعوت رسول اللّه ﷺ وشرف من يتبعه من أهلها ونيلهم لسعادة الدارين، أمر عليه الصلاة

(١) فتح القدير، محمد علي الشوكاني (٣/ ٦١٦).

(٢) جامع البيان للطبري نقلاً عن دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٨٤٩).

(٣) دعوة المسلمين في عصر الحروب الصليبية (١/ ٥٠).

(٤) إرشاد العقل السليم (٢/ ٢٨٠).

والسلام ببيان أن تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائناً من كان ببيان عموم رسالته للثقلين[١] والآيات أيضاً، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٤] وقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ١٠٨] وقوله ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢] إلى غير ذلك ووجه الاستدلال بهذه الآيات هو توجيه الخطاب في عموم الناس[٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨] وغير ذلك من الآيات التي تدل على عموم الرسالة الإسلامية.

- **الأحاديث التي تدل على عالمية [الدعوة] الإسلامية**: ورد الكثير من الأحاديث التي تدل على عالمية الدعوة الإسلامية منها حديث جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة»[٣]، وحديث أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ [قال]: «وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيّون[٤]»، وأيضاً حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[٥]، ودلت السُّنة كذلك على شمول دعوته ﷺ للجن، فمن ذلك ما ورد في الحديث عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما قال: خرج رسول اللّه ﷺ على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»[٦]. فهذا الحديث يدل على مخاطبة رسول اللّه ﷺ الجن، وقراءته القرآن عليهم، وإنصاتهم

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٨٥١) جل هذا المبحث مختصر من هذا الكتاب.

(٣) البخاري رقم ٣٣٥.

(٤) مسلم رقم ٥٢٣.

(٥) مسلم رقم ٥٢٣.

(٦) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٣٤٢).

له، وإيمانهم بنعم اللّه سبحانه وتعالى عليهم والتي من أعظمها الإسلام[١]. وفعله ﷺ كذلك يدل على عالمية الدعوة، فبعد دعوته عليه الصلاة والسلام لقومه، وعشيرته الأقربين أخذ يعرض نفسه على القبائل في أسواق العرب وفي المواسم، فعن رجل من بني مالك بن كنانة قال: رأيت رسول اللّه ﷺ في سوق ذي المجاز يتخللها يقول: «أيها الناس قولوا: لا إله إلا اللّه تفلحوا»[٢]، ثم إرساله الكتب والرسائل إلى الملوك والأمراء، فعن أنس بن مالك رضي اللّه عنه: أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى اللّه تعالى[٣].

- **فعل الصحابة رضي اللّه عنهم بعده ﷺ**: فبعد وفاته ﷺ واستلام أبي بكر رضي اللّه عنه الخلافة وبعد قضائه على فتنة الردة في السنة الحادية عشرة من الهجرة بدأ بالفتوحات الإسلامية نشراً للدعوة، حيث أرسل الجيوش إلى العراق ضد الدول الفارسية وإلى الشام ضد الروم، ثم متابعة ذلك من قبل عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ومن بعده عثمان بن عفان رضي اللّه عنه، حيث امتدت الدولة الإسلامية من حدود الصين إلى طرابلس الغرب شرقاً وغرباً، ومن أرمينية إلى اليمن شمالاً وجنوباً ولما ارتضى سبحانه وتعالى دين الإسلام للثقلين الإنس والجن، وكانت الدعوة الإسلامية متوجهة كما سبق إيضاحه، لذلك ميّز جلّ وعلا هذا الدين لكي يصلح لهذه العالمية بمميزات أهمها:

١ - سلامته من التحريف بحفظ الكتاب والسُّنة: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

٢ - شموله الموضوعي والزماني والمكاني: والمقصود بالشمول الموضوعي أي وفاؤه بجميع حاجات الإنسان الاعتقادية والعملية قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٥٤).

(٢) مسند أحمد رقم ١٦٠٢٣ صحيح لغيره.

(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصَّليبية (١/ ٥٤).

٣ ـ الوسطية: قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

٤ ـ أنه دين الفطرة: فكل إنسان يولد مستعدًا لقبول الإسلام مهيئاً له قال ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

٥ ـ الكمال، وكذلك الوضوح[١].

أولاً

أهمية دعوة النصارى إلى الإسلام

يمكن أن نبرز أهمية دعوة النصارى خاصة من خلال النقاط الآتية:

١ ـ توجيه الخطاب في القرآن في كثير من الآيات لأهل الكتاب وتخصيصهم في ذلك آمراً لهم بالتوحيد أو الإيمان بمحمد ﷺ، أو بياناً لتحريفهم الكلام عن مواضعه أو رداً على شبههم أو غير ذلك. ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٦٤] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [آل عمران: ٧١] إلى غير ذلك من الآيات ولا شك أن النصارى من أهل الكتاب.

٢ ـ حث القرآن على مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] ـ بالجميل من القول وهو الدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه[٢]، وذلك تقديراً لما عندهم من بقية أثر الرسل[٣].

٣ ـ تخصيص القرآن للنصارى وتوجيه الخطاب لهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة: ٤٧]، قيل: هذا أمر للنصارى الآن بالإيمان بمحمد ﷺ[٤].

٤ ـ تخصيص النبي ﷺ أهل الكتاب في كثير من الأحاديث دعوة لهم، ومن ذلك

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٥٦ إلى ٦١).
(٢) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٦٤).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٦٤).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٣٦).

قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[١]، وقوله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ»[٢].

٥ ـ تميز النبي ﷺ لأسلوب دعوة أهل الكتاب بمراعاة التدرج حسب الأهمية وذلك في وصيته لمعاذ بن جبل حينما أرسله إلى اليمن حيث قال له ﷺ: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا اللّه»... إلى أن قال: «فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين اللّه حجاب»[٣].

٦ ـ تخصيص النبي ﷺ للنصارى في الدعوة كما في قصة وفد نصارى نجران[٤].

٧ ـ عناية الإسلام بمعاملة أهل الذمة سواء يهوداً أو نصارى، فقد بيَّن رسول اللّه ﷺ حرمة ذمة المعاهد، ووجوب الوفاء له قال ﷺ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً»[٥] وحرم الإسلام ظلم المعاهد أو تكليفه فوق طاقته أو أخذ شيء من ماله بغير طيب نفس، لقوله ﷺ: «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»[٦]، وأباح الزواج منهم وأحل اللّه طعامهم.

٨ ـ إن دين النصارى دين عالمي، بمعنى أنه يعده أتباعه ديناً للبشرية جميعاً، ولذلك ينشطون في الدعوة إليه، بعكس كثير من الديانات والمذاهب الأخرى التي يراها أتباعها ديناً لهم وحدهم، ولذلك لا يسعون لنشرها، كاليهودية والهندوسية وعلى ذلك ففي دعوة النصارى واهتداء البعض منهم حد لانتشار

---

(١) مسلم رقم ١٥٣.
(٢) البخاري رقم ٩٧.
(٣) البخاري رقم ١٤٩٦.
(٤) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٦٥).
(٥) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٦٦).
(٦) صحيح سنن أبي داود (٢/ ٢٦١).

النصرانية في مجتمعات غير نصرانية، ومن ثم إتاحة الفرصة لنشر الإسلام في مثل هذه المجتمعات.

٩ - كون النصارى ذوي قوة وكثرة وانتشار في الوقت الحاضر وكثير من المجتمعات غير النصرانية تسعى لتقليدهم ومتابعتهم منخدعة بما بلغوه من حضارة مادية وقوة عسكرية وبهداية هؤلاء النصارى أو البعض منهم وهم بهذا النفوذ بالنسبة للعالم سوف يكون في ذلك صلاح أقوام كثيرين كانوا يرونهم المثال لهم.

١٠ - إن أكثر الشبه تثار حول الإسلام خصوصاً في الوقت الحاضر إنما هي من قبلهم وباهتداء البعض منهم فيه رد على مثل هذه الشبه.

١١ - إن اهتداء بعض النصارى يساعد كثيراً في فضح باطل إخوانهم السابقين في الديانة، لخبرتهم فيها، وما في ذلك من مساعدة للدعاة ودعماً لجهودهم.

١٢ - إن حروب المسلمين في أغلب فترات التاريخ الإسلامي كانت مع النصارى، كحروب المسلمين في الأندلس، وصقلية، والحروب الصليبية في الشام ومصر، بل لا تزال هذه الحروب مستمرة في بعض الجهات من العالم، وباهتداء بعض النصارى يساعد ذلك في كشف عدوان إخوانهم السابقين في الديانة وربما يساعد في إزالة ذلك العدوان[١].

١٣ - وبالإضافة إلى ما سبق، فإن النصارى أهل ملة سماوية قبل أن يطرأ عليه النسخ والتحريف وهي آخر الملل قبل رسالة الإسلام وفي كتبهم من البشارات بنبوّة محمد ﷺ، فإذا تصدى المختصون لإبراز هذه البشارات وشرحها فربما يكون ذلك سبباً في إسلام الكثيرين منهم، بل ويكون هؤلاء أيضاً عوناً في دعوة بني ملتهم السابقة[٢].

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٦٧).
(٢) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٦٨).

ثانياً

أهم موضوعات دعوة المسلمين للنصارى

اتجهت جهود المسلمين في دعوتهم للنصارى في هذه الفترة إلى معالجة الموضوعات الأساسية في الدين الإسلامي، وذلك بالدعوة إلى أصول الدين وأسسه التي لا يتم إسلامهم إلا بها، كالتوحيد، والتصديق بالقرآن، وقبول الإسلام بعمومه، والإيمان بنبوّة محمد ﷺ والإقرار بنبوّة عيسى عليه السلام ونفي ألوهيته وإليك شيء من التفصيل:

١ ـ الدعوة إلى التوحيد:

كان أمر التوحيد أهم أمور العقيدة الإسلامية التي دعا المسلمون النصارى إليها في فترة الحروب الصليبية وذلك من خلال الدعوة المباشرة بالحث على توحيد اللّه سبحانه وتعالى ونفي الشريك عنه، أو من خلال إبطال عقيدة التثليث، أو من خلال نفي الألوهية عن المسيح عليه السلام[١]، وقد جعل العلماء دعوة النصارى إلى التوحيد هي أولى ما تصرف فيه الهمم، حيث بيَّن ذلك القرآن فيه وأكد على أهمية إقامة الأدلة على وحدانية اللّه سبحانه وتعالى، ولهذه الغاية ألَّف كتاباً خاصًّا بذلك سماه: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية[٢]. وكثيراً ما تتكرر الدعوة إلى التوحيد في ثنايا مناقشات العلماء المسلمين للنصارى وردودهم عليهم، فمن ذلك مثلاً دعوة القرطبي لصاحب كتاب تثليث الوحدانية إلى نبذ الشرك وتوحيد الباري سبحانه وتعالى، وبيان براءة عيسى عليه السلام من تثليث النصارى وأنه ما بلغهم إلا أن اللّه واحد فرد صمد لا شريك له سبحانه وتعالى[٣]. وفي هذا السياق وبعد أن عرض الجعفري شيئاً من الأدلة على توحيد اللّه سبحانه وتعالى من التوراة والإنجيل وجه كلامه إلى النصارى قائلاً: . . فمن أشرك مع اللّه غيره فقد كفر بالتوراة والإنجيل[٤]، وكانت دعوة النصارى إلى التوحيد بالإضافة إلى الطريقة المباشرة من خلال دعوتهم الصريحة إلى توحيد اللّه

---

(١) المصدر نفسه (١/ ١٧٤).

(٢) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ص ٢٠ ، ٢١.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٧٦.

(٤) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الصليبية ١/ ١٧٦(.)

سبحانه وتعالى ونفي الشريك عنه كانت أيضاً من خلال إبطال عقائدهم الشركية المنافية للتوحيد وذلك بإبطال عقيدة التثليث لديهم وهدمها وإبراز تناقضها، وكذلك من خلال نفي الألوهية عن المسيح عليه السلام وإقامة الأدلة المختلفة على ذلك[١].

٢ ـ الدعوة إلى اعتناق الإسلام بشكل مجمل:

كان من موضوعات دعوة المسلمين للنصارى في هذه الفترة دعوتهم إلى اعتناق [الإسلام]، أو من خلال ذكر الأدلة على صحته وبيان محاسنه، أو من خلال رد الشبه عن تشريعاته.

أ ـ الدعوة المباشرة إلى اعتناق الإسلام:

ومن الأمثلة على ذلك دعوة صلاح الدين لأرناط الصليبي الذي نقض الصلح مع المسلمين، فغدر بقافلة مسلمة قادمة من مصر إلى الشام، فلما ناشده أصحابها اللّه وذكروه بالصلح الذي بينه وبين المسلمين رد بكلام يتضمن الاستخفاف برسول اللّه ﷺ، لذلك لما علم صلاح الدين أقسم إن ظفر به ليقتلنه لاستخفافه برسول اللّه ﷺ، فلما جيء بهذا الصليبي مع الأسرى بعد معركة حطين في منتصف شوال سنة ٥٨٣هـ ذكره صلاح الدين بما صدر منه ثم عرض عليه الإسلام فأبى فقتله[٢]، والشاهد من ذلك هو عرض الإسلام على هذا القائد الصليبي ودعوته إلى اعتناقه ومثل ذلك عرض الإسلام على صاحب صيدا وقد شهد ذلك ابن شداد حيث قال: . . . ولقد رأيته وقد دخل عليه صاحب صيدا بالناصرة، فاحترمه وأكرمه، وأكل معه الطعام، ومع ذلك عرض عليه الإسلام فذكر له طرفاً من محاسنه، وحثه عليه[٣]. ومن نماذج عرض الإسلام على النصارى في هذه الفترة ودعوتهم إلى اعتناقه استغلال صلاح الدين للقاءاته بوفود الفرنج لإيضاح محاسن الإسلام ثم دعوتهم إليه[٤]، وقد بين الجعفري أن من أسباب تأليفه كتاب ـ تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ـ هو دعوة النصارى إلى الإسلام، حيث قال: فعسى اللّه أن يقدر هداية بعضهم، ونحن مأمورون بدعائهم

---

(١) دعوة المسلمين للنّصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ١٧٦).

(٢) المصدر نفسه (١/ ١٧٨) النوادر السلطانية ص(١٣٠ ـ ١٣١).

(٣) المصدر نفسه ص ٦٦.

(٤) دعوة المسلمين للنّصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ١٧٩).

إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة[١]، وتكرر في ثنايا مناقشة القرطبي لكتاب أحد القساوسة النصارى دعوته لهذا القسيس إلى اعتناق الإسلام، ومن ذلك قوله: . . فاللّه اللّه، أدرك بقية نفسك قبل حلول رمسك، واستعمل عقلك، ولا تعول على تقليد فاسد، واتبع الدين القويم، دين الأب إبراهيم ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٢] [آل عمران: ٦٧] وفي موضع آخر من مناقشته لهذا القسيس في كتابه: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام بيَّن له أنه لولا رجاء استنقاذه من الضلال إلى الهدى لما ناقشه، ولما أعطى الحكمة إلى غير أهلها، حيث يقول: . . . فلعل مقلب القلوب يستنقذك من عبادة إله مصلوب، ويبدلك بها إخلاص العبادة لعلام الغيوب، ولولا رجاء ذلك لما كان ينبغي لي أن أعطي الحكمة غير أهلها[٣].

ب ـ الدعوة إلى الإسلام من خلال بيان محاسنه:

اهتم العلماء المسلمون في عصر الحروب الصليبية ببيان محاسن الإسلام وسماحته لعل ذلك يكون للهداية واعتناق الإسلام ومن هؤلاء: القرطبي الذي عقد فصلاً في كتابه ـ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ـ مبيناً فيه محاسن الإسلام ومبرزاً الهدف من ذلك بقوله: الغرض من هذا الفن أن نبين فيه عقيدة الإسلام، وجملاً من أصوله وأحكامه، ومواضع من فروع دينه أنكرتها النصارى عليه، وإنما فعلنا ذلك لغرضين[٤]، ثم وضح أن أحد الغرضين هو: . . إنه لا يبعد أن يقف على هذا الكتاب نصراني أو يهودي لم يسمع قط من ديننا تفصيلاً ولا تصريحاً، بل إنما سمع له سبًّا وتقبيحاً، فأردت أن أسرده على الجملة، ليتبين حسنه لمن كان ذكي العقل، صحيح الفطرة، فلعل ذلك يكون سبب هداه، وجلاء عماه[٥] وبعد ذلك عرض القرطبي شيئاً من محاسن الإسلام من خلال ثلاثة جوانب هي:

ـ **مراعاته لمصالح العباد في الآخرة**: حيث جاءت تشريعاته بإيضاح كل ما يتعلق

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل صالح بن الحسين (١/ ١٠٣).
(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٠١.
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٦.
(٤) دعوة المسلمين النصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ١٨٠).
(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٣٨.

بها مما يحتاج إليه العباد غاية الوضوح، وتعبدنا اللّه سبحانه وتعالى بعبادة محصنة، كالصلاة والحج وغير ذلك تعظيماً له سبحانه وتعالى، وخضوعاً له بالظاهر والباطن[١].

ـ **مراعاته لمصالح العباد الدنيوية**: جاءت تشريعاته في هذا الجانب حماية للدين، والنفس والمال، والنسب، والعرض والعقل، ولأجل ذلك شرع العقوبات، وحرم كل ما يؤثر على هذه الضرورات كالغيبة، والقذف، وقول الزور، والغش والسرقة، وأكل أموال الناس بالباطل، وحرَّم الخمر لأنها تذهب العقل الذي هو مناط التكليف وغير ذلك من أنواع الفساد[٢].

ـ **إتمامه لمكارم الأخلاق**: يقول القرطبي: . . وأما مكارم الأخلاق التي تضمنها شرعنا فلا تخفى على متأمل، وذلك أن شرعنا أمرنا بها ظاهراً وباطناً، ونهانا عن رذائلها وسفاسفها[٣]، ثم وضح القرطبي أمثلة على مكارم الأخلاق في الإسلام، هذه المكارم التي تسعى للتحلي بها كل نفس ظاهرة للخير، مبغضة للشر، فمن المكارم الظاهرة عدَّد القرطبي النظافة والطهارة والتطيب وتحسين الهيئة وقص الشارب، وإعفاء اللحية، وغير ذلك، وبين أن من النظافة الباطنية التخلي عن مذموم الأخلاق كالغضب، والحسد، والبخل، ومهانة النفس، والكبر، والرياء والتحلي بالأخلاق المحمودة كالتوبة من المعاصي وحسن الصحبة والنصيحة والعدل، والتواضع، والإخلاص، والصبر، والصدق، والتوكل، ومحبة اللّه ورسله إلى غير ذلك[٤]. وأخيراً أكد القرطبي على أن المتدبر لهذه المحاسن سيعلم من غير شك أنها حق من اللّه، وأن الذي جاء بها لا يجوز عليه الغلط والكذب، وعلى ذلك فلا يسعه إلا قبولها والإيمان بالذي دعا إليها وهو الإسلام[٥].

ج ـ الدعوة إلى الإسلام من خلال رد الشبه عن تشريعاته:

قد يكون سبب عدم قبول الحق شبهة في ذهن المدعو، وبإزالة هذه الشبهة

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٣٩.
(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٤١.
(٣) المصدر نفسه ص ٤٤٤.
(٤) المصدر نفسه ص ٤٤٥.
(٥) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ١٨٢) .

تزول العقبة ويتحقق القبول، وهكذا الحال مع النصارى فإنما كان كثيراً من الشبه التي يثيرها بعض مضليهم مانعة من العلماء في فترة الحروب الصليبية للذود عن الإسلام بدحض الشبه التي يروج لها أئمة الضلال من النصارى، ومن الأمثلة على ذلك رسالة أحد القساوسة إلى أبي عبيدة الخزرجي التي تتضمن الكثير من الشبه والمفتريات حول تشريعات الإسلام، وردَّ أبو عبيدة على هذا القسيس داحضاً شبهه ومفترياته[١]، ومثله القرافي الذي عرض كثيراً من شبه النصارى في هذه الفترة وأبطلها[٢].

٣ ـ الدعوة إلى الإيمان بالقرآن:

أدرك العلماء في عصر الحروب الصليبية الخطر الذي تتعرض له الأمة من جراء تكالب أعدائها عليها، خصوصاً النصارى وما يقومون به من حروب عسكرية وفكرية ضد الإسلام في هذه الفترة، وبالتحديد ما يثيرونه حول القرآن رغبة منهم في زعزعة ثقة الأمة بكتابها، لذلك اشتدت عنايتهم بكتاب الله دفاعاً عنه أولاً، ودعوة لهؤلاء النصارى ثانياً، وذلك بتفنيد مفترياتهم حوله، وتصحيح شبههم التي قد تمنع الكثيرين منهم من التصديق به ولا شك أن التصديق بالقرآن والإيمان به يعني الدخول في الإسلام واعتناقه، إذ أن القرآن والسُّنة بيّنا كل ما يتعلق بهذا الدين من عقائد وتشريعات يجب على المسلم الالتزام بها والقرآن قد أمر بالأخذ بالسُّنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧] ومن ثم فإن تسليم النصارى بصحة القرآن واقتناعهم بذلك، وقبولهم لأوامره ونواهيه، يعني نبذهم لما هم عليه من عقائد باطلة ودخولهم في الإسلام وكانت عناية الأمة في هذه الفترة بدعوة النصارى إلى الإيمان بالقرآن من خلال ما يلي:

أ ـ عناية القرآن بخدمة كتاب الله بشكل عام:

من خلال المؤلفات في تفسيره، أو قراءته، أو إيضاح غريبه، أو بيان محكمه ومتشابهه، أو ما يتعلق بناسخه ومنسوخه، أو أحكامه أو إبراز فضائله، أو بلاغته، أو إعرابه إلى غير ذلك، ولا شك أن هذه المؤلفات حول كتاب الله سبحانه وتعالى

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ١٨٢).
(٢) المصدر نفسه (١/ ١٨٣).

تساعد على فهمه وإيضاحه، ولا يخفى أثر ذلك في زيادة ترسيخ إيمان المسلمين بكتاب ربهم، ومن ثم صمودهم أمام شبهات أعدائهم من النصارى وغيرهم، كما أن هذه الدراسات حول كتاب اللّه قد تزيل غشاوة الجهل عن كثير من النصارى فيفهمون كتاب اللّه سبحانه، وقد يكون ذلك سبباً في إسلامهم[١].

ب ـ عناية العلماء ببيان إعجاز القرآن الكريم بشكل عام وإبراز ذلك للنصارى بشكل خاص:

حيث اعتنى العلماء في هذه الفترة ببيان إعجاز القرآن بشكل عام، فظهرت مؤلفات قصرت الحديث على هذا الجانب، ككتاب البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن[٢]، وكتاب التنبيه على إعجاز القرآن[٣]، ولا يخفى أن إظهار إعجاز القرآن له أثر كبير في إقناع غير المسلمين، لذلك أبرز بعض العلماء هذا الجانب للنصارى من خلال عدة أمور منها:

ـ **إثبات إعجازه من خلال حفظه من التحريف والتبديل**: وهذا من أعظم الإعجاز، وما كان ذلك ليتحقق لو وُكِّل حفظه إلى البشر، حيث أشار القرافي إلى حفظ اللّه سبحانه وتعالى لكتابه، وذلك بتهيئة أسباب ذلك، من العناية بجمعه وألا يداخله غيره؛ حذراً مما وقع لأهل الكتاب، ثم نقله من السلف إلى الخلف نقلاً متواتراً، فصدق اللّه [تعالى] إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩][٤].

قال القرطبي حول هذه الآية: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، من أن يزاد فيه أو ينقص منه[٥]، وبين ـ رحمه اللّه تعالى ـ في كتابه الإعلام حفظ اللّه سبحانه وتعالى لكتابه مقابل التحريف والتبديل الذي جرى على التوارة والإنجيل[٦]، ثم أورد أمثلة على ذلك[٧].

---

(١) المصدر نفسه (١/ ١٨٩)

(٢) لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني المتوفى سنة ٦٥١هـ.

(٣) لمحمد بن أبي القاسم البقالي الخوارزمي المتوفى سنة ٥٦٢ هـ.

(٤) الأجوبة الفاخرة، أحمد بن إدريس القرافي ص ٩٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٥).

(٦) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٨٩.

(٧) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ١٩٠).

ـ **إثبات إعجازه ببيان فصاحته**: وفي ذلك قال الخزرجي مخاطباً النصارى ومبيناً إعجاز القرآن بفصاحته، وأن العرب الأوائل ـ وهم الفصحاء ـ أقروا له بذلك: يلتفت إلى مقال العجم الجهلاء[١]، ثم وضح أن العرب وقت نزول القرآن وهم أشد أعداء الرسول ﷺ، وقد كان منهم ما كان من سب الرسول ﷺ وأصحابه وإيذائهم، بل وحربهم ما تكلموا في فصاحته، وقد جرى لهم التحدي أن يأتوا بمثله كما قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، فما استطاعوا ذلك، ثم كان التحدي بعشر سور كما قال سبحانه ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣] حتى صار التحدي إلى سورة واحدة ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨] ومع ذلك عجزوا ولن يستطيعوا لو حاولوا كما أخبر سبحانه: «ولن تفعلوا» وفي مناقشة القرطبي للنصارى في كتابه الإعلام بيَّن أن فصاحة القرآن أمر لا يقبل الشك: حتى إنَّ العاقل الفصيح إذا سمعه قال: ليس هذا من كلام البشر[٢]، ثم وضح نماذج من إعجازه، كقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وكيف أن هذه الآية لما نزلت قال أبو جهل: إن رب محمد لفصيح[٣]، ثم لفت القرطبي النظر إلى جوانب من الفصاحة من هذه الآية، حيث تضمنت أحكاماً وتفسير الحلال والحرام، والإعراض عن أهل الجهل والاجترام والأمر بالتزام أخلاق الكرام، مع ما هي عليه من اللفظ الموجز الجزل الرصين[٤]، ومثال آخر أورده القرطبي هو قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وكيف أن الوليد بن المغيرة، لما سمع هذه الآية وهو من أفصح قريش وكان من أشد أعداء الرسول ﷺ قال: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق وأن أعلاه لمثمر مورق وما يقول هذا بشر[٥]، وقد جرت مناظرة بين أحد قساوسة بلنسية بالأندلس وأبي علي بن رشيق التغلبي، حول فصاحة القرآن،

(١) المصدر نفسه (١/ ١٩٠).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٣٢٧.

(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ١٩١).

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

(٥) المستدرك للحاكم (٢/ ٥٠٦) صحيح الإسناد على شرط البخاري.

حيث بدأ القسيس يتكلم حول إعجاز القرآن، وأن العرب ـ وهم الفصحاء والبلغاء ـ عجزوا عن الإتيان بشيء مثله، وأن هذا التحدي باق إلى آخر الدهر فوافقه ابن رشيق على ذلك، بعد ذلك أفصح القسيس عما يريد الوصول إليه، فذكر كتاب المقامات للحريري مدعياً أن الأدباء والشعراء، عجزوا عن معارضته، وأن الحريري قد أنشد بيتين اثنين في إحدى المقامات وتحدى أن يعززهما أحد بثالث، وإن السنين انصرفت وما أتى أحد بثالث لهما رغم دَرْس الناس لتلك المقامات وتداولها بينهم، وانتهى إلى القول على ضوء ما سبق: إن ما أتى به الحريري كلام فصيح يصح أن يكون معجزة وليس هو بنبي، فإذا حصل ذلك فإن نبوّة الرسول ﷺ لا تثبت بمسألة التحدي المنصوص عليه بالقرآن، فلما أخذ ابن رشيق يرد عليه بالأدلة والبراهين العلمية، أخذ القسيس يرد عليه بقوله: قد سمعت هذا وناظرني فيه فلان. في تلك الأثناء انقدح في ذهن ابن رشيق بيت ثالث على شاكلة بيتي الحريري، فساقه للقسيس، الذي راح يفهمه لمن معه، وعند ذلك انقطعت حجة القسيس، وكانت النتيجة كما يقول ابن رشيق: إنه انفصل عنهم وهم كالمسلمين في انقطاع شبهتهم[(١)].

ـ **إثبات إعجازه يلفت النظر إلى طريقة نظمه وأسلوبه الغريب**: وفي معرض مناقشة القرطبي للنصارى لفت أنظارهم إلى نظم القرآن وأسلوبه الغريب: . . . والذي خالف به أسلوب كلام العرب، حتى كأنه ليس بينه وبينه نسب ولا سبب، فلا هو كمنظوم كلامهما فيكون شعراً موزوناً ولا كمنثوره فيكون نثراً عرياً عن الفواصل محروماً، بل تشبه رؤوس آياته وفواصله قوافي النظم، ولا تدانيها، وتخالف آيات متفرقات النثر، وتناويها، فصار لذلك أسلوباً خارجاً عن كلامهم، ومنهاجاً خارجاً لعادة خطابهم[(٢)]، ثم ضرب القرطبي مثالاً على ذلك موجهاً إلى النصارى وهو قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٦ ـ ٣٣]، طالباً منهم التأمل في معاني هذه الآيات، ولافتاً أنظارهم إلى نظمها البديع المنيف الذي عجزت العرب عن معارضته[(٣)].

ـ **إعجاز القرآن بإخباره عن بعض المغيبات فتقع كما أخبر**: ومن ذلك بيان

---

(١) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس (١١/ ١٥٧).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٣٣٣.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

الخزرجي لأحد القساوسة النصارى أن من إعجاز القرآن إخباره عن بعض المغيبات فتحصل كما أخبر، حيث أورد العديد من الأمثلة منها قوله تعالى: ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ * فِى بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ * بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ * وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم: ١ - ٦] فما كان بضع سنين حتى تحقق ذلك وغلبت الروم الفرس(١).

ومثال آخر هو قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧] فصدق وعده فدخلوا مكة وتحقق الفتح القريب وهو فتح خيبر(٢). ومن الأمثلة التي أوردها الخزرجي قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٣). فيظفر المسلمون بالنصر على قريش في بدر، وما كذب خبر القرآن، وبعد عدة أمثلة ذكرها الخزرجي على ذلك خاطب النصارى متعجباً من عدم تصديقهم بالقرآن، وبمن جاء به رغم إعجازه، وذلك بقوله: ومن أعجب الأشياء أنكم تؤمنون بنبوّة مريم وحنة وهما امرأتان، بلا كتاب ومعجزة، ولا ذكرتا في صحف الأنبياء، وتكفرون بسيد المرسلين محمد ﷺ وله كتاب يعجز الإنس والجن(٤). وأكد القرطبي في رده على النصارى في كتابه الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام أن الأخبار عن المغيبات في القرآن فتقع كما أخبر به من وجوه إعجازه(٥)، ثم عرض أمثلة كثيرة على ذلك(٦).

وفي هذا السياق قال ابن الأنباري: فإنه لما كان لا يجوز أن يقع ذلك على وجه الإنفاق دل على أنه من عند علام الغيوب(٧)، ثم أورد أمثلة عديدة على ذلك(٨).

---

(١) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ٢٠٧.
(٢) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ٢٠٨.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ١٩٥).
(٤) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ٢١٣.
(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٩٥.
(٦) الداعي إلى الإسلام ص ٤٢٤.
(٧) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ١٩٦).
(٨) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٣٤٣.

- **إعجاز القرآن بإخباره عن بعض الأمم السابقة:** تحدث القرطبي عن وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وهو ما تضمنه من الأخبار عن الأمم السالفة التي يشهد العلماء بصحتها مع أن النبي ﷺ لم ينل ذلك بتعليم بشري[١]، حيث أورد في رده على النصارى أمثلة على ذلك. خصوصاً ما كان يثيره أهل الكتاب في عهده ﷺ من أسئلة ينزل القرآن مجيباً عليها، فما ينكرون منها شيئاً، مع شدة عداوتهم لرسول اللّه ﷺ وحرصهم على تكذيبه ومن ذلك: سؤالهم عن الروح وعن ذي القرنين، وعن أصحاب الكهف، وعن عيسى عليه السلام، وعن حكم الرجم، وعمّا حرم إسرائيل على نفسه، وغير ذلك من أمورهم، التي نزل القرآن مجيباً عنها فلم ينكروا منها شيئاً[٢].

ج ـ الدعوة إلى الإيمان بالقرآن من خلال رد الشبه التي أثيرت حوله:

وما أكثر الشبه والمفتريات التي أثارها ويثيرها أعداء الإسلام على القرآن، عبر التاريخ الإسلامي وأعداء الإسلام من النصارى في فترة الحروب الصليبية رددوا شبه من كان قبلهم، وافتروا غيرها طعناً في الدين، وإضعافاً للمسلمين، ويأبى اللّه إلا أن يتم نوره وقد تصدى علماء الأمة في فترة الحروب الصليبية للرد على مطاعن النصارى ومفترياتهم حول كتاب اللّه، كالقرافي، والخزرجي، وابن الأنباري، وابن رشيق التغلبي، وغيرهم[٣]. ولا يخفى أثر إزالة الشبه في قبول الحق لدى من يمنعه من الهدى سوء فهم، أو تضليل معاند، يقول القرطبي في مقدمة نبذة كتبها عن محاسن الإسلام: . . إنه لا يبعد أن يقف على هذا الكتاب نصراني أو يهودي لم يسمع قط من ديننا تفصيلاً، ولا تصريحاً، بل إنما سمع له سبًّا وتقبيحاً فأردت أن أسرده على الجملة، لتبيين حسنه لمن كان ذكي العقل صحيح الفطرة، فلعل ذلك أن يكون سبب هداه وجلاء عماه[٤].

د ـ الدعوة إلى الإيمان بنبوّة محمد ﷺ:

نبوّة محمد ﷺ كانت ولا تزال أساس الحوارات والمناظرات التي تجري بين المسلمين وغيرهم، ففي الوقت الذي يسعى الدعاة المسلمون إلى الإقناع

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ١٩٦).
(٢) المصدر نفسه.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ١٩٦).
(٤) المصدر نفسه (١/ ١٩٦).

بصدقه ﷺ وصحة رسالته يسعى المعاندون إلى تكذيب ذلك بل وإثارة الشبه حول شخصه ﷺ وحول رسالته، لذلك ما ترك علماء الأمة صغيرة ولا كبيرة في حياته ﷺ إلا كتبوا عنها، وما غادروا شيئاً من أقواله وأفعاله إلا قيدوه وميزوا صحيحه من ضعيفه، فكتبوا في سيرته، ومغازيه، وأخلاقه، وشمائله، ومناقبه، وفضائله، وحقوقه ودلائل نبوّته، ومعجزاته، وهديه وصنفوا في أقواله وأفعاله فظهرت الموسوعات الحديثة كالصحيحين والسنن والمسانيد، والمصنفات، وغيرها من كتب الحديث، فصار القارئ في أي جانب من هذه الجوانب المتعلقة به ﷺ كأنه عاش معه لدقة ما نُقِل عنه، وفي عصر الحروب الصليبية كان من أهم الأمور التي دعا المسلمون النصارى إليها الإيمان بنبوّة محمد ﷺ ولا شك أن تصديق النصارى بذلك وإيمانهم به يعني بالضرورة نبذهم لما هم عليه من الكفر والضلال والدخول [في] الإسلام وقد كانت الدعوة إلى الإيمان بمحمد ﷺ من خلال إثبات نبوّته ﷺ، ورد الشبه التي يثيرها النصارى حول شخصه أو نبوّته[(١)].

وقد اتجه العلماء في هذه الفترة إلى إثبات نبوّته عليه الصلاة والسلام من خلال ما يلي:

- من خلال تأليف الكتب عنه ﷺ بشكل عام، خاصة ما يتعلق بدلائل نبوّته ومعجزاته، وشمائله وأخلاقه ومناقبه وفضائله والمؤلفات في ذلك كثيرة والحمد للّه على ذلك.
- من خلال المؤلفات الموجهة إلى النصارى وفي ثناياها الحديث عن نبوَّته ﷺ وكانت طريقة العلماء في ذلك على النحو التالي:
- إثبات نبوّته ﷺ من خلال دعواه النبوّة، حيث وضح الجعفري في كتابه الرد على النصارى أن مجيء محمد ﷺ ودعواه النبوّة أمر مقطوع به، قد ثبت عن طريق التواتر فلا يسوغ النزاع فيه، وإن من أنكر ذلك كمن جحد وجود بغداد ومكة[(٢)].
- إثبات نبوّته من خلال ذكر البشارات به ﷺ من التوراة والإنجيل حيث أسهب العلماء في هذه الفترة بذكر البشارات بمحمد ﷺ من التوراة والإنجيل، وذلك

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ١٩٩).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٠١).

إلزاماً للمعاندين من النصارى بما لا يستطيعون إنكاره وإيضاحاً لمن يجهل ذلك منهم، أو حال بينه وبين فهمه تضليل مبطل من قساوستهم حيث ساق الجعفري مثلاً أربعاً وثمانين بشارة بنبوّة محمد ﷺ من التوراة والإنجيل، ويسرد القرافي إحدى وخمسين بشارة في كتابه الأجوبة الفاخرة وقد أسهب الخزرجي والقرطبي والمتطبب في معرض ردودهم على النصارى بذكر البشارات به ﷺ من التوراة والإنجيل[١].

وقد انبرى كثير من علماء عصر الحروب الصليبية للرد على علماء النصارى الذين جعلوا رسول الله ﷺ ونبوّته غرضاً لهم، فاستفرغوا الوسع في تفنيد شبههم وردّ باطلهم، انتصاراً لرسول الله ﷺ، وطمعاً في هداية من كانت مثل هذه الشبه حجاباً بينه وبين قبول الحق[٢].

هـ ـ الدعوة إلى الإيمان بنبوّة المسيح عليه السلام:

اعتنى الإسلام بالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بصفته أحد أولي العزم من الرسل، فجاء القرآن بتكريمه وأمه وحتى عائلته وصحح الأخطاء ورد الاتهامات والافتراءات الباطلة التي كان يوجهها اليهود والنصارى للمسيح وأمه، فمن تكريم القرآن للمسيح عليه السلام أن جاءت إحدى السور باسم عائلته وهي سورة آل عمران، وسورة أخرى هي سورة مريم باسم أمه التي ورد اسمها في القرآن في مواضع كثيرة، كلها تتحدث عنها بكل التقدير والاحترام والتبجيل ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

وتحدث القرآن عن حياة المسيح منذ ولادته وحتى رفعه إلى السماء فهو بشر مخلوق عبد للخالق عزّ وجل، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]، وهو نبي ورسول من عند الله عز وجل، قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [المائدة: ٧٥] والمسيح بارٌّ بوالدته وليس بجبار ولا شقي قال تعالى: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢].

وهو قدوة صالحة في العبادة والإخلاص للّه سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٠١).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٢٢).

...ءاتىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠، ٣١].

وقد أرسله اللّه إلى بني إسرائيل وأيده بالمعجزات التي منها إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، ونزول المائدة من السماء، وغير ذلك قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ولما بلغ رسالة ربه وأراد به أعداؤه كيداً نجاه اللّه من كيدهم فتوفاه ورفعه إليه[١]. ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ﴾ [النساء: ١٥٧]. هذا هو مجمل اعتقاد المسلمين بالمسيح عليه السلام وقد ضل النصارى في ذلك ضلالاً بعيداً بجعلهم المسيح عيسى عليه السلام ابناً للّه تعالى اللّه عن ذلك، قال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ﴾ [التوبة: ٣٠]، بل ادعوا أن اللّه سبحانه هو المسيح ابن مريم قال جلّ وعلا: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ﴾ [المائدة: ١٧] وقد كانت نبوّة المسيح عليه السلام منذ ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر من القضايا الرئيسية التي تناولها العلماء المسلمون في مناقشاتهم مع النصارى رجاء هدايتهم للحق في ذلك، وقد اعتنى العلماء في عصر الحروب الصليبية بيان ذلك للنصارى ودعوتهم إلى الإيمان بنبوّته عليه السلام، ونبذ معتقداتهم الباطلة حوله، وذلك من خلال ما يلي:

- **الدعوة إلى الإيمان بنبوّة المسيح عليه السلام من** خلال بيان معتقد المسلمين فيه على الإجمال، فما كتب أحد من علماء عصر الحروب الصليبية في مناقشة النصارى إلا ووضح معتقد المسلمين في المسيح عليه السلام، ونعى على النصارى ضلالهم في ذلك. قال ابن الجوزي عند قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ﴾ [المائدة: ٧٥] فيه رد على اليهود في تكذيبهم رسالته وعلى النصارى في ادعائهم إلهيته والمعنى: أنه ليس بإله وإنما حكمه حكم من سبق من الرسل[٢].

---

(١) دعوة المسلمين للنّصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٢٤).
(٢) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٣٠٦).

وقال البغوي: أي ليس بإله بل هو كالرسل الذين مضوا لم يكونوا آلهة[١].

وقال الرازي: أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبل[٢]، وعند قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة الآية: ٧٥] قال: واعلم أن المقصود من ذلك الاستدلال على فساد قول النصارى[٣]. أي نفيهم نبوّته وادعائهم الألوهية له. وهكذا كل مفسري هذا العصر لم يغفلوا بيان عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام وفضح ضلال النصارى فيه وذلك في تفسيرهم للآيات التي تتحدث عن عيسى عليه السلام أو النصارى بشكل عام[٤]. وبعد أن بين القرطبي حيرة اليهود والنصارى في عيسى عليه السلام، وتضارب أقوالهم حوله، وضّح رحمه اللّه سبحانه وتعالى منّه علينا ـ نحن المسلمين ـ وعلى النصارى بأن بعث سيد المرسلين لينزه اللّه المسيح وأمه على لسان نبيِّه مما قالته اليهود فيهما، ويشهد ببراءتهما مما نسب إليهما، قال سبحانه: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥] ثم ذكّر القرطبي النصارى بموقف النجاشي من عقيدة المسلمين بعيسى عليه السلام حينما أخبره بها جعفر بن أبي طالب رضي اللّه عنه بقوله: نقول فيه ـ أي المسيح عليه السلام ـ الذي جاء به نبينا ﷺ، وهو عبد اللّه ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول فلما سمع النجاشي ذلك ضرب بيده الأرض، وأخذ عوداً منها وقال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقة حوله فقال: وإن نخرتم واللّه[٥]. ثم خاطب القرطبي النصارى بعد ذلك قائلاً: . . . فهذا ـ أي رأي النجاشي ـ قول أهل العلم من قبلكم، العارفين بشريعتكم، وما عدا ذلك فشجرته غثاء ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

وقد دعا الخزرجي القسيس الذي طلب منه الإيمان بألوهية عيسى إلى الإيمان بنبوّته بعد إيضاح عقيدة المسلمين فيه عليه السلام حيث قال: ونحن بالمسيح ابن مريم رسول اللّه أولى، قدرناه حق قدره، وقلنا بفضله المعلوم

---

(١) معالم التنزيل (٣/ ٨٢).

(٢) التفسير الكبير (٦/ ٥١ ـ ٥٢).

(٣) المصدر نفسه (٦/ ٥٢).

(٤) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٢٦).

(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، ص ٢٥٦.

وفخره واعتقدناه بمنزلة تقبلها الأفهام وتليق بالعقول. . . ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٥]، وتبرأنا من قوم غدوا فيه على طرفي نقيض: مفتون به ضال، وظالم بغيض[١] . . . ثم دعاه إلى الإيمان بنبوّة المسيح عليه السلام قائلاً: . . . ما أزين بك أن تقول: إن اللّه خلق عيسى وأمه آية للناس، عبداً ورسولاً، وهي صديقة مباركة وكانا يأكلان الطعام[٢].

ـ **الدعوة إلى الإيمان بنبوّة المسيح عليه السلام** من خلال ذكر الأدلة على ذلك من كتب النصارى:

ـ تصريح المسيح نفسه في الإنجيل بأنه نبيّ مُرسل من اللّه سبحانه وتعالى، حيث أورد ابن الأنباري نقولاً من الإنجيل صرح فيها المسيح بعبوديته ونبوّته، ومن ذلك قول المسيح للحواريين: . . أخرجوني من هذه المدينة، فإنه ما أكرم نبيّ في مدينته، حيث أورد هذا النص مع شيء من الاختلاف اليسير الخزرجي في إثباته لنبوّة المسيح عليه السلام[٣].

ـ شهادة بعض أنبياء بني إسرائيل له بالنبوَّة، ومنهم أشعيا. قال لوقا: جاء يسوع إلى الناصرة حيث تربى، ودخل كعادته في مجامعهم يوم السبت ليقرأ فدفع إليه سفر أشعيا النبي، فلما فتحه إذا فيه مكتوب روح الرب عليّ من أجل هذا مسحني وأرسلني لأبشر المساكين، وأشفي منكسري القلوب، وأنذر المأسورين بالتخلية، والعميان بالنظر، وأبشر بالسنة المقبولة ثم طوى السفر ودفعه إلى الخادم فجعلوا ينظرون إليه، فقال: اليوم كمل هذا المكتوب في سماعكم[٤]، قال الجعفري معلقاً على ذلك: فهذه نبوءة من أشعيا على تصديق ودعوى النبوّة والرسالة[٥].

ـ شهادة بعض تلامذته وحوارييه له بالنبوّة: فهذا يوحنا الإنجيلي تلميذ المسيح عليه السلام وحبيبه وأحد مدوني الإنجيل يقول: كان الناس إذا رأوا يسوع

---

(١) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ١٢٨.
(٢) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٢٨).
(٣) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ١٣١.
(٤) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٢٨).
(٥) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل للجعفري (١/ ١٩٨).

وسمعوا كلامه يقولون: هذا النبيّ حقاً[١]. قال الجعفري: هذا هو يوحنا الإنجيلي الذي سمي حبيب المسيح يشهد بنبوّته، وهو أحسن أقوال أهل زمانه فيه[٢].

- اعتراف أهل زمانه له بالنبوّة، وإقراره لهم وعدم الإنكار عليهم ومن ذلك قول متى في إنجيله: لما دنا المسيح وأصحابه من أورشليم، أرسل من جاءه بأتان وجحش، فركب وفرش الناس له ثيابهم، وارتجت المدينة لدخوله، فقال الجميع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الخليل[٣]. وقد وضح الجعفري وجه الدلالة من هذا النص، وهو الشهادة للمسيح من أصحابه وأهل زمانه بالنبوّة وعدم إنكاره عليهم، وذلك رضيً بما يقولون[٤].

ثم توجه الجعفري باستفهام إلى النصارى غايته دعوتهم إلى الإيمان بنبوّة المسيح عليه السلام وذلك بقوله: كيف يسمع ـ أي المسيح ـ آلافاً من الناس يشهدون أنه النبيّ الآتي من الناصرة ويقرهم على ذلك، ولا تقوم به الحجة؟ أفيظن متأخرو النصارى يومنا هذا أنهم أعلم بالمسيح ممن رآه وشاهده وصحبه[٥]؟. وقد ورد في الإنجيل: أن امرأة رأت المسيح فقالت له: أنت ذاك النبي الذي كنا ننتظر مجيئه؟ فقال لها المسيح: صدقت، طوبى لك أيتها المرأة[٦]، فهذه المرأة تسأل المسيح هل هو النبيّ المنتظر؟ ويصدقها المسيح إذ أقرت له بالنبوّة، حيث أورد هذا النص المتطبب مستدلّاً به على نبوّة المسيح وذلك في مناقشته للنصارى في كتابه النصيحة الإيمانية[٧].

- الدعوة إلى الإيمان بنبوّة عيسى عليه السلام من خلال نفي الألوهية عنه، وإثبات عبوديته للَّه سبحانه وتعالى، وتفنيد شبه النصارى وأدلتهم على ألوهيته، حيث أسهب علماء هذه الفترة في بحث هذه القضايا ومناقشاتها من خلال ما أورده من أدلة نقلية وعقلية على ذلك[٨].

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٢٩).
(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢٠٧).
(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٣٠).
(٤) الرد على النصارى، صالح بن الحسين ص ٨٨ .
(٥) دعوة المسلمين للنّصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٣٠).
(٦) المصدر نفسه (١/ ٢٣٠)
(٧) النصيحة الإيمانية ص ١٠٩.
(٨) دعوة المسلمين للنّصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٣١).

ثالثاً

مناقشة عقائد النصارى

تصدى علماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية لمناقشة معتقدات نصارى إبطالاً لها وتفنيداً لحجج النصارى عليها، وبياناً للحق الذي ضلّ عنه هؤلاء في ديانتهم، وقياماً بواجب الدعوة الذي حصلت به الخيرية لهذه الأمة ومن أهم هذه المعتقدات.

١ ـ نقض الأمانة:

وثيقة الأمانة، أو ما يعرف بقانون الإيمان عند النصارى، هو أصل عقيدتهم، وهو الذي لا يتم إيمان نصراني إلا باعتقاده، ونص هذه الأمانة ما يلي: نؤمن باللّه الواحد الأب ضابط الكل، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن اللّه الواحد بكر الخلائق كلها، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنساناً، وحبل به وولد من مريم البتول، وأوجع وصلب أيام فيلاطس[١] النبطي، ودفن وقام في اليوم الثالث ـ كما هو مكتوب ـ وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج عن أبيه روح محبته وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قديسية جاثليقية[٢]، وبقيامة أبداننا وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين[٣].

ولقد اهتم علماء المسلمين في فترة الحروب الصليبية بهذه الأمانة لمكانتها في الديانة النصرانية حيث ناقشوها مبينين تناقضها وتهافتها، ومن ثم هدم ما يقوم عليها من معتقدات في الديانة النصرانية، ومن وجوه التناقض التي بينها هؤلاء العلماء في هذه الأمانة ما يلي:

- إن فيها الإقرار بوحدانية اللّه سبحانه ثم نقض ذلك بالشرك، فقولهم فيها:

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٣١).

(٢) الجاثليقية : والجمع : جثقالة ، وهو متقدم الأساقفة (يونانية).

(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٣٦).

«نؤمن بالله الواحد الأب. .» يناقض قولهم أيضاً: . . . وبالرب الواحد يسوع المسيح[١].

- إقرارهم فيها بأن الله صانع ما يرى وما لا يرى، ثم قولهم، عن المسيح: . . الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء[٢].
- قولهم في الأمانة: إن يسوع المسيح ابن الله بكر الخلائق الذي ولد [من] أبيه، مشعر بحدوثه، فلا معنى لكونه ابن الله إلا إذا تأخر عنه، إذ كونهما معاً كما يقر به النصارى مستحيل ببداهة العقول[٣].
- قولهم فيها: إن يسوع بكر الخلائق كلها. لا يفهم منه إلا أن المسيح خلقه الله قبل كل الخلائق أي أنه مخلوق مصنوع، وهذا مناقض لما في أمانتهم وهو: . . . وليس بمصنوع إله حق من إله حق[٤].

وقد ذكر العلماء وجوهاً من التناقض كثيرة فصلها الدكتور سليمان بن عبد اللّه الرومي في كتابه القيم دعوة المسلمين للنّصارى في عصر الحروب الصليبية[٥]. وقد أبرز العلماء المسلمون كالجعفري والمتطبب والقرافي تهافت هذه الأمانة التي يعدّها النصارى أساس ديانتهم والتي لا يصلح إيمان أحدهم إلا باعتقادها، فأصبحوا بذلك، كما وصفهم القرافي هزءاً للناظر ومصنفة للمناظر[٦].

٢ ـ اختلاف الأناجيل:

الإنجيل: من اللفظ اليوناني أو نجيلون ومعناه خبر طيب[٧]، وتأتي بمعنى الحلوان، وهو ما يعطى لمن يأتي بالبشرى، ثم أريد بها البشرى عينها، واستعملها على الكتاب الذي يتضمن هذه البشرى عند النصارى منذ أواخر القرن الأول إلى الوقت الحاضر[٨]، حيث يشمل الكتاب العهد القديم والعهد الجديد،

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٣٧).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٣٧).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٢٣٧).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٣٧).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩).
(٦) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٤٠).
(٧) نخبة من علماء اللاهوت النصارى ص ١٢٠.
(٨) المسيحية د. أحمد ص ٢٠٤.

فالعهد القديم يعني التوراة والكتب الملحقة بها حيث تضم تسعةً وثلاثين سفراً[١]، والعهد الجديد يعني الأسفار التاريخية والأناجيل الأربعة ورسالة أعمال الرسل والأسفار التعليمية حيث يبلغ تعدادها جميعاً سبعة وعشرين سفراً والعهد القديم أو التوراة على الرغم من إيمان النصارى به إلا أنهم يفسرون كثيراً من نصوصه تفسيراً يوافق عقائدهم الباطلة كالتثليث وألوهية المسيح وغير ذلك، لعدم استطاعتهم التصرف بنصوصه كالإنجيل لأنه محفوظ عند أعدائهم اليهود[٢]، والإنجيل في الأصل هو الكتاب الذي أنزل على عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦]. لكن هذا الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام ليس هو الذي بين النصارى اليوم. إذ بين أيديهم الآن أربعة أناجيل انتخبت من عدد غير محدود من الأناجيل، حيث اعتمدت الكنيسة هذه الأربعة بما يسمى بالأناجيل القانونية من بين أناجيل كثيرة تم استبعادها وأطلق عليها الأناجيل غير القانونية[٣]. وقد كان ذلك سنة ١٧٠م وقد بيّن صاحب قصة الحضارة هذه القضية بقوله: أما الأناجيل فليس أمرها بهذه السهولة، وذلك أن الأناجيل الأربعة التي وصلت إلينا هي البقية من عدد أكبر منها كثيراً كانت في وقت ما منتشرة بين المسيحيين في القرنين الأول والثاني[٤]. وإذا كانت هذه الأناجيل الأربعة قد تم اختيارها من بين أناجيل كثيرة فلا يستبعد أن يكون الإنجيل الصحيح من بين ما تم استبعاده وحتى هذه الأربعة المعتمدة لم تسلم من الاختلاف فيما بينها بل والتناقض الذي لا يمكن التوفيق فيه وقد تساءل ابن القيم[٥]، كيف يكون في الإنجيل الذي أنزل على عيسى قصة صلبه وما جرى له من الألم ثم الموت والقيام من القبر إلى غير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى[٦]، وفيما يلي نبذة على ما يسمى عند النصارى بالأناجيل الأربعة القانونية التي أقروها لتوافق التحريفات التي أدخلوها على ديانتهم في مجامعهم

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصَّليبية (١/ ٢٤١).
(٢) المسيحية د. أحمد شلبي ص ٢٠٤.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٤١).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٤٢).
(٥) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصّليبية (١/ ٢٤٢).
(٦) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٤٨ .

المختلفة: مثل إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا[١].

هذه هي أناجيل النصارى التي عليها عماد ديانتهم، وهي في اعتقاد المسلمين لا يمكن أن تكون الإنجيل الذي أنزله اللّه عزَّ وجل على عبده عيسى عليه السلام وأحسن أحوالها أن تكون متضمنة لبعض ما أنزله اللّه جلّ وعلا على عيسى، وكثير مما فيها حرّف بلفظه أو بمعناه قال: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة، الآية: ١٣]. قال القرطبي: أي يتأولونه على غير تأويله ويلقون ذلك إلى العوام[٢]. ولمكانة الأناجيل عند النصارى، لكونها عماد ديانتهم، وأساس ضلالهم بما حرّفوا فيها، فقد اهتم بعض من العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية بدراستها مبينين تناقضها وعدم الطمأنينة إلى ما فيها، وإظهار ذلك للنصارى هدماً لأساس عقائدهم الباطلة، ورغبة في هداية من شاء اللّه هدايته منهم، فهذا الجعفري يوضح أن مَن وقف على التناقض في الإنجيل، ومصادمة بعضه بعضاً يشهد بأنه ليس هو الإنجيل الحق المنزل من عند اللّه، وأن أكثره من أقوال الرواة وأقاصيصهم، وأن نقلته أفسدوه ومزجوه بحكاياتهم وألحقوا به أموراً غير مسموعة من المسيح ولا من أصحابه.

وهو ليس إنجيلاً واحداً بل أربعة أناجيل كتب كل واحد منها في قطر من الأقطار، بقلم غير قلم الآخر، وتضمن كل كتاب أقاصيص وحكايات أغفلها الكتاب وإذا كان الأمر كذلك فقد انخرمت الثقة بهذا الإنجيل، وعدمت الطمأنينة بنقلته[٣]، ثم أورد الجعفري نماذج عديدة تبين تحريف الإنجيل وتناقضه ومن ذلك:

- قال متى: من يوسف خطيب مريم، وهو الذي يسمى يوسف النجار... إلى إبراهيم الخليل اثنتان وأربعون ولادة[٤]. وقال لوقا: لا ولكن بينهما أربع وخمسون ولادة[٥]. ثم عقب الجعفري على ذلك بقوله: وهذا تكاذب قبيح[٦].

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصَّليبية (١/ ٢٤٢).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٧٧).
(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصَّليبية (١/ ٢٤٦)
(٤) الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح (١/ ١٦).
(٥) الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح (١/ ١٦).
(٦) المصدر نفسه إنجيل لوقا، الإصحاح (٣/ ٢٣ ـ ٣٤).

ـ نصان آخران أحدهما عند لوقا يصف المسيح عليه السلام بأنه سيملك على بني إسرائيل[١]، ونص آخر عند يوحنا يصف المسيح عليه السلام بأنه الضعيف الذليل[٢]. حيث عقب عليهما الجعفري بقوله: وهذا تكاذب قبيح، لأن أحدهما يقول: إن يسوع يملك على بني إسرائيل، والآخر يصفه بصفة ضعيف ذليل[٣].

وهكذا استطرد الجعفري بذكر نماذج من تحريف الإنجيل وتناقضه في اثنين وخمسين موضعاً، عقب بعد عرضها بقوله: فهذا كتاب قد تلاعبت به بنيات الطرق وتزاحمت به تراجمة الفرق، وولد من لسان إلى لسان، وعبث به التحريف والتصحيف في كل زمان[٤]، وخاطب الخزرجي أحد قساوسة النصارى بقوله: . . . [ما] أناجيلكم إلا حكايات، وتواريخ، وكلام كهنة، وتلاميذ وغيرهم، حتى إني أحلف بالذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلاً من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر، مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبني عليه شيء من أمر الدين[٥]. ثم أورد الخزرجي في نقاشه مع القسيس أمثلة على تناقض الإنجيل مبتدئاً لها بقوله: وفي الإنجيل الذي بأيديكم كثير من المتناقضات[٦]، ثم ذكر كثيراً من الأدلة على ذلك ثم وجه خطابه للقسيس قائلاً: أخبرني أيها المغرور عن هذا الخلاف، أتعده تتميماً أو نقصاً لشريعة من سبقه[٧]؟ وأخيراً بعد أن انتهى الخزرجي من سرد الأمثلة الكثيرة على تناقض الإنجيل وبين أن فيها الكفاية على تهافت الأناجيل، والدليل على ما اشتملت عليه من الزلل والأباطيل، بعد ذلك تساءل قائلاً: فليت شعري أين هذا الإنجيل المنزل من عند اللّه؟ وأين كلماته من بين هذه الكلمات[٨]. وقد بين القرافي أنه لكثرة التحريف والتبديل من الإنجيل وكثرة كتبته واختلاف طوائف النصارى فيه فلا يمكن والحال

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢٨٥).
(٢) الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا (١٩/١ ـ ١١).
(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٤٦).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٤٨).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٢٤٨).
(٦) المصدر نفسه (١/ ٢٤٨).
(٧) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ١٥٥.
(٨) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ١٥٧.

هذه تمييز الكلام الذي أنزله اللّه عن غيره حيث قال: وأما النصارى فلا يتعين لهم شيء مما أنزل اللّه تعالى أبداً[١]، وفي موضع آخر وصف القرافي كتب النصارى بقوله: . . . ومن طالع كتبهم وأناجيلهم وجد فيها من العجائب ما يقضي له بأن القوم تفرقت شرائعهم وأحكامهم، ونقولهم، . . وأن القوم لا يلتزمون مذهباً، والعجب أن أناجيلهم حكايات، وتواريخ ومجريات وكلام كفرة وكهنة[٢]. ثم أورد بعد ذلك خمسة عشر مثالاً من تناقضات الأناجيل تدل على تغييرها وتبديلها وعدم الوثوق بشيء منها[٣]، وإبراز العلماء المسلمين لاختلاف الأناجيل وتناقضها ومصادمة بعضها بعضاً وإيراد الأمثلة على ذلك، إيضاح بما لا يدع مجالاً للشك لضعف ما بنى عليه النصارى عقائدهم الذي يعدونه أساس ديانتهم[٤].

٣ ـ مناقشة قولهم في المسيح عليه السلام:

المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بشر مخلوق ليس بإله ولا ابن إله، قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الزخرف: ٥٩] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [المائدة: ٧٥]. وما ادّعى عليه السلام الربوبية ولا الألوهية، ولم يأمر أحداً باتخاذه إلهاً، بل إنه عبد اللّه ورسوله كما قال اللّه سبحانه فيما حكاه عنه: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة: ١١٧].

وقد عاش المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام يدعو إلى التوحيد وإخلاص العبادة للّه وحده، وكان قدوة صالحة في ذلك قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣٠، ٣١] ولما بلّغ رسالة ربه وأراد به أعداؤه كيداً نجاه اللّه منهم، وذلك برفعه إليه قال اللّه تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧] وقد ضل النصارى في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ضلالاً بعيداً إذ اعتقدوا فيه

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٢٧.
(٢) المصدر نفسه ص ٢٧
(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٥٠).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٥٠).

لألوهية، وجعلوه ابناً للّه نزل ليصلب ويقتل فداءً للبشرية، وتكفيراً لخطيئة أبيهم آدم[١]. ولقد ناقش العلماء المسلمون في عصر الحروب الصليبية عقيدة النصارى المسيح نقاشاً مستفيضاً، فضحاً لباطل النصارى في ذلك، وبياناً للحق الذي لُبس على عامتهم فأسهبوا في ردودهم على النصارى في إبطال اتخاذهم المسيح أحد ثلاثة آلهة، وردّ ادِّعائهم فيه الاتحاد والتجسد، ونفي الألوهية عنه، وهدم زعمهم بنوّته للّه ـ تعالى اللّه عن ذلك ـ وتفنيد ما ادّعوه من قتله وصلبه وفيما يلي عرض بعض جهودهم في ذلك:

أ ـ إبطال التثليث:

اتخذ النصارى المسيح عليه السلام إلهاً بجعله واحداً من ثلاثة وقد بدأ بذرة التثليث في النصرانية بولس، بعد المسيح عليه السلام، حيث استقرت فرقها المختلفة على هذه العقيدة بعد ذلك في مجمع نيقية عام ٣٢٥م بتأليه الأب وتأليه الابن، ثم تأليه روح القدس في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م، وعرفت هذه العقيدة بالتثليث. وكان النصارى قبل مجمع نيقية مختلفين بين موحدين ومشركين على ديانة بولس حتى جمعهم قسطنطين[٢]، على الشرك باللّه في هذا المجتمع[٣]، وإيمان النصارى بالتثليث سماعاً وتقليداً بما ورثوه عن آبائهم مع عدم الخوض في كنه هذه العقيدة أو التعمق فيها قال أحدهم: . . وهذه ـ أي التثليث ـ حقيقة تفوق الإدراك البشري عن إدراكها[٤]، وقال أحد القساوسة: إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها في كفه[٥]، ولهذا التعقيد في فهم عقيدة التثليث لدى النصارى اختلفوا في تحديدها وفي المراد منها[٦].

وقد عرض بعض العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية عقيدة التثليث لدى النصارى كما يعتقدونها، حيث قال نصر بن يحيى المتطبب: إن اللّه سبحانه وتعالى جوهر واحد وثلاثة أقانيم: الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم روح

(١) دعوة المسلمين للنّصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٥١).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٥٢).
(٣) مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا، إلياس كساب ص ٤٠.
(٤) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٥٣.
(٥) دعوة المسلمين للنّصارى في عصر الحروب الصّليبية (١/ ٢٥٣).
(٦) المصدر نفسه (١/ ٢٥٣).

القدس، وأنها ـ أي الذات الإلهية ـ واحدة في الجوهر مختلفة الأقانيم[١]، وقال القرافي في عرض عقيدة التثليث عند النصارى: . . . النصارى مجمعون على القول بالثالوث، وهو أن ربهم أب، وابن، وروح، فالأب الذات، والابن النطق الذي هو الكلام النفساني، والروح الحياة، فالأب جوهر، واختلفوا في الكلام والحياة هل هما صفتان للأب أو ذاتان قائمتان بأنفسهما، أو خاصيتان لذلك الجوهر[٢]؟ وبعد عرض هؤلاء العلماء لعقيدة التثليث لدى النصارى تصدوا لمناقشتها وتفنيد أدلتهم عليها على النحو التالي:

ـ **بيان فساد هذه العقيدة وكفر من يعتقدها ابتداءً:** ففي تفسير قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣ ـ ٧٤]. قال ابن عطية بعد أن بين أن هذا القول لبعض فرق النصارى: . . وهم على اختلاف أحوالهم كفار من حيث جعلوا في الإلهية عدداً ومن حيث جعلوا لعيسى عليه السلام حكماً إلهياً. . ثم توعد تبارك وتعالى هؤلاء القائلين هذه المقولة الكفرية العظيمة بمس العذاب بالدنيا من القتل والسبي، وبعذاب الآخرة بعد لا يفلت منه أحد[٣]. وبعد أن وضع الرازي تثليث النصارى عقب لقوله: . . ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فساداً وأظهر بطلاناً من مقالة النصارى[٤].

وقال الجعفري: . . عند النصارى ثلاثة آلهة قديمة أزلية. . وذلك باطل وكفر[٥]. وقال القرطبي: . . وفيه ـ أي التثليث ـ خروج عن التوراة والإنجيل والمزامير والنبوات وسائر الكتب[٦].

ـ **إيراد الأدلة من كتب النصارى على وحدانية الله:** حيث ساق كثير من العلماء في معرض مناقشتهم للنصارى وإبطالهم لعقيدة التثليث لديهم الأدلة من التوراة

---

(١) النصيحة الإيمانية ص ٥٦ ـ ٥٧ محمد الشرقاوي.
(٢) الأجوبة الفاخرة ص١١١.
(٣) المحرر الوجيز (٥/ ١٦١ ـ ١٦٢).
(٤) تفسير الرازي (٦/ ٥١).
(٥) تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٨٢).
(٦) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٦١).

والإنجيل التي تثبت وحدانية اللّه سبحانه وتعالى وتنقض التثليث الذي يعتقدونه، فممّا أورده الجعفري من ذلك قول اللّه في التوراة: يا موسى أنا اللّه أنا إله غيور، أنا اللّه وحدي، وليس معي غيري[١].

وقوله لموسى عليه السلام: لا يكون لك إله غيري[٢]. ومن الأدلة التي أوردها القرافي من التوراة على التوحيد وإبطال التثليث قول اللّه سبحانه وتعالى لبني إسرائيل: أنا اللّه ربكم الذي أخرجتكم من أرض مصر من بيت العبودية لا يكون لكم إله غيري[٣]. ومن الإنجيل قول يوحنا: إن المسيح رفع بصره إلى السماء وتضرع إلى اللّه وقال: إن الحياة الدائمة تحب للناس أن يعلموا أنك أنت اللّه الواحد الحق، وأنك أرسلت يسوع المسيح[٤]، ثم علق القرافي على ذلك بقوله: وهذا هو التوحيد المحض[٥].

- **إبطال عقيدة التثليث من خلال** بيان اختلاف النصارى في تفسير هذه العقيدة اختلافاً شديداً، حتى إن بعض فرقهم تكفر البعض الآخر وفي مناقشة القرافي لذلك وضح أن اختلافهم في أصل ديانتهم دليل على أنهم ليسوا على دين، ولا في شيء من أمرهم على يقين[٦]، وقال القرطبي في ثنايا عرضه لعقيدة التثليث لدى النصارى، وسياقه لاختلافاتهم فيها: . . وهم مع ذلك فيما ذكرناه من الأقاليم مختلفون، وبالحيرة عمون[٧]. وقال: وإذا وقفت على هذه الأقاويل الضعيفة والآراء السخيفة لم تشك في تخبطهم في عقائدهم وحيرتهم في مقاصدهم[٨].
- **إبطال عقيدة التثليث من خلال تفنيد أدلة النصارى عليها**: حيث عرض بعض العلماء المسلمين أمثلة من أدلة النصارى على عقيدة التثليث، بياناً لهشاشتها، وإيضاحاً لضعفها، ومن ثم إبطالاً لهذه العقيدة المعتمدة عليها[٩].

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٥٦).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٥٦).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٢٥٦).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٥٧.
(٥) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ص ٥٩.
(٦) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٥٨).
(٧) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٨٠.
(٨) المصدر نفسه ص ٨١.
(٩) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٢٥٩).

ـ **بيان فساد عقيدة التثليث بالأدلة العقلية**: وقد توسع العلماء المسلمون في عصر الحروب الصليبية في إبطال عقيدة التثليث من خلال طلبهم من النصارى عرض هذه العقيدة على العقل السليم المجرد من الهوى وتحكيمه فيها، وسيظهر لهم فساد ما هم عليه ومن ذلك أنه قد كتب أحد علماء النصارى في الأندلس كتاباً سماه ـ تثليث الوحدانية ـ وبعث به إلى المسلمين في قرطبة، فردَّ عليه القرطبي منتقداً عنوان الكتاب، وموضحاً، أن قوله: ـ تثليث الوحدانية ـ مركب من مضاف ومضاف إليه، فالتثليث تعدد وكثرة والوحدانية مأخوذة من الوحدة، ومعناها راجع إلى نفي التعدد والكثرة، فمعنى هذا القول ـ تكثير ما لا يتكثر ـ وتكثير ما لا يتكثر باطل بالضرورة[(١)]، وألزم الجعفري النصارى بلوازم لا مفر لهم منها في قولهم بالتثليث، فإن كانوا يقولون: إن الثلاثة بمجموعها إله واحد، وإن كل واحد على انفراده ليس بإله فإنهم حينئذ يخالفون أمانتهم التي هي أصل إيمانهم والتي يقولون فيها: إن الأب إله واحد، وإن الابن إله واحد، وإن روح القدس إله واحد[(٢)]. وإن قالوا: إن الإله أحدهم والباقي صفات له أبطلوا ثالوثهم، وفسدت أمانتهم ووافقوا المسلمين في أن الإله تعالى واحد وله صفات من العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام، وإن شيئاً من الصفات ليس بإله وإنما الإله ذات موصوفة بالصفات[(٣)]، وإن أثبتوا الإلهية لكل واحد من الثلاثة فإنهم حينئذ كالثنوية من المجوس الذين يقولون بأصلين قديمين مدبرين للعالم، حيث وضع ابن الأنباري استحالة ذلك وأن اللّه سبحانه وتعالى بيَّن هذا الأمر بقوله جلّ وعلا: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢][(٤)].

ب ـ إبطال الاتحاد والتجسد:

يقصد بالاتحاد والتجسد: أن الأقنوم الثاني الابن قد صار جسداً لأجل بني الإنسان وتخليصهم من خطيئة أبيهم فاتخذ طبيعة البشر وحل بين الناس بصورة إنسان هو المسيح، فقبل اللّه اتخاذ الحالة البشرية وانتقى الإنسان مباشرة بهذه

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٧.

(٢) الرد على النصارى، ص ٧٨ ـ ٧٩.

(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٦٣).

(٤) الداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٣٦٢.

الصورة[1]، حيث صار في السيد المسيح طبيعتان: طبيعة لاهوتية، التي هي طبيعة كلمة اللّه وروحه، وطبيعة ناسوتية التي اتخذت من مريم العذراء واتخذت[2] به. قال الجعفري: . . . وزعم النصارى أن ربهم عبارة عن لاهوت وناسوت واتحدا فصارا مسيحاً وكثيراً ما يقولون: اتحد اللاهوت بالناسوت، ويعبرون عن ذلك بالتأنس والتجسد[3]. وكلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت متناقض ومضطرب ولهذا يقال: لو اجتمع عشرة من النصارى لتفرقوا على أحد عشر قولاً. بل إن الأمر بلغ في ذلك أن كل فرقة منهم تكفِّر الأخرى[4]. ومن خلال ردود العلماء المسلمين على النصارى في فترة الحروب الصليبية، ناقشوا هذه العقيدة إما بشكل مستقل، أو ضمن مناقشتهم لقضايا أخرى كألوهية المسيح عليه السلام، أو نبوّته للّه، أو في ردهم لعقيدة التثليث وكان من إبطالهم لدعوى الاتحاد والتجسد ما يلي:

- إن الاتحاد الذي يدعونه لم يشاهدوه بالعيان، ولم يدعيه أوائلهم، حيث وضح الجعفري أنهم إن ادعوا شيئاً من ذلك فقد تحامقوا وأكذبهم عقلاؤهم[5].
- إن أقوال المسيح عليه السلام بأنه إنسان تكذبهم في هذه الدعوى ومن ذلك قوله لليهود: لم تريدون قتلي، وأنا إنسان من بني آدم كلمتكم بالحق الذي سمعته من اللّه؟[6] وقوله: للثعالب أجحار، ولطير السماء أوكار وابن الإنسان ليس له موضع يسند رأسه[7]. فبيَّن الجعفري أن المسيح عليه السلام بهذه النصوص وغيرها أثبت أنه إنسان، وذلك تكذيب لمن يقول: إنه إنسان وإله[8].
- وأشار الجعفري إلى تصريح الإنجيل، بأن المسيح عليه السلام جاع وشبع وتألم

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٦٤).
(٢) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح لابن تيمية (٤/ ٧٦).
(٣) الرد على النصارى ص ٦٥.
(٤) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح (٤/ ٧٦).
(٥) الرد على النصارى ص ٦٥.
(٦) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٦٥).
(٧) المصدر نفسه (١/ ٢٦٥٤).
(٨) المصدر نفسه (١/ ٢٦٥).

واعترضته عوارض البشر، فذلك كله يبطل الاتحاد الذي يزعمه النصارى لأن هذه الأوصاف تنافي الألوهية[١]. وأما من أبرز حجج النصارى على الاتحاد قول المسيح عليه السلام: أنا بأبي وأبي بي[٢]، حيث يقولون: إن هذا تصريح من المسيح بأنه متحد بالله والله متحد به[٣]، فبعد أن أورد الجعفري هذه الحجة لهم رد عليهم بقول يوحنا: تضرع المسيح إلى الله في تلاميذه فقال: أيها القدوس أحفظهم باسمك ليكونوا هم أيضاً شيئاً واحداً كما أنا شيء واحد، قد منحتهم من المجد الذي أعطيتني ليكونوا شيئاً واحداً، فأنا بهم وأنت بي[٤]، ثم وضح معنى ذلك بأنك يا إلهي معي وأنت لي، وأنا أيضاً مع أصحابي وأنا لهم، وكما أنك أرسلتني لأدعو عبادك إلى توحيدك فكذلك أنا أرسلتهم ليدعو إليك، فكن لهم كما كنت لي[٥]. ثم أكد الجعفري أن هذا هو التأويل الصحيح لقول المسيح، وإن عدل عنه فيلزم منه حلول الله سبحانه في رجل من خلقه وأن يكون التلاميذ أيضاً متداخلين مع المسيح ويكون المسيح متداخلاً معهم، ومعنى ذلك، أن الله أيضاً حال في التلاميذ والتلاميذ حالون في الله، وهذا ما لا يقول به النصارى[٦].

ج ـ نفي الألوهية عن المسيح:

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧] وتأليه المسيح قد بدأت بوادره في حياته عليه السلام، واستمر هذا الانحراف بتأثير الفلسفات القديمة والديانات الوثنية السائدة في المناطق التي انتشرت فيها النصرانية حيث تسربت إليها مع بولس اليهودي من دور كبير في هذا الانحراف بديانة النصارى وإفسادها عقيدة وشريعة[٧]، وبذلك انقسم النصارى بعد المسيح عليه السلام إلى قسمين: طائفة جنحت للشرك بالله بتأليه المسيح ونبوّته، وقد استمر هذا الوضع والنزاع في طبيعة المسيح عليه السلام حتى مطلع

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٦٦).
(٢) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٦٨).
(٣) تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل (١/ ٤١٢).
(٤) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٦٩).
(٥) تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل (١/ ٤١٣).
(٦) دور بولس في إفساد النصرانية ص ٢١٦.
(٧) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٦٩).

القرن الرابع الميلادي حين حمل لواء التوحيد ـ أريوس المصري[١]، الذي أنكر معتقدات بولس وقرر أن المسيح ليس إلهاً ولا ابن إله[٢]، واشتد الصراع لذلك بين أتباع وثنية بولس وتوحيد أريوس، حتى دخل قسطنطين حاكم الرومان بالنصرانية فأمر بعقد مجمع ديني ضخم لجميع الكنائس، وذلك للفصل في أمر الخلاف بين أريوس ومعارضيه، حيث عقد مجمع نيقيه سنة ٣٢٥م الذي حضره ألف وثمانمائة وأربعون من الأساقفة الذين اشتد الخلاف بينهم في طبيعة المسيح حتى انسحب أكثرهم ولم يبق إلا ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً وكان قسطنطين بخلفيته الوثنية يميل إلى رأي تأليه المسيح عليه السلام، فأيد هذا الرأي وانتهى هذا المجمع إلى قرارات أهمها القول بألوهية المسيح وتكفير أريوس وأتباعه[٣].

وقد تصدى العلماء المسلمون في فترة الحروب الصليبية إلى مناقشة دعوة ألوهية المسيح عليه السلام وتفنيد أدلة النصارى وشبههم التي يعتمدون عليها في ذلك وكان إبطال هذه العقيدة على النحو التالي:

- بيان كفر من يؤمن بهذه العقيدة ابتداءً، إذ وضح القرطبي كفر النصارى، إذ غلوا بالمسيح عليه السلام حتى جعلوه إلهاً[٤]. وذكر ابن الجوزي أن الذين كفروا من النصارى هم المقيمون على اعتقاد الألوهية بالمسيح[٥] عليه السلام. وقال عطية عن النصارى: . . . إنما الحق أنهم على اختلاف أحوالهم كفار من حيث جعلوا في الإلهية عدداً، ومن حيث جعلوا لعيسى عليه السلام حكماً إلهياً[٦].
وقال الجعفري: وأما النصارى فإنهم مجمعون على ألوهية المسيح واعتقاد ربوبيته وأنه الإله الذي خلق العالم وجبل بيده طينة آدم[٧]، ثم ناقش فساد هذه العقيدة مبيناً كفرهم وبطلان معتقدهم، ومنزهاً اللّه عن كفرهم وضلالهم تعالى اللّه عما يقولون علواً كبيراً[٨].

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٧٠).
(٢) المصدر نفسه.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٧٠).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٧٦)
(٥) زاد المسير (٢/ ٣٠٦)
(٦) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٧١)
(٧) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٦٥)
(٨) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٢٧١)

- عدم ذكر عقيدة الألوهية في المسيح من الأنبياء السابقين: حيث وضح القرافي ذلك وعليه فالنصارى إما أنهم يكفرون بهؤلاء الأنبياء المذكورين في كتبهم لنسبتهم الجهل بخالقهم وإما أنهم يكذبون بكتبهم، إذ ليس فيها حرف واحد يدل على أن أحداً من هؤلاء الأنبياء قال: إن المسيح إله[١].

- نفي المسيح عليه السلام الألوهية عن نفسه، وتصريحه بذلك في التوراة والإنجيل، حيث استشهد عدد من العلماء بنقول منهما توضح ذلك، منها ما أورده القرافي من أن الشيطان قال ليسوعَ: .. اسجد لي وأعطيك ملك الأرض، قال له يسوع: اذهب عني يا شيطان: إن الله أمر في التوراة ألا يسجد لغيره، ولا يعبد إله سواه[٢]، فدل ذلك على أنه كان متعبداً بأحكام التوراة ولا متعبد إلا مكلف مربوب[٣].

- إبطال ألوهية المسيح عليه السلام بأدلة عقلية منها:

- حاجة المسيح عليه السلام إلى الأكل والشرب واتصافه بالصفات البشرية الأخرى التي تستحيل على الإله:

قال البوصيري:

أسمعتم أن الإله لحاجة يتناول المشروب والمأكولا
وينام من تعب ويدعو ربه ويرود من الحر الهجير مقيلا
ويمسه الألم الذي لم يستطع صرفاً له عنه ولا تحويلا[٤]

وقال نصر بن يحيى المتطبب: ... تقولون - أي النصارى - إنه بقي مدة الحمل في أحشاء مريم، واغتذى بدم طمثها ورضع لبنها، وأكل، وشرب، ويخضع، ويذل، ويمتهن، ويعذب بكل أنواع العذاب، ويتألم... وهذه جميعها من صفات البشر وليس من صفات من يدعى له بالألوهية[٥].

وبمثل ذلك احتج الجعفري على النصارى في نفي الألوهية عن المسيح[٦].

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٧١)
(٢) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٧٢).
(٣) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ص ٦٠.
(٤) منظومة البوصيري في الرد على النصارى ص ٦٠.
(٥) منظومة البوصيري في الرد على النصارى واليهود ص ٧.
(٦) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٧٣).

- عجز المسيح عليه السلام عن المدافعة عن نفسه حينما صلب بزعمهم ينفي عنه الألوهية: حيث وضح الرازي أنه إذا كان إلهاً، أو ابن إله، أو كان جزءاً من الإله حالاً فيه، فلم لم يدافع عن نفسه، ولم يهلك أعداءه المتربصين به مع قدرته على ذلك، وأي حاجة له بإظهار الجزع واحتمال الألم والتعرض للإهانة(١)؟.

- وقرر الخزرجي النصارى بما يعتقدونه من أن الرب صعد فصار على يمين الرب وآثر الصلب. ثم ناقشهم متسائلاً عن هذين الربين أيهما خلق صاحبه، فالمخلوق إذاً ضعيف عاجز ليس إله وهل هذان الربان إذا أرادا أمراً فلمن الحكم منهما، فالذي له الحكم هو الرب القادر، والآخر عاجز ليس بإله(٢)، ثم خاطب الخزرجي النصارى بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

- وعرض الجعفري قول النصارى: إن المسيح عليه السلام هو إله العباد وخالقهم ورازقهم وبارئهم ومدبرهم في جميع أحوالهم، ثم تساءل: كيف كان حال الوجود والإله في اللحود(٣)؟. ومن الذي كان يقوم برزق العباد ويدبر شؤونهم وإلههم مصلوب(٤).

- وبيَّن الجعفري زعم النصارى أن المسيح خلق آدم وذريته أجمعين، ثم اعترض عليهم بقوله: . . . فمريم من خلقها؟ فإن قالوا: ليست من خلقه نقضوا مقالهم، وإن زعموا أنه خلقها فيقال لهم: . . كيف تلد المسيح وهو خالقها؟ أم كيف ترضعه وهو رازقها؟، أسمعتم يا معشر العقلاء بامرأة ولدت خالقها، وأرضعت ثديها رازقها؟

- وسأل القرافي النصارى، هل الإله يعلم الغيب أم لا؟ فإن قالوا: لا، كذبتهم كتبهم لإثباتها ذلك وإن قالوا: نعم بطل اعتقادهم الألوهية بالمسيح لأن نصوص الإنجيل توضح عدم علمه بالمغيبات(٥).

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٢) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٣) تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل (١/ ٣٩٦).

(٤) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٧٥).

(٥) المصدر نفسه (١/ ٢٧٥).

ـ إبطال ألوهية المسيح عليه السلام من خلال تفنيذ شبه النصارى التي يستدلون بها على ذلك.

ـ مما يستدل به النصارى في إثباتهم الألوهية للمسيح عليه السلام، أنه نفخة من روح اللّه بعد أن سواه من تراب[١].

ثم قال مخاطباً أحد قساوسة النصارى: . . . فلماذا أوجبت الألوهية لعيسى ولم توجبها لآدم وأنت تقر له بروح من اللّه في حجاب من تراب[٢].

ـ مما يعتمد عليه النصارى في إثباتهم الألوهية للمسيح عليه السلام معجزته التي أجراها اللّه على يديه، تأييداً له، وتصديقاً لنبوّته وقد ناقش نصر بن يحيى المتطبب ذلك مبيناً أن يلزمهم في إثباتهم الألوهية للمسيح بسبب معجزاته إثباتها أيضاً لبقية الأنبياء الذين أجرى اللّه سبحانه وتعالى على أيديهم مثل هذه المعجزات، ثم أورد أمثلة لمعجزات الأنبياء السابقين لعيسى عليه السلام من التوراة والإنجيل، ومع ذلك لم يكن أحد منهم بها إلهاً أو ينسبه أحد إلى الألوهية، ففي سفر الملوك ورد أن إلياس أحيا ابن الأرمل، واليسع أحيا الإسرائيلية وحزقيال أحيا خلقاً كثيراً، وأخبرت التوراة أن يوسف أبرأ عين أبيه يعقوب بعد أن ذهبت، وموسى طرح العصا فصارت حيَّة لها عينان تبصران بها، وفي إنجيل لوقا ورد أن اليسع أبرأ أبرصاً، وأبرص صحيحاً، وهذا أعظم من فعل المسيح، ولم يكن واحد من هؤلاء الأنبياء بمعجزاته إلهاً، فلم تثبت الألوهية بها للمسيح فقط[٣]؟ ووضح القرافي بطلان جعل المعجزة دليلاً على الألوهية من خلال إيراده مجموعة من معجزات الرسل عليهم السلام ولم يكونوا بها آلهة أو يدعيها أحد لهم[٤].

ـ **نفي بنوة المسيح للّه سبحانه وتعالى**: مما يعتقده النصارى بنوة المسيح عليه السلام للّه سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وأن الابن مساوٍ للأب في الوجود وأن الأب خلق العالم بواسطة الابن الذي نزل بصورته البشرية فداء لبني آدم، وهو الذي يتولى محاسبة الناس يوم

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٠٦ ، ١٠٧.

(٢) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ١٢٩.

(٣) النصيحة الإيمانية ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٤) دعوة المسلمين في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٧٦).

القيامة، ويصرحون بذلك بأمانتهم التي لا يتم إيمان نصراني إلا بها: نؤمن بالله الواحد الأب ضابط الكل، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى. وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بموضوع إله حق من إله حق[١] وقد تصدى علماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية إلى مناقشة هذه العقيدة الضالة وبيان فسادها وكان ذلك على النحو التالي:

- **بيان فساد هذه العقيدة وكفر من يعتقدها ابتداء**: قال القرطبي: . . وظاهر قول النصارى أن المسيح ابن الله إنما أرادوا بنوَّة النسل، كما قالت العرب في الملائكة. . هذا أشنع الكفر[٢]. وقال الجعفري بعد أن عرض عقيدة النصارى في بنوة المسيح لله: واعلم أن هذه دعوة ملفقة وعقيدة هامتها بسيوف أدلة الإسلام مغلقة والدليل على فسادها المعقول والمنقول[٣]، وقد بيَّن الرازي: أن نسبة المسيح عليه السلام إلى البنوة للَّه سبحانه وتعالى أفحش أنواع الكفر، وأن ذلك من دسائس بولس في ديانة النصارى بعد رفع عيسى عليه السلام[٤].
- **ذكر الأدلة من كتب النصارى على نفي بنوة المسيح**: حيث أورد بعض العلماء مجموعة من الأدلة من كتب النصارى تدل دلالة صريحة على نفي بنوة المسيح للَّه كما يدعيها النصارى، ومن ذلك ما أورده الجعفري من إنجيل مرقص حيث قال: خرج المسيح وتلاميذه إلى البحر وتبعه جمع كثير، فأبرأ أعلالهم وشفاهم، فجعلوا يزدحمون عليه ويقولون: أنت ابن اللّه؟ فكان ينهاهم[٥]، ونص آخر أورده الجعفري وهو أن لوقا قال: كان كل من له مريض يأتي به إلى يسوع فيضع يده عليه فيبرأ فيقول: أنت ابن اللّه، فكان ينهرهم ولا يدعهم ينطقون بهذا[٦]. ثم علق الجعفري بعد هذه النصوص بقوله: فهذا الإنجيل يكذِّب من يدعي ذلك على السيد المسيح ـ أي أنه ابن اللّه[٧].

---

(١) تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٠١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن نقلاً عن دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٢٧٧).
(٣) الرد على النصارى ص ٥٧.
(٤) تفسير الرازي (٨/ ٢٨).
(٥) إنجيل لوقا الإصحاح (٣/ ٧ ـ ١٢).
(٦) إنجيل لوقا الإصحاح (٤/ ٤١).
(٧) الرد على النصارى للجعفري ص ٦١.

وقد وضح العلماء بعض الأدلة العقلية في نفي بنوة المسيح للّه عز وجل والتي منها:

- عجز المسيح عليه السلام عن المدافعة عن نفسه حينما أراد به أعداؤه كيداً حيث وضح الرازي أنه لو كان إلهاً أو ابن إله، أو كان جزءاً من الإله حالاً فيه لم يهلكه أعداؤه المتربصون به مع قدرته على ذلك، وأي حاجة إلى إظهار الجزع واحتمال الألم والتعرض للإهانة[١]، بل أين والده عنه وهو القادر على كل شيء، حيث ساق القرافي أبيات شعرية ضمن مناقشته للنصارى متسائلاً فيها عن ضعف ابن الإله وعدم مدافعة والده عنه:

عجبي للمسيح بين النصارى وإلى أي والد نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا إنهم بعد قتله صلبوه
وإذا كان ما يقولون حقاً وصحيحاً فأين كان أبوه[٢]

- ولعجز المسيح وهو ابن اللّه بزعم النصارى عن المدافعة عن نفسه، فالأولى لهم عقلاً أن يعبدوا عدوّه الذي استطاع بزعمهم قتله وصلبه، فهم يقولون: إن المسيح بعد إيذائه وقتله وقيامه من بين الأموات صعد ليجلس على يمين أبيه يستريح ثم سيعود لمحاربة عدوّه[٣]. وعلق القرافي على ذلك قائلاً: . . وما أجدرهم بأن يعبدوا الآن عدوه ويتركوه فإن الغلب الآن لعدوّه والمتوقع في المستقبل لا يدرى كيف هو، ولعل الكسرة في النوبة الثانية تكون أعظم[٤].

- أن المسيح وهو ابن اللّه بزعم النصارى معترض على قضاء اللّه متبرم من لقائه وهو أولى الناس بالرضاء والرغبة في لقاء اللّه، إذ وضح القرافي أن النصارى مقرين أن المسيح تألم وتبرم عند قتله وصلبه وقال: إلهي إلهي لم خذلتني[٥]؟ ويعتقدون أنه نزل ليصلب إيثاراً للعالم بنفسه تخليصاً لهم من الشيطان ورجسه، ثم تساءل القرافي: كيف لا يرضى ابن اللّه بقضاء اللّه، وهو سوف يذهب للقاء

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٢٧٨).
(٢) الأجوبة الفاخرة ص ٥٩.
(٣) المصدر نفسه ص ١١٧.
(٤) المصدر نفسه ص ١١٧.
(٥) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٧٩).

والده، فينبغي أن يكون ولد الرب الأثبت عند المصائب، والأكثر رغبة في لقاء والده[١].

- وقد نفى نصر بن يحيى المتطبب بنوّة المسيح عليه السلام للّه سبحانه وتعالى باعتراضه على النصارى من خلال أمانتهم التي يعتقدونها إذ يقولون فيها: إن المسيح مولود من أبيه أزلي.. وأنه خالق الخلائق كلها..، فإذا كان الأمر كما يقول النصارى، فالمسيح ليس أزلياً، لأنه حادث بولادته، وإذا كان هو خالق الخلائق كلها، فأي فضل للأب على الابن[٢]؟

- وقد عمل العلماء على إبطال بنوّة المسيح للّه سبحانه من خلال تفنيد أدلة النصارى على ذلك، فقد استدل النصارى على بنوّة المسيح للّه ولادته من غير أب، وقد ردّ القرافي على ذلك بأن الأولى إثباتها لآدم لأنه وجد من غير أب، ولم يباشر الأرحام، ولا تطور في أطوار البشر[٣].

- وقد بيّن العلماء إبطال بنوّة المسيح من خلال إيضاح المعنى الصحيح للبنوّة والأبوة اللتين وردتا في كتب النصارى: فبعد أن أورد الجعفري مجموعة من النصوص التي فيها لفظة البنوّة كما في النصوص السابقة وضح أنه إن كان النقل لها فاسداً فلا بنوّة، وإن صح فإن معناها العبودية والخدمة والاجتباء والاصطفاء، فقول اللّه في الإنجيل: «هذا ابني» أي عبدي: والدليل أنها لم ترد في كتب النصارى في الغالب إلا مقرونة بالعبودية والخدمة، وإن وردت مطلقة فيحمل المطلق على المقيد، مثال ذلك في التوراة قول اللّه تعالى: (يا موسى قل لفرعون): يقول لك الرب الإله: إسرائيل ابني بكري، أرسله يعبدني[٤]، ففسر البنوّة بالعبودية[٥]. ووضح القرافي أن معنى الأبوة للّه إحسانه لخلقه إحسان الآباء للأبناء وهو المراد من قول المسيح: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم. والأبوة على هذا المعنى أمر مشترك بين عيسى وبقية الخلق وهو معنى قول اليهود في القرآن: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]. ثم إن

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٧٩).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٧٩)

(٣) الأجوبة الفاخرة ص ١٠٢.

(٤) التوراة، سفر الخروج الإصحاح (٤/ ٢١).

(٥) الرد على النصارى ص ٦١.

النصارى يحكمون بأبوة الولادة بصدر الكلام وهو قوله: أبي، ويعقلون عن قوله: وأبيكم، وعن قوله: وإلهي وتصريحه عليه السلام بأنه مخلوق مربوب، له إله يعبده[(١)].

د ـ إبطال عقيدة الصلب والفداء:

تعدُّ قضية الصلب والفداء من أهم عقائد النصارى، إذ يعتقدون أن هناك خطيئة ملازمة لكل إنسان يولد على هذه الأرض، وهذه الخطيئة موروثة منذ زمن آدم عليه السلام الذي أخطأ في حق ربه بأكله من الشجرة التي نُهي عن الأكل منها فاستحق لذلك العقوبة، وأورث هذه الخطيئة لذريته من بعده، ومن رحمة اللّه إنهاء الخطيئة المتوارثة بأن أنزل ابنه ليقتل ويُصلب فداء للبشرية وتكفيراً لخطيئة أبيهم آدم[(٢)]. وقال القرطبي في عرضه لعقيدة الصلوبية عند النصارى: لا خلاف عند النصارى أن إنكار صلب المسيح كفر، ومن شك فيه فهو كافر[(٣)].

وفي رسالة أحد القساوسة إلى أبي عبيدة التي عرض عليه فيها دين النصرانية، ودعاه إلى الدخول فيه وضح له عقيدة الصلب بقوله: حمداً للَّه الذي هدانا لدينه، وأيدنا بيمينه وخصنا بابنه ومحبوبه، ومدَّ علينا رحمته بصلب يسوع المسيح إلهنا الذي خلق السموات والأرض وما بينهن والذي فدانا بدمه المقدس، ومن عذاب جهنم وقانا، ورفع عن أعناقنا الخطيئة التي كانت في أعناق بني آدم بسبب أكله من الشجرة التي نُهي عنها، فخلصنا المسيح بدمه، وفدانا بدمه، ومن عذاب جهنم وقانا[(٤)].

وقد ناقش العلماء المسلمون هذه القضية موضحين عدم وقوع الصلب على المسيح عليه السلام ومبطلين أساس هذه العقيدة ـ وهو الفداء بسبب الخطيئة ـ وذلك بتفنيد أدلة النصارى ومزاعمهم حولها، وفيما يلي عرض لذلك:

ـ **إبطال الصلب**: وقد كان إبطال هذه العقيدة على النحو التالي:

- بيان عقيدة المسلمين في أن عيسى عليه السلام لم يُقتل ولم يصلب فعند تفسير

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٠١.
(٢) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح (٢/١٠٧ ـ ١٠٨).
(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢٨٢.
(٤) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ٥٩ ـ ٦٠.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، وضح ابن الجوزي أقوال العلماء في ذلك مبيناً فيها أن الذي قتل وصلب ليس المسيح عليه السلام وإنما هو شخص منهم ألقي عليه شبه المسيح، أما المسيح فقد رفعه اللّه إليه[١]، وبيَّن القرطبي أن هذه الآية رد على النصارى وأنهم لم يقتلوا المسيح عليه السلام، بل ألقي شبه على غيره[٢]. وعند قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] وضح القرطبي أن مكر اللّه هو إلقاء شبه عيسى على غيره، ورفعه عليه السلام إليه، حيث رفعه جبريل إلى السماء وذلك في كوة البيت الذي لجأ إليه، وألقي شبه عيسى على يهوذا الذي دخل في أثره فأخذ وقتل وصلب[٣]. وقال أيضاً: والصحيح أن اللّه تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم، كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس[٤]. ومعنى الوفاة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي قابضك إليَّ[٥]، وفي مناقشة القرطبي لعقيدة الصلب لدى النصارى قال: . . . إن عيسى ابن مريم لم يقتله اليهود ولا غيرهم، بل رفعه اللّه إليه من غير قتل ولا موت[٦]. وبعد أن عرض الجعفري قصة صلب المسيح عليه السلام في رأي النصارى ختم بقول اللّه تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

وذكر الأدلة من كتب النصارى على عدم وقوع الصلب، وهي كثيرة فمن ذلك:

- **ما أورده الجعفري أن متى قال في إنجيله**: إن رئيس الكهنة أقسم باللّه الحي على المأخوذ: أما قلت لنا إن كنت المسيح ابن اللّه الحي؟ فقال له: أنت قلت[٧]. حيث عقب الجعفري على ذلك بقوله: . . وذلك من أدل الدلالة على أن المأخوذ ليس هو السيد المسيح، ولو كان هو المسيح نفسه لم يوار في

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٦٤).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٦٥).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٦٤).
(٥) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٨٤).
(٦) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢٨٤.
(٧) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٨٥).

الجواب.. وكيف المسيح ويقسم عليه بالله تعالى: أين المسيح؟ فلا يقول له: أنا المسيح[١].

- إن مستند النصارى في إثبات الصلب هو نصوص من الإنجيل والإنجيل قابل للتحريف والتبديل وفيه من التناقض الشيء الكثير والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصر.

- إن النصوص التي يستدل بها النصارى على صلب المسيح ليست قاطعة في ذلك بل يتطرق إليها الاحتمال الكبير في أن المصلوب غير عيسى ومن شواهد ذلك:

- جاء في الإنجيل أن المصلوب استسقى اليهود ماءً فأعطوه خلّاً ممزوجاً والأناجيل كلها مصرحة بأنه كان يطوي أربعين يوماً وليلة ويقول للتلاميذ: إن لي طعاماً تعرفونه، وبعد أن أورد الخزرجي ذلك عقب عليه متسائلاً كيف بمن يستطيع الصبر أربعين يوماً على الجوع والعطش بأن يظهر الحاجة والمذلة لأعدائه بسبب عطش يوم واحد؟ وهذا لا يفعله أدنى الناس فكيف بخواص الأنبياء؟ لذلك فإن المدعي للعطش غير المسيح عليه السلام[٢].

- **إن المسيح عند صلبه في زعم النصارى قال**: إلهي إلهي لِمَ خذلتني، وقد ناقش الخزرجي ذلك بأن هذا القول من عيسى عليه السلام فيه اعتراض على قضاء الله، وهذا مما ينزه عنه، خصوصاً وإن النصارى يذكرون أن الصلب كان لتخليص الناس من الخطيئة، فكيف يفديهم بنفسه راضياً مختاراً، وهذا القول منه فيه تبرم وعجز ورغبة في الخلاص من قبضة من أراد به السوء، مع ما يضاف إلى ذلك من أن النصارى يروون في كتبهم أن الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب كانوا مستبشرين عند الموت بلقاء الله ولم يهابوا مذاقه مع أنهم عبيد الله والمسيح ابن الله بزعم النصارى فينبغي أن يكون أثبت منهم، ذلك كله يدل على أن المصلوب غير عيسى ابن مريم[٣].

وقد تصدى العلماء لعقيدة الصلب وهو الفداء بسبب الخطيئة وبينوا بطلانها وكان ذلك على النحو التالي:

- إيضاح مبدأ الإسلام في أن الإنسان لا يؤاخذ بذنب غيره، فبعد أن وضح

---

(١) الرد على النصارى ص ٧٤.

(٢) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ٢٨٦.

(٣) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ١٦٤.

الجعفري أن التوبة تكفر الذنب، وأن الإنسان لا يؤاخذ بخطيئة غيره ثم أورد على ذلك نصوصاً من كتب النصارى عقب بعدها بقوله: . . . وذلك موافق لقول ربنا جلَّ اسمه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ـ ذكر الأدلة من كتب النصارى والتي تنفي أن يعاقب الإنسان بذنب غيره حيث أورد الجعفري مجموعة من النصوص من كتب النصارى تهدم أساس اعتقادهم بالصلب وأنه كان تكفيراً لخطيئة آدم عليه السلام، فمن ذلك ما جاء في التوراة إن اللّه قال لقابيل: إنك إن أحسنت تقبلت منك، وإن لم تحسن فإن الخطيئة رابضة ببابك(١). وقوله: لا آخذ الولد بخطيئة والده ولا الوالد بخطيئة ولده، طهارة الطاهر له تكون، وخطيئة الخاطئ عليه تكون(٢).

ـ وقد وضح كثير من علماء عصر الحروب الصليبية الذين ناقشوا النصارى ومنهم على سبيل المثال: الخزرجي والقرطبي أن الصلب الذي وقع على عيسى تكفيراً لخطيئة آدم يتنافى مع عدل اللّه، وأن هذا من الظلم الذي ينزه اللّه عنه، فلا يأخذ سبحانه وتعالى أحداً بذنب غيره(٣).

ـ وعلى زعم النصارى أن البشرية غارقة في خطيئة أبيهم آدم عليه السلام، ثاوية بالجحيم حتى جاء عيسى عليه السلام وخلصهم من ذلك بصلبه، تساءل كل من الخزرجي والقرطبي هل من هؤلاء الثاوين بالجحيم أنبياء اللّه إبراهيم وموسى وغيرهم ثم يجيبان على ذلك التساؤل بأن هذا لو كان لصرحت به التوراة ونطق به الأنبياء السابقون لعيسى عليه السلام(٤).

ـ وبعد أن وضح القرافي أن صلب المسيح على قول النصارى إنما كان لخلاص العالم من خطيئة أبيهم آدم، سألهم ما معنى هذا الخلاص الذي يريدونه؟ هل هو من شرور الدنيا وآفاتها؟ فها هم مشاركون لسائر البشر في الخير والشر. أو من تكاليف العبادة؟ فها هم مخاطبون بالمبادرة. أو من أهوال يوم القيامة؟ فيكذبهم الإنجيل الذي ورد به قول اللّه: إني جامع الناس في يوم القيامة عن يميني وشمالي، فأقول لأهل اليمين: فعلتم خيراً، فاذهبوا إلى النعيم، وأقول

---

(١) سفر التكوين الإصحاح (٤/ ٧).
(٢) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٨٧).
(٣) مقامع الصلبان ص ١٨٣.
(٤) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

لأهل الشمال؛ فعلتم شراً فاذهبوا إلى الجحيم[١]. وبناء على ذلك فما فائدة الصلب والفداء إذن[٢]؟

ـ وبعد أن قرر الجعفري النصارى بقولهم: إن سبب الصلب هو التكفير من خطيئة آدم عليه السلام، ثم قولهم بتوبة آدم من هذه الخطيئة كما تصرح بذلك كتبهم ألزمهم بلازمين لا مفرد لهم منها:

ـ إن اعترفوا بتوبة آدم فما فائدة الصلب الذي يعتقدونه؟.

ـ إن قالوا بعدم توبته كذبتهم، وكلا اللازمين يبطلان عقيدة الفداء من الخطيئة[٣].

رابعاً

مناقشة شعائر النصارى وطقوسهم

تعدُّ النصرانية فقيرة في تشريعاتها وأحكامها والعناية الكبرى فيها بالروحانيات التي أهملها اليهود حينما أفرطوا في ماديات الحياة، وهذا ما يؤكد أنها تكملة لأديان بني إسرائيل[٤]، وقد عبر أحد العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية عن ذلك بقوله: ليس للنصارى شيء من الأحكام والفرائض والسنن المحتاج إليها في المعاملات والمناكحات والأناجيل التي بأيديهم ليس فيها سوى مواعظ ووصايا قد خلطت بكفر بواح.. وأي شيء استحسنوه بعقولهم شرعوه وحكموا به[٥]. وقد كان النصارى الأوائل يوجبون على أنفسهم ما أوجبته التوراة والإنجيل، ويحرمون على أنفسهم ما حرمته، ولا يستثنون من ذلك إلا ما صرح المسيح نفسه بنسخه أو تعديله، واستمروا على ذلك حتى رفع المسيح حيث أخذ بعد ذلك دعاة النصرانية يغيّرون ويبدلون في التشريع حسب أهوائهم وكانت حجتهم في ذلك جذب أكبر عدد ممكن من الأمميين إلى الدخول في النصرانية[٦]، ولذلك فغالب الشعائر والطقوس النصرانية

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٠٩.
(٢) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٨٨).
(٣) تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل (١/ ٣٦٩).
(٤) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٨٩).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٢٩٠).
(٦) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ٣٤١ ـ ٣٤٤).

اليوم من وضع بولس، ولا ينكر دور المجامع في الإلغاء أو الإضافة فيها، ثم لما أثبتت العصمة للبابا صار له الحق في إصدار القرارات والأحكام، ما تسرب للنصرانية من طقوس وعبادات وثنية انتقلت إليها من المناطق والشعوب التي امتدت إليها النصرانية في عهودها الأولى[١]. ومما يجدر ذكره أن الطقوس والشعائر النصرانية المبتدعة كثيرة جداً، وتناول العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية لها ليس على سبيل الحصر، وإنما أمثلة توضح تحريف النصارى لديانتهم وابتداعهم فيها وبطلان ما استندوا عليه من إثباتها. وقال القرطبي في مقدمة مناقشته لبعض عبادات النصارى وطقوسهم: غرضنا من هذا الفن أن نجمع مسائل من قواعد أديانهم، ونبين فسادها، وأنهم ليسوا على شيء فيها، بل تركوا نصوص التوراة والإنجيل وعملوا لخلافها من غير حجة ولا دليل[٢]، وفيما يلي عرض لبعض جهود علماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية في مناقشتهم لبعض عبادات النصارى وطقوسهم[٣].

١ ـ المعمودية:

المعمودية أو التعميد شعيرة من شعائر النصرانية لا يقبل إيمان نصراني إلا بها وهو عند النصارى يعني الغطس بالماء باسم الأب والابن وروح القدس إشارة إلى التطهير من أدران الخطيئة بدم المسيح[٤]. وقد حل التعميد عند النصارى محل الختان في اليهودية[٥]، ومستندهم فيه قول المسيح عليه السلام: فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس[٦]، وإن يوحنا عمَّد المسيح في وادي الأردن فخرج منه روح القدس كالحمامة على الماء[٧]. ومن علماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية الذين ناقشوا المعمودية لدى النصارى القرطبي، حيث وضح صفتها عند نصارى الأندلس بقوله: إن الذي يريد أن يدخل في دينهم، أو التائب منهم تتقدم الأقسّة منه فيمنعونه من اللحم والخمر أياماً ثم يعلمونه اعتقادهم وإيمانهم، فإذا تعلم ذلك اجتمع له القسيسون فتكلم

(١) موقف ابن تيمية من النصرانية (٢/ ٧٦٤).
(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٠٢.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٢٩١).
(٤) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٢٤٠.
(٥) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٩٢).
(٦) الكتاب المقدس، إنجيل متى الإصحاح (٢٨/ ١٩).
(٧) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٩٢).

بعقيدة إيمانهم أمامهم، ثم يغطسونه في ماء يغمره، وقد اختلفوا هل يغطسونه مرة واحدة أو مرتين أو ثلاثاً؟ فإذا خرج من ذلك الماء دعا له الأسقف بالبركة ووضع يده على رأسه[١]، ثم بيَّن القرطبي بعد ذلك أنه ربما اختلفت صفتها، لكنها عندهم عبادة مؤكدة ومن يقبلها عندهم فهو كافر[٢]. ثم أبطل القرطبي هذه المعمودية التي ابتدعوها على النحو التالي:

- أنه لم يرد ذكرها في التوراة ولم يشرعها اللّه لنبيه موسى عليه السلام.
- أن مستند النصارى في هذه المعمودية هو فعل يحيى عليه السلام والحواريين، فإذا صح ذلك من يحيى والحواريين فلِمَ لا يكون خصوصية لهم ؟ وإن قلتم أيها النصارى إنه ليس بخصوصية فأتوا بالدليل ولن تقدروا[٣].

وزاد القرافي على ذلك بقوله: ولو سلمنا عموم شرعيتها فَلِمَ زدتم العدد، ووضع اليد على الرأس، أو النفخ في الوجه ولم يُنقل ذلك عمن تقدم منكم؟ ولِمَ تكفرون مخالفيها من غير دليل[٤]؟

- وبيَّن القرطبي أنه لعل يحيى والحواريين عمَّدوا الناس لأن ماءهم كان مقدساً ودعاءهم متقبلاً، فيحيى نبي والحواريون أنبياء بزعمكم أيها النصارى، أما أنتم فَلِمَ تعمدونهم؟ فلستم أنبياء وماؤكم ليس مقدساً فلستم إذن مثلهم[٥].
- وناقش كل من القرطبي والقرافي النصارى في أصل المعمودية لديهم، هل كان عيسى عليه السلام قبل أن يعمده يحيى مقدساً أم لم يكن؟ فإن كان مقدساً فلا فائدة من فعل يحيى، ولماذا لم ينزل عليه روح القدس قبل التعميد؟ وإن كان غير مقدس فكيف يكون من ليس بمقدس إلهاً أو ابن إله؟[٦] ثم ختم القرافي مناقشته للنصارى في مسألة المعمودية بقوله: وهل هذا كله إلا هذيان، وضرب من الخذلان؟ وهذا ـ أي المعمودية ـ على أظهر أحكام شريعتهم وأقواها مستنداً فكيف بأضعفها[٧].

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٠٣.
(٢) المصدر نفسه ص ٤٠٣.
(٣) المصدر نفسه ص ٤٠٣.
(٤) المصدر نفسه ص ٤٠٥ دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٩٤).
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه ص ٤٠٥ دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٩٤).
(٧) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٩٤).

٢ ـ الاعتراف وصكوك الغفران:

الاعتراف في النصرانية يعني أن يأتي المذنب ويعترف بخطاياه وذنوبه أمام القس أو الكاهن في الكنيسة ثم يمسحه هذا الكاهن فتغفر ذنوبه[١]، وقد استخدمت الكنيسة في أوروبا الغفران من الذنوب وسيلة من وسائل التشجيع على الحروب الصليبية ضد المسلمين سواء كان ذلك في المشرق أو في الأندلس[٢]، ومن علماء عصر الحروب الصليبية الذين ناقشوا هذه القضية إذ وضح أنه لا بدّ للمذنب ليغفر له من كفارة وتلك الكفارة بحسب ما يظهر لقساوستهم ويرونه موافقاً لغرضهم، فتارة يوجبون على المذنب خدمة الكنيسة، وتارة لا يدخلها بل يقف عندها متذللاً، وتارة يوجبون عليه مالاً لملكهم، أو لهم ولكنائسهم[٣]، ثم ضرب القرطبي أمثلة على بعض الذنوب وما شرعه قساوستهم لغفرانها منكراً عليهم أن يجعلوا أنفسهم مشرعين وينزلوا أنفسهم منزلة رب العالمين في التشريع والغفران، على الرغم من أن كثيراً من هذه الذنوب له حكم في التوراة التي يؤمنون بها[٤]، ووضح القرافي أن قسس النصارى أنزلوا أنفسهم منزلة اللّه سبحانه وتعالى في غفران الذنوب، وهم بهذا الابتداع الذي هو من عند أنفسهم يبعثون العصاة على المجاهرة ويشيعون الفاحشة وينشرون الفضيحة في الذراري والأعقاب وأي مفسدة أعظم من هذه[٥]. ثم ذكر القرافي مشاهدته لذلك وآثاره في المدن الصليبية النصرانية كعكا وغيرها من سائر مدن النصارى[٦]، وبيَّن الجعفري أن هذه البدعة لدى النصارى وسيلة للتحكم في حال المذنب وماله لصالح أكابرهم، ثم أبرز خطرها على الشخص وعلى المجتمع بإشاعة الفاحشة ونشر الفضيحة، مختتماً ذلك بالإشارة إلى أن هذه البدعة لا أصل لها في شريعة أو نصّ عليها موسى، لكنها مختلفة من جهلة مشايخ النصارى[٧].

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٠٩.
(٢) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٩٤).
(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٠٥..
(٤) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٩٥).
(٥) الأجوبة الفاخرة ص ١٢٧.
(٦) المصدر نفسه ص ١٢٧.
(٧) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٩٥).

٣ ـ أعياد النصارى:

أعياد النصارى كثيرة جداً، فكل حدث ذو أهمية بالنسبة لهم يعظمونه ويحتفلون به، ثم يتحول لدى الأجيال اللاحقة إلى عيد يحتفل به إحياءً لذكراه، فابتدعوا لذلك أعياداً كثيرة ما أنزل اللّه بها من سلطان، وفي فترة الحروب الصليبية كان الاحتفال بهذه الأعياد وغيرها منتشراً بين النصارى، بل وربما شاركهم بعض المسلمين فيها ففي الأندلس مثلاً كان من أعياد النصارى عيد ميلاد عيسى عليه السلام والمحدد بالخامس والعشرين من شهر ديسمبر، ويناير سابع ولادته، ويوم ختنه وهو أول السنة الميلادية، والعنصرة والذي يعتقد أنه يوم مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام ويوافق اليوم الرابع والعشرين من يونيه، وخميس إبرايل الذي يرمز عند النصارى إلى يوم صلب المسيح في اعتقادهم[١] وفي معرض مناقشة كل من الجعفري والقرافي لأعياد النصارى عدّدا أهمها ومنها:

- عيد ميكائيل في مصر وتخومها، وكان النصارى في فترة الحروب الصليبية تحتفل به وتعظمه، وسبب إحداث هذا العيد أنه كان في الإسكندرية صنم يعظمه أهلها، ويعدون له عيداً عظيماً، فولي بطركة الإسكندرية الأكصيدروس فرام إبطال هذا العيد فلم يقدر من العوام فصرفهم لذلك بأن يجعلوا هذا العيد لميكائيل الملك وليس للصنم، فيذبحوا له ذبائحهم ليشفع لهم عند اللّه فأجابوه لذلك[٢].

- وعيد الصليب وسبب إحداثه: أن اليهود اتخذوا المقبرة التي دفن فيها الشبه مزبلة يطرحون فيها الأوساخ تحقيراً لشأن المصلوب، فأقامت على ذلك نحواً من ثلاثمائة سنة إلى أن جاءت زوجة قسطنطين الملك فأمرت بالكشف عن المقبرة فظهرت لها فإذا هي ثلاثة صُلُب وهي صليب اللعين والشبه فقالت: كيف لنا أن نعلم خشبة ربنا التي صلب عليها ؟ وكان هناك مريض قد أشرف على الوفاة فوضع عليها الصليب الأول فلم يقم، فأمسته الثاني فلم يقم، فأمسته الثالث فقام فعلمت النصارى أنه صليب الرب فعلقته بالذهب وبعثت به إلى الملك[٣].

---

(١) جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصر المرابطين والموحدين د. محمد إبراهيم بن صالح أبا الخيل ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤.

(٢) تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل ص ١٣٠.

(٣) تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل ص ١٣٠.

ـ **ومن أعيادهم التي ذكرها القرطبي**: يوم بشارة جبريل مريم بالمسيح، ثم يوم ميلاده، ويوم ختنه، ويوم الفصح وهو قيامه من القبر، ثم يوم رقيه إلى السماء، وبعد ذكر الجعفري والقرافي لبعض أعياد النصارى وضّحا أن لا أصل لها في شرعهم البتة، وأنها مما أحدثوه وابتدعوه في دينهم[١]، ثم بيَّن الجعفري أن لا حجة لإبطال البدعة ببدعة مثلها، وذلك أن هذا الراهب أراد أن يبطل تعظيم العامة لهذا الصنم فابتدع عيد ميكائيل، حيث قال: والشيء الضعيف لا يزيده الأمر الباطل إلا ضعفاً والحق مستغن بنفسه عن أن يقوى بأمثال هذه الترهات[٢]، وأشار كل من الجعفري والقرافي إلى أن الأولى للنصارى أن يمقتوا الصليب لا أن يعظموه ويتخذوا له عيداً وذلك أنه صلب عليه إلههم بزعمهم وإن كان هذا التعظيم من أجل أن الصليب مس المسيح فلماذا لا يعظم النصارى الحمر ويسجدوا لها فقد أخبر لوقا أن المسيح ركب حماراً عند دخوله المدينة[٣].

وبين القرطبي أن هذه الأعياد التي يعظمها النصارى ليست واجبة بالشرع وإذا كان هذا مستندهم فمن أخبرهم من الأنبياء بأن مثل هذه الأحوال تتخذ عيداً إذ ليس في كتبهم شيء من ذلك، ثم إن أيام عيسى كلها شريفة فلا يخلو يوماً له من كرامة يكرمه اللّه بها، فإذا كان الأمر كذلك فعلى النصارى أن يبحثوا عن أيام عيسى وعن عددها ويتخذوها أعياداً، وإلا لما خصصوا البعض وتركوا البعض الآخر[٤].

٤ ـ صلاة النصارى وصيامهم:

أ ـ **الصلاة**: من العلماء المسلمين الذين ناقشوا شعيرة الصلاة لدى النصارى القرافي الذي ذكر أن عدد صلواتهم في اليوم والليلة ثمان صلوات حيث أورد الأدعية التي يرددونها في كل صلاة منتقداً لها ومبيناً تناقضها[٥] وقد أورد

---

(١) تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٩٨).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٩٨).

(٣) الأجوبة الفاخرة ص ١٣٠ ـ ١٣١.

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٢٥.

(٥) النصارى في الوقت الحاضر لا يلتزمون في صلواتهم بأدعية معينة وربما حكى القرافي ما كان سائداً في وقته عند بعضهم.

الجعفري أيضاً طرفاً من أدعيتهم في بعض صلواتهم مبيناً تناقضها وفسادها بما تقتضيه من عقيدة التثليث والصلب والخطيئة وغير ذلك من عقائدهم الباطلة[١]، والصلاة عند النصارى في زعمهم تقربهم إلى اللّه عن طريق المسيح وهي عبارة عن أدعية وترانيم يرددونها ويؤكدون على بعض الأوقات أكثر من غيرها وهي صلاة الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة من النهار عند بداية الليل ونهايته وعند تناول الطعام[٢].

ب ـ **الصوم**: والصوم عند النصارى، يعني الامتناع عن الطعام مدة من النهار قد تصل إلى الظهر أو العصر أو الغروب حسب مقدرة الصائم يتناول بعدها الصائم أطعمة خالية من الدسم الحيواني.[٣] وفي مناقشة العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية لصيام النصارى وضحوا أصل وجوبه عندهم ثم ما ابتدعوه فيه زيادة ونقصاً، حيث بيَّن كل من القرطبي والقرافي في مناقشتهما لذلك أن صيام النصارى حسب قول أحد أكابرهم أنه أربعون يوماً التي صامها موسى عليه السلام ثم صامها المسيح وجعلها علماء النصرانية ثلاثة وأربعين يوماً عُشر أيام السنة كما وضح لهم ذلك بولس[٤]. ثم يوضحان أن هذه الثلاثة الأيام التي صاموها زيادة على ما افترض عليهم، إما أن الأنبياء تركوا أمر اللّه سبحانه وتعالى بعدم صيامها وذلك محال، أو أنهم لا يعرفون وجوب صيامها وأنتم أيها النصارى الذين علمتم ذلك، وهذا محال لأن الأحكام إنما تُسند إلى أقوال الأنبياء وكتبهم والذي شرع لكم ذلك إنما هو بولس، وهو الذي أفسد عليكم دينكم فكيف تأخذون بقوله وتتركون فعل موسى وعيسى وإلياس وغيرهم[٥]، وبيَّن الجعفري نماذج من زيادات النصارى، وابتداعهم في صيامهم ومن ذلك زيادتهم جمعة في صيامهم الكبير[٦]، لأجل هرقل حينما قتل اليهود نصرة لهم وذلك تكفيراً لخطيئته[٧]،

(١) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٢٩٩).
(٢) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٩٩).
(٣) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر ص ٢٢٨.
(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٢٢.
(٥) المصدر نفسه ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣.
(٦) النصرانية والإسلام، محمد عزت طهطاوي ص ٨٢.
(٧) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٣٠٢).

ثم عقب على ذلك بقوله: ولا شك أن هذا وشبهه من باب التلاعب بالدين، وقد صار هذا النمط سجية للنصارى وخلقاً[(١)]، وأشار الجعفري إلى ترك النصارى أكل اللحم في صيامهم وتحريمه وذلك مما أحدثوه بالرأي بعد المسيح[(٢)].

٥ ـ تشريع النصارى في الزواج:

ترغب الأناجيل عموماً بالعزوبة وتدعو إلى الزهد وترك الزواج إلا من خاف على نفسه الزنا فله الزواج بواحدة فقط، يقول بولس: . . . إذاً من زُوّج فحسناً يفعل، ومن لا يزوج يفعل أحسن[(٣)]. وقال: فحسن للرجل ألا يمس امرأة[(٤)]. وقال: . . ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرمل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا،[(٥)] وأما القسيس والرهبان فمحرم عليهم الزواج اقتداءً بالمسيح بزعمهم[(٦)]، وقد ناقش بعض العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية مسألة الزواج عند النصارى ومنهم الجعفري والقرافي وكان ذلك على النحو التالي:

أ ـ بيان ضلالهم في ذلك وأن الأمر بترك الزواج مما لا يصح نسبته إلى المسيح.

ب ـ إن ما تمسك به النصارى من نصوص في الإنجيل ظاهرها الترغيب بترك الزواج من أجل اللّه كقول المسيح عليه السلام: . . . من ترك زوجة من أجلي، فإنه يعطى للواحد مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة[(٧)]. ولا يجوز إجراؤه على ظاهره، إذ المقصود من ذلك ـ إن صح ـ ترك الزوجة إذا طلبت فراقه لعجزه أو لأي سبب آخر[(٨)]. ثم إن في الإنجيل أيضاً نصوصاً تعارض ذلك منها قول المسيح: إن الذي زوَّجه اللّه لا يقدر أحد على تفريقه[(٩)]

(١) تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٩٧).

(٢) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٣٠٢).

(٣) الكتاب المقدس، رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس الإصحاح (٧/ ٣٨).

(٤) المصدر نفسه (٧/ ١).

(٥) المصدر نفسه (٧/ ٨ ـ ٩).

(٦) قصة الحضارة، ول ديوانت ترجمة محمد بدران (٤/ ٣٨٣).

(٧) الأجوبة الفاخرة ص ١٣٢ الإصحاح (١٩/ ٢٩) إنجيل متى.

(٨) الأجوبة الفاخرة ص ١٣٢.

(٩) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٣٠٣).

وقوله: من طلّق زوجته باطلاً فقد عرضها للزنا[١].

ج ـ والزواج سنة المرسلين وخواص الأولياء ودأب النجباء الأقوياء، ومن رغب عن سنة الأنبياء التحق بالأغبياء[٢].

د ـ إن في ترك الزواج سدّاً لباب الذرية الصالحة وقطعاً للتناسل وانقراضاً لجنس الآدميين.

هـ ـ إن في تركه تعريضاً للرجال والنساء للزنا والفساد، والوقوع في الآثام.

و ـ إن الزواج يشتمل على قربات كثيرة منها عفاف الزوجين والتسبب في حياة عبد صالح يعبد اللّه ويرغم الشيطان، وغير ذلك[٣] ثم يعقب القرافي موضحاً أن المنافع المترتبة على الزواج أفضل مما انقطع له الرهبان من العبادة والصلوات[٤].

٦ ـ مناقشة النصارى في تركهم الختان:

كان الختان معروفاً قبل زمن إبراهيم عليه السلام، فإن المصريين القدماء كانوا يختتنون[٥]، وقد جاء في إنجيل برنابا ما يدل على أن أصل فريضة الختان منذ ابتداء الخليقة[٦]، وقد نصت التوراة على أن إبراهيم أمر بالختان هو ونسله، فختن وهو ابن ثمانين، وجاء في السُّنة ما يدل على ذلك، فعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدّوم»[٧]، وصار الختان في اليهود فرضاً من الفروض الدينية فاختتن موسى عليه السلام وكذلك عيسى عليه السلام لإكماله شريعة التوراة، بل إنه لدى النصارى صلاة يؤدونها تذكرة لختان عيسى عليه السلام[٨]، وقد استطاع بولس أن يصرف النصارى عن سُنة الختان حتى اتخذوا قراراً بتركه في مجمع أورشليم

(١) المصدر نفسه (١/ ٣٠٤).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٣٠٤).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٣٠٤).
(٤) الأجوبة الفاخرة ص ١٣٢.
(٥) معجم الحضارات السامية ص ٣٨١.
(٦) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٧٢.
(٧) البخاري رقم ٣٣٥٦ ومسلم رقم ٢٣٧٠.
(٨) نظرية النسخ في الشرائع السماوية ص ٥٠.

المنعقد بعد رفع المسيح باثنتين وعشرين سنة[١]، والحجة في ترك الختان جلب الأمم الوثنية في ذلك الوقت من إغريق ومصريين ورومان في الدخول بالنصرانية وكان يشق عليهم الختان[٢]، وفسروا الأمر بالختان في التوراة بأنه نقاوة القلوب وصفاء النية وذهاب الغلوف من القلوب[٣]، ومن ضمن ما ناقشه العلماء المسلمون من تشريعات النصارى في فترة الحروب الصليبية إبطالهم سنة الختان، إذ بيَّن القرطبي أن هذه السنة ثابتة بالتوراة، وإبطال النصارى لها لا أصل له ثم وضح أنهم بذلك تركوا ما حكم اللّه اتباعاً للهوى، ثم كذبوا على اللّه بتفسيرهم الختان المأمور به في التوراة بأنه إزالة غلوفة القلوب، وتسفيههم أحكام اللّه لقولهم إنه لا فائدة من الختان، ثم شرح القرطبي فوائد هذه السُّنة بكونها عبادة للّه سبحانه، والنظافة المترتبة على القيام بها إذ وجود هذه الغلفة مدعاة لتراكم كثير من الأقذار إلى غير ذلك[٤].

وبعد أن بيَّن القرافي مشروعية الختان في اليهودية وعند النصارى وضح أثر بولس في إبطال هذه السُّنة[٥]، وبعد أن ذكر الجعفري مشروعية الختان في التوراة وأن تاركه يقتل قال: فقد وضح كفر من خالفه من النصارى وغيرهم، وقد ترك الروم والفرنج وغيرهم الختان، ولم يزل النصارى يختتنون بعد رفع المسيح إلى أن أتاهم رجل يدعى عندهم بولس بعد المسيح بمدة متطاولة فقال لهم: إن الختان ليس بشيء وإن العزل ليس بشيء[٦].

٧ ـ تعظيم النصارى للصور والتماثيل:

من الشعائر الوثنية التي انتقلت إلى النصرانية عبادة الصور والتماثيل وتبجيلها حتى امتلأت كنائسهم وأديرتهم بتماثيل للمسيح ولأمه وللقديسين وغيرهم، وقد وضح ابن تيمية أن اتخاذ الصور والتماثيل مما أحدثه النصارى، فلم يرد ذلك عن أحد من الأنبياء[٧].

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عهد الحروب الصليبية (١/ ٣٠٦).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٣٠٦).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٣٠٦).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٣٠٦).
(٥) الأجوبة الفاخرة ص ١٢٠.
(٦) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٨٩).
(٧) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح (١/ ٣٤٦ ـ ٣٥٠).

وليس في التوراة ما يستند عليه النصارى في اتخاذهم هذه الصور والتماثيل وعبادتها، بل إن فيها النهي الصريح عن ذلك ومنه ما جاء في سفر التثنية: لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً صورة مما في السماء من فوق، وما في الأرض من أسفل، وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك غيور(١). وقد كانت هذه الشعيرة لدى النصارى محدودة النطاق، ثم ما لبثت أن نمت تدريجياً وانتشرت انتشاراً واسعاً ثم أصبحت من ضمن الشعائر النصرانية وذلك عن طريق إقرارها في مجامعهم، خاصة في المجمع النيقاوي الثاني نسبة إلى المدينة التي عقد فيها وهي ـ نيقية ـ عام ٧٨٧م حيث أصدر قراراً أيد فيه تعظيم صور المسيح وأمه والقديسين واتخاذها ليس فقط في الكنائس بل وفي البيوت(٢)، ولا شك في خطورة اتخاذ الصور والتماثيل وتعظيمها على عقيدة التوحيد، إذ كانت السبب الأول لانحراف البشرية من التوحيد إلى الشرك، ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]. قال: أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت(٣). وقد كان من ضمن الشعائر الوثنية النصرانية التي ناقشها العلماء المسلمون في عصر الحروب الصليبية هذه الشعيرة، قال القرافي: وأكثر النصارى يسجد للتصاوير في الكنائس وهو من كفرهم القبيح، وأي فرق بين عبادة الأصنام والسجود للتصاوير(٤)، ثم وضح أن ذلك لو كان مشروعاً في النصرانية لسجد التلاميذ للمسيح في حال حياته والنصارى بتعظيمهم لهذه الصور والتماثيل مخالفون لتعاليم المسيح ومخالفون لكتبهم حيث ليس فيها ما يدل على مشروعية ذلك(٥)، وأشار الجعفري إلى أنه لا تكاد تخلو كنيسة من كنائسهم من الصور والتماثيل متسائلاً عن مستند النصارى في ذلك وما هو في الحقيقة إلا العناد وعبادة الأنداد، إذ الأناجيل ليس فيها ما يدل على مشروعية ذلك، بل إن

---

(١) الكتاب المقدس، التوراة، سفر التثنية الإصحاح (٥/٧ ـ ٨).
(٢) مجموع الشرع الكنسي ص ٦٩ ـ ٧٠.
(٣) البخاري، كتاب التفسير رقم ٤٩٢٠.
(٤) الأجوبة الفاخرة للقرافي ص ١٣١.
(٥) الأجوبة الفاخرة ص ١٣١.

التوراة تكفر عابد الصور والمسيح مصرّح بأنه لم يأت بالتوراة بل جاء لإكمالها[١].

٨ ـ حقيقة خوارق العادات لدى النصارى والتي يلبسون:

وفي عصر الحروب الصليبية ناقش بعض العلماء المسلمين ذلك لدى النصارى؛ إيقاظاً للعقول الغافلة وكشفاً لتلبيس ضُلَّالهم؛ أملاً في إزالة عقبة من العقبات المانعة من الهداية وما في ذلك من إقامة للحجة عليهم بزوال ما قد يتعلقون به من هذه الخزعبلات حيث قال الخزرجي مبيناً سبب كثرة هذه الخزعبلات لدى النصارى وموجهاً الخطاب لبعض قساوستهم في الأندلس: إن حذاقكم وعقلاءكم لما علموا أن دينهم ليس له قاعدة ينبني عليها، ولا أصل يرجع إليه، جمعوا عقول الأمة بتخيلات موهمة وأباطيل مزخرفة وضعوها في الكنائس والمزارات[٢] ومن خزعبلاتهم أنهم وضعوا صوراً من الحجارة إذا قرئ الإنجيل عندها تبكي وتجري دموعها، ويشاهدها الخاص والعام، فيعتقد العامة أن ذلك لما علمته من أمر الإنجيل، ثم وضح حقيقة ذلك وهي أن لهذه الصورة مجار دقيقة في أجوافها متصلة من ورائها بزقٍّ مملوء بالماء فيعصره بعض الموكلين بذلك فيندفع الماء في تلك المجاري وتخرج من عيون تلك الأصنام على هيئة دموع[٣].

وبعد أن سرد الخزرجي صوراً من هذا القبيل مبيناً أنه شاهد بعضها وسمع عن البعض الآخر قرر أن هذه الهذيانات لا تجوز إلا عليكم أيها النصارى، ولا يتعبد بها من جهال العالم غيركم[٤]، ومن خزعبلاتكم التي ذكرها القرافي دعواهم أن مريم أم المسيح عليهما السلام تنزل على دار المطران بطليطلة في يوم معروفٍ من السنة وهم جازمون بذلك. ثم تساءل القرافي مفنداً ذلك هل نزول أم المسيح بإذن الأب أو بغير إذنه، فإن نزلت بإذنه فلمَ لا يرسل ملائكته ويوقر أم ولده ويصونها عن التبذل لرجل أجنبي، وإن كان بغير إذنه فكيف اصطفى الأب لنفسه من يتصرف بغير إذنه[٥]؟ وتتلخص هذه القصة في أنه لما اشتدت الحال

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٠١ ـ ٦٠٢).
(٢) مقامع الصلبان ومراتع رياض الإيمان ص ٢٦٧.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٣١٠).
(٤) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ٢٦٨.
(٥) الحروب الصليبية، وليم الصوري (١/ ٣٢٦ ـ ٣٣٧).

بالصليبيين المحاصرين في أنطاكية، جاءهم الغوث من السماء بأن رأى أحد قساوستهم أن أحد الحواريين جاءه في المنام ليريه مكان الحربة التي طعن بها السيد المسيح وأنها في كنيسة أمير الحواريين، حيث فتشوا عنها حتى وجدوها[١] : فطرحوا عنهم ما كان بهم من الفزع، وتنفسوا الصعداء، وأحسوا بأنهم قد عاودهم من جديد[٢]. بل إن هناك البعض لأجل هذه الحربة رأى رأي العين أشباح الملائكة والرسل[٣]، وعرض ابن الأثير هذه القصة مبيناً أنها من حيل أحد القساوسة التي لبس بها على العامة وصدقوه بها، ثم وضح أنه مما زاد فتنتهم بهذه الحربة أن ظهروا على المسلمين في هذه الموقعة[٤]، وهكذا ناقش علماء هذه الفترة شعائر النصارى وطقوسهم مبينين تحريفها وابتداعهم لها، وبطلان ما استندوا عليه في إثباتها، بحيث يتضح لكل عاقل منهم ضلال ما هم عليه بالتمسك بها وممارستها ويدركون مدى تلبيس علمائهم عليهم في تزيينها لهم والادعاء أنها من صلب ديانتهم[٥].

خامساً

أهم الشبه التي أثارها النصارى في عصر الحروب الصليبية

منذ أن بعث النبي ﷺ إلى عصرنا الحاضر وأعداء الإسلام يثيرون الشبهات حول هذا الدين، كأحد أسلحتهم في محاربته والحد من انتشاره، ولن يفلحوا أبداً كما قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: ٨] ولذلك فليس غريباً أن يكون هذا الأمر مما حرص عليه النصارى في عصر الحروب الصليبية، ولا سيما أن هذه الفترة كانت من أشد فترات الصراع العسكري بينهم وبين المسلمين، وكثير من هذه الشبه التي أثارها النصارى في هذه الفترة سبق وأن أثارها أعداء الإسلام قبلهم من المشركين أو اليهود أو غيرهم

(١) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣١١).
(٢) المصدر السابق (١/ ٣١١).
(٣) الكامل في التاريخ نقلاً عن دعوة المسلمين (١/ ٣١١).
(٤) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣١٢).
(٥) المصدر نفسه.

ولا شك أن الشبهات حجاب يمنع قبول الحق خصوصاً عند قوم مثل النصارى الذين اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون اللّه، فالقول عندهم ما قاله القسيس، لذلك حجب ضلال قساوستهم الحق عن عامتهم، ولهذا من أهم طرق إرشادهم إلى الحق هو إزالة هذه الشبه المانعة من قبوله عن الكثيرين منهم ولذلك حرص كثير من العلماء في عصر الحروب على دحض شبهات النصارى حول هذا الدين حماية له من تشويه ضلالتهم ورجاء أن يصل إلى عامتهم على الوجه الصحيح فيكون ذلك أدعى في قبوله لديهم وفيما يلي عرض لأهم الشبه التي أثارها النصارى في هذه الفترة ونماذج من تفنيد بعض العلماء المسلمين لها[١].

١ ـ دعوى خصوصية رسالة النبي ﷺ بالعرب:

مما يتحدث به النصارى قديماً وحديثاً أن محمداً ﷺ نبي العرب خاصة وعلى ذلك فقد شملتهم رسالة الإسلام، وفي عصر الحروب الصليبية أثيرت هذه الشبهة وتصدى لها بعض العلماء المسلمين مفندين لها موضحين الحق في عموم رسالة النبي ﷺ إلى الناس كافة[٢]، فقد ورد في رسالة لأحد كتَّاب النصارى موجهة إلى المسلمين في هذه الفترة: . . إن محمداً ﷺ لم يبعث إلينا، فلا يجب علينا اتباعه[٣]، حيث استدل هذا النصراني بآيات من القرآن إلى ما ذهب إليه منها قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٣] وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] وقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الجمعة: ٢].

وقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ثم قال هذا النصراني: لا يلزمنا إلا ما جاء بلساننا، وأتانا بالتوراة والإنجيل بلغتنا[٤]. وكان رد القرافي على هذه الشبهة على النحو التالي:

أ ـ إن الحكمة من إرسال الرسل عموماً بألسنة أقوامهم ليكون ذلك أبلغ في الفهم

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٣١٤).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٣١٥).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٣١٥).
(٤) الأجوبة الفاخرة للقرافي ص ٩.

بينه وبينهم حتى تقوم الحجة وتزول الشبهات ويحصل البلاغ، ليكون ذلك أدعى إلى فهم غيرهم[١].

ب ـ إن هناك فرقاً بين قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] وبين أن يقال «وما أرسلنا من رسول إلا لقومه» فالقول الثاني هو المفيد لاختصاص الرسالة بهم لا الأول.

ج ـ إنه لو صح ما احتج به هذا النصراني من كون القرآن عربياً والنبي ﷺ يتكلم العربية فهو مرسل إلى العرب، لكان النصارى كلهم مخطئين في اتباع أحكام التوراة، فإنها نزلت بغير لسانهم، وكذلك القبط والحبشة ما علموا التوراة والإنجيل إلا كما يعلم الروم اللسان العربي بطريق التعليم[٢].

د ـ أنه وردت آيات كثيرة تدل على عموم الرسالة فإذا كان النصارى يعتقدون أصل الرسالة لكنها مخصوصة بالعرب، يلزمهم التعميم لهذه الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨] وقد بيَّن بعض العلماء المسلمين المعنى الصحيح للآيات التي استدل بها هذا النصراني على خصوصية الرسالة للعرب، فكون القرآن باللغة العربية ومحمد ﷺ أرسل بلسان قومه العرب لا يفهم منه اختصاص رسالته ﷺ، حيث وضح كل من البغوي والرازي أن سبب إرسال الرسل بألسنة أقوامهم ليكون ذلك أدعى للفهم عنهم وأبعد عن الغلط[٣]، ثم قال البغوي: كيف هذا ؟ ـ أي إرسال النبيّ ﷺ بلسان قومه وقد بعث إلى كافة الخلق؟ قبل بعث من العرب بلسانهم والناس لهم تبع، ثم بث الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله عز وجل، ويترجمون لهم بألسنتهم[٤]. وبيَّن الرازي أنه لا يفهم من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] خصوصية رسالة النبي ﷺ بالعرب، وذلك للآيات الكثيرة الدالة على إرساله إلى الناس كافة، ولاحتمال أن المراد من ـ قومه ـ في الآية أي أهل بلده وليس أهل دعوته، ولأن التحدي بالقرآن، وقع لجميع الثقلين الإنس والجن ولم يكن للعرب خاصة،

(١) المصدر نفسه ص ١٠.
(٢) المصدر نفسه ص ١٠.
(٣) معالم التنزيل للبغوي (٤/ ٣٣٥).
(٤) معالم التنزيل للبغوي (٤/ ٣٣٥).

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الأسراء: ٨٨][١]. وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [القصص: ٤٦] لا يفهم منه خصوصية رسالته ﷺ بالعرب الذين لم يأتهم نذير قبله، ولا يعني ذلك عدم إرساله لأهل الكتاب الذين جاءتهم الرسل، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦].

وبعد أن أورد الرازي هذه الشبهة وضح أن المراد بالآية أي: تنذر قوماً ما أنذروا بعدما ضلوا عن رسالة الرسول المتقدم فيدخل في ذلك اليهود والنصارى، لأن ذلك دليلاً على أن النبي ﷺ مبعوث إلى الخلق كافة[٢] وأما قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢].

فبعد أن بيَّن ابن الجوزي أن المراد بالأميين العرب نقل عن بعض العلماء في معنى الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣] فدلت الآية بذلك على عموم الرسالة وليس خصوصيتها للعرب دون غيرهم وبعد أن أورد الرازي احتجاج أهل الكتاب بهذه الآية على خصوصية رسالة محمد ﷺ للعرب رد على ذلك بقوله: إنه لا يلزم من تخصيص الشيء بالذكر نفي ما عداه، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] أنه لا يفهم منه أنه يخطه بشماله[٣]، وللآيات الدالة على عموم الرسالة كقوله تعالى: ﴿كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ثم إن قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٣] أن المراد كل من دخل الإسلام بعد النبي ﷺ إلى يوم القيامة، فيكون المراد بالأميين العرب وبالآخرين سواهم من الأمم[٤]، ولا يدل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. على خصوصية الرسالة بهم دون سواهم، حيث وضح القرافي أن تخصيصهم؛ لكونهم أولى الناس بالدعوة لقرابتهم منه ﷺ[٥]، وذكر الرازي أن تخصيصهم بالإنذار في هذه الآية بالإضافة إلى قرابتهم منه ﷺ جاء أيضاً لعظم شركهم كتكذيبهم بالحشر الذي تجاوز كفر

---

(١) تفسير الرازي (١٠/ ٦٣).
(٢) المصدر نفسه (١٣/ ٣٨).
(٣) المصدر نفسه (١٥/ ٥).
(٤) المصدر نفسه (٥/ ٥).
(٥) الأجوبة الفاخرة ص ١٢.

أهل الكتاب المكذبين بنبوّته ﷺ[١] وختم القرافي رده على استدلال هذا النصراني بهذه الآيات وما شابهها على خصوصية رسالة المصطفى ﷺ بالعرب بقوله: فهذه الألفاظ ألفاظ لغتنا ونحن أعلم بها، وإذا كان عليه الصلاة والسلام هو المتكلم بها ولم يفهم تخصيص الرسالة ولا إرادته، بل أنذر الروم والفرس وسائر الأمم، والعرب لم تفهم ذلك، وأعداؤه من أهل زمانه لم يدعوا ذلك ولا فهموه، ولو فهموه لأقاموا به الحجة عليه، ونحن أيضاً لم نفهم ذلك فما فهمه إلا هذا النصراني الذي ساء سمعاً فساء إجابة[٢]، وخاطب القرطبي النصارى مبيناً أنه لا يسعهم أن يستدلوا ببعض ما جاء به محمد ﷺ ويتركوا البعض الآخر، فيجب عليهم أن يقبلوا ما جاء به إذا قبلوا بعضه، وذلك باستدلالهم بهذه الآيات وما شابهها على خصوصية الرسالة، وهو القائل ﷺ أنه مرسل إلى الناس كافة وقد ظهر صدقه في قوله[٣]. وعدّ ابن الجوزي هذه الدعوى من النصارى أنها من تلبيس إبليس عليهم وإلا فمتى أثبتوا لمحمد ﷺ أصل الرسالة والنبوّة، فإن النبيّ لا يكذب، وقد بيَّن ﷺ أنه بعث إلى الناس كافة، وكتب إلى قيصر وكسرى وسائر ملوك الأعاجم[٤] وهكذا من خلال ما سبق لم يُبق العلماء المسلمون للنصارى ما يتعلقون به في دعواهم خصوصية رسالة النبي ﷺ بالعرب، فلم يبق لهم بعد ذلك إلا قبول الحق واتباع المصطفى ﷺ وترك العناد والمكابرة وانتحال الحجج[٥].

٢ ـ دعوى أن القرآن ورد بتعظيم النصارى والثناء عليهم:

ففي رسالة لأحد الكتاب النصارى كتبها على لسانهم موجهة إلى المسلمين في عصر الحروب الصليبية كان من ضمن ما أورده من الشبه فيها أن القرآن ورد بتعظيم النصارى والثناء عليهم متمثلاً في ذلك فيما يلي:

أ ـ تقديم بيَع النصارى وصوامعهم على مساجد المسلمين في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم

(١) تفسير الرازي (١٣/١٤٦).
(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٢.
(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٤٧.
(٤) تلبيس إبليس ص ٧٣.
(٥) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٣٢٠).

بَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

ب ـ تعظيم القرآن الكريم للإنجيل كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران: ٨٤] والكتاب هنا هو الإنجيل وقوله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨].

ج ـ مدح القرآن للنصارى كما في قوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٢]. وقوله ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت الآية: ٤٦][1].

وقد فند القرافي هذه الشبهة مبيناً أن المراد بقوله: «ولولا [دفع] الأشرار في كل زمان بوجود الأخيار، فزمن موسى عليه السلام يسلم أهل الأرض من بلاء يعمهم بسبب من فيهم من أهل الاستقامة وإلا لعمهم الهلاك وهدمت صوامع يعبد الله فيها على الدين الصحيح حسب الشريعة الموسوية، وكذلك زمان عيسى وزمان محمد ﷺ[2]».

وقال البغوي في معنى الآية: أي ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم، لهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى البيع والصوامع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد[3]. وأما وجه تقديم الصوامع والبيع على المساجد فوضح القرافي أن ذلك ليس لأفضليتها بل على العكس، فتأخيرها لأفضليتها ومكانها نظير قول القائل: فلان يغالب المائة

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٣٢٢).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٣٢٢).

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٥/ ٣٨٩).

والألف[١]، وقولهم: لا أبخل عليك بالدرهم والدينار فالترتيب من الأدنى إلى الأعلى، وتأخير المسجد لشرفها، وأن هدمها أعظم من هدم غيرها[٢]، ووضح الرازي سبب تقديم الصوامع والبيع في الذكر كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٣]. وزاد القرافي أن هذه الآية خصت المساجد بمزيد فضل، إذ بينت أنه يذكر اسم الله فيها كثيراً، حيث إن الضمير في اللغة العربية يعود إلى أقرب مذكور وأقرب مذكور في الآية إلى هذا الوصف هو المساجد[٤]. ووضح القرطبي أن من أسباب تقديم مساجد أهل الذمة ومصلياتهم على مساجد المسلمين أنها أقدم بناء من المساجد[٥]، وأما ما يتعلق بتعظيم القرآن للإنجيل كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤] فقد بيّن القرافي أن «أل» لاستغراق الجنس إشارة إلى جميع الكتب المنزلة المتقدمة[٦]. أي الكتب النيرة بالبراهين والحجج[٧]، والمقصود بها الكتب المنزلة لا المبدلة التي بأيدي النصارى إذ هي غاية الوهن والضعف وسقم الخط والرواية وانقطاع ألسن بحيث لا يوثق بشيء منها[٨]. ووضح الرازي أن في هذه الآية زيادة فضل للقرآن على الكتب المتقدمة، وذلك أن المراد بالبينات المعجزات، وعطف الزبر والكتاب عليها يقتضي المغايرة، أي أن معجزات الأنبياء السابقين كانت مغايرة لكتبهم وذلك يدل على أن أحداً من الأنبياء ما كانت كتبهم معجزة لهم كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف، بعكس القرآن فهو وحده معجزة، وهذا من خصائص رسول الله ﷺ[٩]. وأما قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦]، فقد بيَّن الرازي معنى هذه الآية بما هو حجة على النصارى وذلك أن الهدى الذي في الإنجيل هو اشتماله على الدلائل على توحيد الله وتنزيهه عن الصاحبة والولد والند، والمثل، أما كونه مصدقاً لما بين يديه أي مبشراً بمبعث

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٢٣).
(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٨ ـ ١٩.
(٣) تفسير الرازي (١٢/ ٣٦ ـ ٣٧).
(٤) الأجوبة الفاخرة ص ١٨ ـ ١٩.
(٥) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٤٩).
(٦) الأجوبة الفاخرة ص ٢١.
(٧) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٢٤).
(٨) الأجوبة الفاخرة ص ٢١.
(٩) تفسير الرازي (٥/ ١٠١).

محمد ﷺ ومقدمه، كذلك كونه هدى مرة أخرى، لاشتماله على البشارة بمحمد ﷺ، فيكون ذلك الإنجيل سبباً لاهتداء الناس إلى نبوّة محمد ﷺ، ولا شك أن أشد وجوه المنازعة بين المسلمين وبين اليهود والنصارى هي إنكار نبوّة محمد ﷺ، ولذلك نبه سبحانه وتعالى في هذه الآية أن الإنجيل يدل دلالة ظاهرة على نبوّته، فكان الإنجيل هدى في هذه المسألة التي هي أشد المسائل احتياجاً إلى البيان والتقرير[١]، ولذلك قال سبحانه وتعالى بعد هذه الآية: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة: ٤٧] أي ليقرأ أهل الإنجيل بما أنزل اللّه فيه على الوجه الذي أنزله اللّه فيه من غير تحريف ولا تبديل، ومن ذلك الإيمان بما أنزله اللّه فيه من الدلائل على نبوّة محمد ﷺ[٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] وضح القرافي أن المراد تصديق الكتب المنزلة لا المبدلة وهذا لا يمتري فيه عاقل[٣]، وأما ما يتعلق بمدح القرآن للنصارى ففي قوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [المائدة: ٨٢] قال القرطبي: هذه الآية نزلت في النجاشي وأصحابه لما قدم عليه المسلمون في الهجرة الأولى[٤]. وقال البغوي: لم يرد به جميع النصارى لأنهم في عداوتهم للمسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريبهم بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم، لا ولاء ولا كرامة لهم، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه[٥]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، بيَّن القرافي أن في ذلك دليلاً على أنهم على الباطل، ولو كانوا على الحق ما احتاج المسلمون إلى جدالهم[٦]. وهكذا فند العلماء المسلمون في عصر الحروب الصليبية شبه النصارى حول هذه الآيات وأمثالها والتي تعلقوا بها زعماء منهم أن فيها ثناء عليهم وإقراراً لباطلهم موضحين المعنى الصحيح لها إزالة للشبهة وإقامة للحجة[٧].

(١) المصدر نفسه (٦/ ١٠).
(٢) المصدر نفسه (٦/ ١٠).
(٣) الأجوبة الفاخرة ص ٢١.
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٦٥).
(٥) معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ٨٥).
(٦) الأجوبة الفاخرة ص ٢٩.
(٧) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٣٢٧).

٣ ـ شبهات تعدد الزوجات في الإسلام:

وفي عصر الحروب الصليبية كان من ضمن كتاب لأحد القساوسة النصارى إلى أبي عبيدة الخزرجي الإشارة إلى أن المسلمين خالفوا فعل آدم عليه السلام أبي البشر الذي لم تكن له إلا زوجة واحدة، وخالفوا التوراة وذلك بإباحة التعدد، وقد أشار القرطبي إلى تعريض أحد كبارهم بإباحة التعدد في الإسلام بقول هذا النصراني عن النبي ﷺ: . . . ثم أمر بالإكثار من النساء ورخص في طلاقهن، وأحل تزويج المطلقات الفاجرات[١] . وقد كان رد بعض العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية على هذه الشبهة على النحو التالي:

أ - التعدد تشريع إلهي يجب التسليم له حيث قال الخزرجي: فإن الذي أمرنا اللّه به من النكاح، وسن لنا الطلاق ليس لعاقل انتقاده لأن قبولنا لذلك إنما هو بعد ثبوت الأصل[٢] . وقال القرطبي في رده على أحد قساوسة الأندلس: فذلك ـ أي التعدد ـ ما لا ينبغي أن ينكره أحد من العقلاء، فإنه من مجوزات العقول وقد ورد بذلك الشرع الصادق المنقول[٣] .

ب - إن التعدد كان لدى بني إسرائيل ونصت عليه التوراة، بل إن فيها الجمع بين القريبات المحرم الجمع بينهن في الإسلام، قال القرطبي في رده على القسيس النصراني: . . ألم يجئ في التوراة أن إبراهيم كانت له سارة وهاجر، وكذلك ما ورد فيها أن يعقوب بين ليئة وراحيل، وقد ثبت أيضاً أن سليمان كانت له مائة امرأة أو تسع وتسعون[٤] ، ثم ألزم القرطبي هذا النصراني بما لا مفر له منه وذلك بقوله: فإن كذبتم شرعنا لأجل أنه اشتمل على جواز نكاح نساء كثيرات فلتكذبوا بنبوّة إبراهيم ويعقوب وسليمان ولا فرق بين نبيّنا وبين هؤلاء الأنبياء في أن كل واحد منهم رسول يبلّغ حكم اللّه[٥] .

ج - إن التعدد ليس فيه مخالفة لفعل آدم أبي البشر، حيث وضح الخزرجي أن

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٣٢٧).
(٢) مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان ص ٢٦٢.
(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٥٤.
(٤) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٣٠).
(٥) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٣٣٠).

اقتصار آدم عليه السلام على زوجة واحدة ضرورة لعدم وجود أخرى، ولذلك زوّج ابنه بنته[١].

د ـ إن التعدد فيه من الحكم العظيمة ما يجل عن الحصر، حيث أشار القرطبي إلى جانب من هذه الحكم والتي من أعظمها تكثير النسل، وعمارة الدنيا بالذرية الصالحة[٢].

هـ ـ إن التعدد في الإسلام مشروط بالعدل بين الزوجات فبعد أن وضح ابن الجوزي بعض أحكام التعدد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣]. قال «.. فإن خفتم ألا تعدلوا بين هؤلاء الأربع فانكحوا واحدة[٣]». وهكذا بيّن العلماء المسلمون في هذه الفترة أن تعدد الزوجات تشريع إلهي ليس في الإسلام فحسب، بل ولدى الأنبياء السابقين، وأبطلوا كذلك ما تعلق به النصارى من شبه حول هذا الأمر القصد منها تشويه الدين الإسلامي والتنفير منه ليظهر جليّاً عناد النصارى في هذا الأمر وانحرافهم عن الفطرة البشرية والسُّنة الإلهية اتباعاً لأهوائهم وطاعة لكبرائهم[٤].

٤ ـ دعوى انتشار الإسلام بالسيف:

من أقذر الشبه التي أثارها أعداء الإسلام وما زالوا يثيرونها انتشاره بالسيف، وقد غفلوا عن أهداف الجهاد السامية في الإسلام والتي منها ردّ اعتداء المعتدين على المسلمين، وإزالة الحجب والحواجز والعراقيل التي تقف أمام الدعوة الإسلامية كي لا تصل إليها، وحراسة الدين وحمايته من أهل الباطل، وتأديب ناكثي العهد من المعاهدين وإغاثة المظلومين والمستضعفين من المسلمين[٥]. وفي عصر الحروب الصليبية كان من ضمن إثارة النصارى ضد الإسلام دعوى انتشاره بالسيف، إذ قال أحد قساوستهم في رسالة له إلى أبي عبيدة الخزرجي: ... ودين الصليب فشا في الأرض

(١) مقامع الصلبان ص ٢٦٣.
(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٠٥.
(٣) زاد المسير (٢/ ٨٢).
(٤) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٣١).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٣٣٣).

دون سيف ولا قهر، ودينكم إنما ظهر بالسيف والقهر في الأرض[١].

وقد تصدى علماء المسلمين للرد على النصارى في هذه الدعوى وكان ذلك على النحو التالي:

أ ـ بيان أن انتشار النصرانية ما كان إلا بسبب القتال ولولا ذلك لما بقي منها أثر. قال الخزرجي حول ذلك في رده على أحد قساوسة النصارى: . . . فكأنك قد غفلت عما كتبه مؤرخوكم وغيرهم من أن ابتداء دينكم إنما كان بأسباب القتال مع اليهود وكنتم تحرقونهم بالنيران، وتغرقونهم في البحار وتعملون فيهم جميع أنواع الذل والهوان ولولا ذلك لم يبق لكم اليهود أثراً[٢]. وقال القرافي حول هذه الشبهة من قبل النصارى: فلو التزموا شريعتهم في المسألة لم تقم لهم قائمة، ولم يبق منهم باقية[٣].

ب ـ إن النصارى في واقع أمرهم مخالفون لشريعتهم التي تحثهم على الصلح والمسالمة وعدم القتال والابتعاد عن المنازعة إلى أن تقوم الساعة حيث أورد الخزرجي نصوصاً من الإنجيل في ذلك منها: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً[٤]. وقوله: ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين. . أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم[٥]، ثم عقب الخزرجي على ذلك بقوله: . . ومع ذلك فإنا نراكم ـ أي النصارى ـ أشد الناس تكالباً وحرصاً على القتل والقتال وبسط الأيدي والاعتساف في أقطار الأرض، تقتلون النفوس وتسلبون الأموال. . مع تحريم إنجيلكم ذلك عليكم وإيجابه الاستسلام لأعدائكم، ومن استحل حرمات اللّه تعالى فهو أشد الناس كفراً باللّه وكتبه وأحكامه، وقال القرطبي في مناقشته لهذه الدعوى: وأعجب من ذلك ـ أي دعواهم انتشار الإسلام بالسيف ـ تلبسهم بالقتال والإكثار منه أبد الدهر إلى اليوم، وهم مع ذلك يدّعون أن القتال غير

(١) مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان ص ١١٥.
(٢) مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان ص ٢٨٥.
(٣) الأجوبة الفاخرة ص ٨٩.
(٤) الكتاب المقدس، إنجيل متى الإصحاح (٥/ ٣٩).
(٥) مقامع الصلبان ص ٢٨٦.

مشروع لهم ويذمون الشريعة التي جاءت به، فهم قد ناقضت أفعالهم أقوالهم وشهدت على كذبهم أحوالهم[١].

ج ـ **إن كان القتال في الإسلام عيباً فهو كذلك في الأمم السابقة**: إذ قال الخزرجي في مناقشته للقسيس النصراني حول هذه الدعوى فإن كنت قلت ذلك لتعيب به الإسلام، فإنك عبت موسى بن عمران ويوشع بن نون ومن قبلهما ومن بعدهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم حاربوا الأمم الطاغية ببلادهم[٢].

د ـ إن القتال سنة أهل الحق مع أهل الضلال والمسلمون على هذه السنة حيث وضح كل من الخزرجي والقرافي ذلك، ومن ثم فالقتال من مناقب المسلمين وحسناتهم، لا من معائبهم وسيئاتهم[٣].

هـ ـ إن الجهاد في الإسلام من أسباب حماية الدعوة: حيث وضح الخزرجي ذلك بأن النبيّ ﷺ ظل في قومه زمناً يدعوهم إلى عبادة اللّه وحده ونبذ الأصنام والأوثان فحاربه قومه وآذوه وضيقوا عليه وأصحابه، فكان الجهاد رافعاً لهذا الأذى ومكسباً قوة وهيبة للمسلمين، وممكناً لدعوة الحق، وبسبب عدم وجود ذلك في النصرانية فإن الدين الصحيح الذي جاء به المسيح عليه السلام ظل أهله مستضعفين بعده فترة فتلاشى وحرِّف وبدِّل، وما عليه النصارى اليوم إنما أفشاه قسطنطنين بن هيلانة بالقهر والغلبة[٤]، فكان عدم تشريع الجهاد في بداية النصرانية من أسباب ضعفها ومن ثم تحريفها وتبديلها.

و ـ إن القتال في الإسلام لا يكون إلا بعد قيام الحجة: حيث وضح ابن المتطبب أن جهاد النبي ﷺ كان بعد صبر دام أكثر من ثلاث عشرة سنة من الدعوة باللين وإقامة الحجة، ثم كان الأمر بالقتال بعد ظهور المعجزة، وقيام الحجة، ووضوح الدلالة وما كان إشهار السيف أبداً إلا بعد الإنذار والإعذار[٥].

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٥٢.
(٢) مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان ص ٢٨٥.
(٣) الأجوبة الفاخرة ص ٩٠.
(٤) النصيحة الإيمانية ص ١٤٢.
(٥) الأجوبة الفاخرة ص ٩٤ ـ ٩٥.

٥ ـ دعوى عدم جزم المسلمين بصحة القرآن لاختلاف الصحابة في جمعه وتعدد قراءاته:

مما أثاره النصارى حول كتاب اللّه في هذه الفترة ادّعاءهم عدم جزم المسلمين بصحته لمخالفة عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه عثمان بن عفان رضي اللّه عنه في جمعه[١]، وأن تعدّد القراءات على سبعة قراء أشد من اختلاف الأناجيل عن أربعة رجال[٢]، وقد رد القرافي على هذه الدعوى مبيناً أن خلاف عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه للصحابة ليس في إثبات شيء ليس من القرآن أو حذف شيء فيه، إذ القرآن معلوم لجميع الصحابة بالتواتر، وإنما الخلاف في أن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه كان يقرأ القرآن ويضم إليه تفسيره، وكان يقرؤها فصام ثلاثة أيام متتابعات، فنازعه الصحابة لذلك حرصاً منهم ألا يضاف إلى القرآن مما ليس منه، وكان الصواب معهم، وهذا من حفظ اللّه عز وجل لكتابه كما وعد بذلك: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣] [الحجرات: ٩]. وقال القرطبي في جمع القرآن: وكان هذا من عثمان رضي اللّه عنه بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وجلة أهل الإسلام وشاورهم في ذلك فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت في القراءات المشهورة عن النبي ﷺ، واطراح ما سواها، واستصوبوا رأيه وكان رأياً سديداً موفقاً[٤] وفيما يتعلق بتعدد القراءات فقد وضح بأنها جميعاً منتقاة عن النبي ﷺ بالتواتر، ثم إن هذا التعدد من رحمة اللّه بعباده إذ قبائل العرب حين نزول القرآن كانت مختلفة اللّهجات بين التضخيم والمد والقصر والإخفاء والإمالة وإعمال العوامل الناصبة والرافعة والجارة، ولو كلفوا كلهم بلهجة واحدة لشق عليهم[٥]، وأما فيما يتعلق بتشبيه النصارى اختلاف القرآن باختلاف الأناجيل فقد رد القرافي على ذلك مبيناً الفرق الواضح بين الأمرين، إذ الأناجيل لم تنقل إلينا بالتواتر كالقرآن الكريم، بل نكاد نجزم بأن أكثرها ليس منزلاً وما هو إلا تواريخ وكلام كهنة وملوك حشرها النصارى في الإنجيل وزعموا

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٣٣٨).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الأجوبة الفاخرة ص ٩٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٩).

(٥) الأجوبة الفاخرة ص ٩٨.

أنها من الكتاب المنزل، ولذلك لم يجز المسلمون أن يجعلوا شيئاً من الأحاديث مع صحتها مختلطة بالقرآن ولا قول أحد من الصحابة[١]، ثم خاطب القرافي النصارى بقوله: . . . فلا تشبهوا أنفسكم بنا، فواللّه ما اجتمعنا في شيء من هذا، بل أنتم في غاية الإهمال، ونحن في غاية الاحتفال[٢]، وقد تحدث العلماء المسلمون في تلك الفترة في إبراز وجوه إعجاز القرآن وبيان خصائصه التي تفرد بها عن سائر الكتب[٣] مع إيضاح تناقض الأناجيل وبيان عدم صحتها[٤].

٦ ـ انتقادهم الطلاق في الإسلام:

في كتاب لأحد القساوسة النصارى في الأندلس بعث به إلى المسلمين من مدينة طليطلة إلى قرطبة ينال فيه من الإسلام بما أورده من شبهات فيه، كان من ضمنها انتقاده للطلاق في الإسلام، وكيف أنه إذا بانت المرأة من زوجها لا يحل له أن يراجعها إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره وأن ذلك من الأمر بالزنا وهو مخالف لقول المسيح: لا ينبغي للرجل طلاق زوجته إلا أن تزني، وإن زنت فعلاً فلا يحل له مراجعتها، ومن طلق امرأته فقد جعل لها سبيلاً إلى الزنى ـ أعني من طلقها بدون سبب ـ ومن زوج مطلق فهو فاسق بها[٥]. وقد رد القرطبي على هذا القسيس مبيناً أن عدم قبوله للطلاق إما يكون من جهة العقل أو من جهة الشرع، فإن كان من جهة العقل فإن العقل لا يحيل وقوع الطلاق، وإذا كان الأمر كذلك فكيف ينبغي لمن ينتسب إلى العقل أن ينكر نبوّة من قامت الأدلة القاطعة على صدقه من حيث إنه حكم بشيء يصح في العقل أن يوجد، وإن كان عدم قبوله من حيث إنه ممنوع من جهة الشرع، فإما أن يكون من جهة الشرائع كلها أو من بعضها، والأول باطل ففي التوراة التصريح بالطلاق والثاني جائز لجواز اختلاف الشرائع في بعض الأحكام لما يعلمه اللّه من اختلاف الأحوال والمصالح[٦]، ثم وضح القرطبي بعض المصالح التي لا تكون إلا بالطلاق والتي لا سبيل لعلاجها

(١) المصدر نفسه ص ٩٨ ـ ٩٩.

(٢) المصدر نفسه ص ٩٩.

(٣) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٤٠).

(٤) المصدر نفسه (١/ ٣٤٠).

(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢١٦.

(٦) المصدر نفسيه ص ٢٢٢.

في الحياة الزوجية إلا به[١]. وقال ابن قدامه بعد أن ساق الأدلة من الكتاب والسُّنة على مشروعية الطلاق، وأجمع الناس على جواز الطلاق، والعبرة دالة على جوازه، فإنه ربما فسدت الحال بين الزوجين فيصير بقاء النكاح مفسدة محضة، وضرراً مجرداً بإلزام الزوج النفقة والسكن وحبس المرأة مع سوء العشرة والخصومة الدائمة من غير فائدة، فاقتضى ذلك شرع ما يزيل النكاح، لتزول المفسدة الحاصلة منه[٢]. وكونه بيد الرجل ولم يعط المرأة الحق في ذلك لما علمه الشارع من ضعف المرأة وتقديمها العاطفة على العقل في كثير من الأحيان وما يحصل من جراء ذلك من الضرر لا ينسى ولا يتدارك[٣]، ووضح ابن قدامة أن للمرأة الحق في مفارقة زوجها إن خشيت ألا تؤدي حق اللّه في طاعته، فتخالعه بعوض تفتدي به نفسها منه، وقد ورد في الحديث أنه جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول اللّه ما أنقم على ثابت في دين ولا خُلُق، إلا إني أخاف الكفر، فقال رسول اللّه ﷺ: «أتردين عليه حديقته؟» قالت: نعم فردّتها عليه وأمره أن يفارقها[٤]. وبيَّن القرطبي أنه مع تشريع الطلاق في الإسلام إلا أنه مكروه، فعلى المسلم أن يتحاشاه قدر استطاعته، وإذا كان لا بدّ منه فلا يكثر ويتمادى فيه[٥]، وأما كون المطلقة ثلاثاً لا تحل لزوجها الأول إلا بعد زوج، فوضح القرطبي في رده على هذه الشبهة: أن ذلك من رحمة اللّه إذ جعله عقوبة للرجل الذي يتمادى في إيقاع الطلاق، فإذا علم الزوج أنه إذا أكثر من هذا المكروه الذي هو الطلاق عوقب بتفويت زوجته عليه ارتدع عن التمادي[٦] فيه، واشتد القرطبي في رده على القسيس النصراني في تشبيه نكاح المرأة من الزوج الثاني بالزنا بوصفه بالكذب والافتراء والجهل وذلك بقوله: واعلم يا هذا المفتري الكذاب، والمشنع المرتاب، أن العقلاء لا يرضون بما فعلت، ولا يأتون بمثل ما أتيت به وذلك أنك جهلت شرعنا وكذبت عليه، وعميت عليك مقاصده فنسبت الزور والفحش إليه[٧]. ثم وضح القرطبي بعد

(١) المصدر نفسه ص ٢٢٢.
(٢) المغني (١٠/ ٣٢٣).
(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢٢٣.
(٤) البخاري رقم ٥٢٧٦ المغني (١٠/ ٢٦٧).
(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢٢٤.
(٦) المصدر نفسه (١/ ٣٤٥).
(٧) المصدر نفسه (١/ ٣٤٥).

ذلك الفرق بين الزنا والنكاح وأن نكاحها من الزوج الثاني صحيح وفق شريعة صحيحة، وأنه نكاح اكتملت شروطه وأركانه وانتفت موانعه، وتشبيه هذا القسيس له بالزنا من العناد والتمويه والتزوير الذي قصد به استزلال العامة وتنفيرهم من دين الإسلام، وإلا لم يقل أحد من المسلمين بإجبار الزوج الثاني على طلاقها حتى يرجع إليها الأول، بل إنه يملك منها ما يملكه الأول، فإن شاء طلقها وإن شاء أمسكها وإن كان زواجه منها لأجل أن يحللها للزوج الأول كان نكاحاً فاسداً[١] وفي تفصيل ابن قدامة لشروط عودتها إلى زوجها الأول أكد فساد النكاح من الزوج الثاني إذا كان القصد منه تحليلها للزوج الأول[٢].

٧ ـ دعوى أن المسلمين وثنيون وكفّار:

قال أكبر دعاة الحروب الصليبية في أوروبا البابا أوربان الثاني في خطابه أمام مجمع كليرمونت في فرنسا والذي دعا فيه إلى القيام بالحروب الصليبية: . . . إني أخاطب الحاضرين وأعلن لأولئك الغائبين، كما أن المسيح يأمر بهذا، إن ذنوب أولئك الذاهبين إلى هناك سوف تغفر إذا انتهت حياتهم بأغلالها الدنيوية سواء أثناء مسيرتهم على الأرض أو عند عبورهم البحر، أو في خضم قتالهم ضد الوثنيين. . . يا له من عار إذ قام جنس خسيس مثل هذا، جنس تستعبده الشياطين بهزيمة شعب يتحلى بإيمان عظيم بالرب[٣]، ووصف فوشيه شارتر أحد مؤرخي الحروب الصليبية الفرنج وأبرز قساوستهم وممن اشترك في كثير من أحداث هذه الحروب وصف المسلمين بهذه الصفة في كتابته لتاريخ حملات النصارى الأولى في هذه الحروب، ففي ثنائه على البابا أوربان الثاني الداعي الأول للحروب الصليبية قال: . . كذلك بذل جهوداً قوية لطرد الوثنيين من أراضي المسيحيين[٤]، ومؤرخ صليبي آخر عاصر أحداث الحروب الصليبية وتولى بعض المهام الدينية للصليبيين في فترة هذه الحروب وصف المسلمين وهو يكتب تاريخ الحروب الصليبية بالكفر، ومن ذلك: قوله وهو يتحدث عن بعض المواقع العسكرية بين المسلمين والصليبيين: . . ورغم ما كان يبدو من تأهب الكفار للقتال إلا أن أملهم

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٣٤٥).

(٢) المغني (١٠/ ٥٥١).

(٣) الوجود الصليبي في الشرق العربي، وفوشيه الشارتي ص ٩٣.

(٤) المصدر نفسه ص ٩٦.

في النصر أو حتى الصمود طويلاً كان أملاً واهياً، ومن ثم كان هدفهم الوحيد هو شغل الصليبيين بالقتال[١]، وها هو أحد قادتهم وهو بلدوين أمير الرها في أحد خطاباته يصف المسلمين بهذه الصفة وذلك بقوله: . . لقد استطاع شعب الفرنجة بإيحاء وتوجيه علويين أن يحرر مدينة القدس الطاهرة من انتهاكات الكفار[٢]، واتهام النصارى للمسلمين بالوثنية ليس إلا كما ورد في المثل: رمتني بدائها وانسلت، إذ الوثنية الصريحة والكفر بالله سبحانه وتعالى هو دين النصارى المحرف فهي تهمة ظاهرة البطلان، وكُتُب العلماء المسلمين في العقيدة بشكل عام تضمنت الكثير مما يبطل هذه الدعوى ومن خلال الجهود الدعوية للمسلمين تجاه النصارى في فترة الحروب الصليبية ومناقشتهم للعقائد النصرانية الباطلة والردود على شبههم يمكن استخلاص تفنيد هذه الدعوى على النحو التالي:

أ ـ **إن الدين الإسلامي دين التوحيد**، والنصرانية أساسها الشرك والكفر بالله، وتوحيد الله سبحانه وتعالى وتنزيهه عن الشرك والمثل والصاحبة والولد من مسلّمات الدين الإسلامي الذي بعث النبي ﷺ لتقريره والدعوة إليه، وهو عقيدة المسلمين الراسخة التي لا يتطرق إليها الشك، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤] لذلك انطلق العلماء المسلمون في ردودهم ودعواتهم ونقاشاتهم مع النصارى في هذه الفترة من مبدأ مسلم به لديهم، وهو أن الإسلام دين التوحيد والنصرانية ـ المحرفة ـ دين الكفر والشرك مع الله ففي مستهل كل كتاب أو ردّ أو نقاش للعلماء المسلمين في هذه الفترة مع النصارى تكون بدايته تقرير توحيد الله جلّ وعلا وتنزيهه عن شرك النصارى فيه ومن ذلك قول الجعفري في بداية كتاب التخجيل: الحمد لله الذي لا يتكثر بالأعداد، الماجد الذي لا تضارعه الأشكال والأنداد، المقدس عن الشريك والصاحبة والأولاد، المنزه عن الذات والصفات عما يقول أهل الإلحاد[٣]. وفي مستهل رد أبي عبيدة الخزرجي على رسالة أحد القساوسة قال: بسم الله الرحمن الرحيم إله فرد صمد لم يولد ولم يكن له كفواً أحد

(١) الحروب الصليبية، وليم الصوري ترجمة د./ حسن حبشي (٢/ ٢٥١).
(٢) الحروب الصليبية، وليم الصوري ترجمة د. حسن حبشي (٢/ ٢٥١).
(٣) تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل (١/ ٨٧).

سلام على المهتدين والحمد للّه رب العالمين. . . فضلنا على جميع الأجناس. . . نوحد اللّه بموجبات توحيده ونمجده سبحانه حق تمجيده[١].

ب ـ **بيان تأكيد الإسلام على لزوم التوحيد ونبذ الشرك**: ومن اهتمام بعض علماء عصر الحروب الصليبية لهذا الأمر: قول القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] أجمع العلماء على أن هذه الآية من المحكم المتفق عليه، ليس منها شيء منسوخ وكذلك هي في جميع الكتب، ولو لم يكن كذلك لعرف ذلك من جهة العقل وتصفيتها من شوائب الرياء وغيره[٢]. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

ج ـ **بيان أن الشرك محبط للعمل**: ففي تفسير قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] قال القرطبي: لئن أشركت يا محمد ليحبطن عملك وهو خطاب للنبي ﷺ خاصة وقيل: الخطاب له والمراد أمته. . . والإحباط الإبطال والفساد[٣].

د ـ **بيان أن الشرك أعظم الذنوب وأن اللّه لا يغفره.** قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١١٦] هذا من المحكم المتفق عليه الذي لا اختلاف فيه بين الأمة[٤]. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] بيّن البغوي أن الشرك موجب للنار حيث أورد حديث جابر رضي اللّه عنه قال: أتى النبيّ ﷺ رجل فقال: يا رسول اللّه ما الموجبتان؟ قال: «من مات لا يشرك باللّه شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك باللّه دخل النار[٥]».

هـ ـ **إظهار نبذ الإسلام لكل مظاهر الوثنية من أصنام وصور، وتماثيل وبناء على القبور وكل ما هو وسيلة للشرك**: ففي تفسير قول اللّه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ

(١) مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان ص ١٢.

(٢) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٣٤٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١٨٠).

(٤) المصدر نفسه (٣/ ١٥٩).

(٥) مسلم، كتاب الإيمان رقم ٩٣.

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠] قال القرطبي: الرجس الشيء القذر والوثن التمثال من خشب أو حديد أو ذهب أو فضة والنصارى تنصب الصليب وتعبده وتعظمه فهو كالتمثال أيضاً وسمي الصنم وثناً لأنه ينصب ويركز في مكان فلا يبرح عنه، يريد اجتنبوا عبادة الأوثان[١]، وقد أمر النبي ﷺ عدي أن يزيل الصليب عنه وقال: أطرح هذا الوثن عنك[٢]. وقال الرازي: ثم إنه لما حث سبحانه وتعالى على تعظيم حرماته وحمد من يعظمها أتبعه بالأمر باجتناب الأوثان[٣]، وسمى الأوثان رجساً للتأكيد على وجوب تجنبها لأن عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات[٤]، وقد أبرز كثير من العلماء في هذه الفترة موقف النبي ﷺ من أصنام المشركين التي كانت عند الكعبة عند فتح مكة حيث كان يكسرها ﷺ وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، فبعد أن عرض القرطبي ذلك بيَّن أن معنى مجيء الحق أي الإسلام وزهوق الباطل أي الشرك[٥].

و ـ **فضح النصارى بإبراز مظاهر الوثنية والشرك لديهم**: وذلك بتبجيلهم الصور والتماثيل والصلبان وإشراكهم في عبادة اللّه ففي مناقشة بعض العلماء المسلمين لعقائد النصارى وشعائرهم كان من ضمن ما ناقشوه تبجيلهم للصور والتماثيل مبينين أن ذلك ما هو إلا وثنية انتقلت إلى النصرانية واتخذها النصارى في مجامعهم ديناً وعبادة محرفين بذلك ما نزل عليهم من الحق، حيث وضح هؤلاء العلماء أن هذا من كفرهم القبيح الذي ابتدعوه في ديانتهم[٦]، مع إبرازهم لشركيات النصارى وكفرهم باللّه من خلال نقض قانون الأمانة لديهم الذي هو أصل إيمانهم، وإبطال عقيدة التثليث وتفنيد ما اعتقدوه من الألوهية في عيسى عليه السلام[٧].

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٣٧).
(٢) تفسير القرطبي (٦/ ٣٧).
(٣) تفسير الرازي (١٢/ ٢٨).
(٤) المصدر نفسه (١٢/ ٢٨).
(٥) تفسير القرطبي (٥/ ٢٠٤).
(٦) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٥٤).
(٧) المصدر نفسه (١/ ٣٥٤).

سادساً

القائمون على دعوة النصارى في عصر الحروب الصليبية

١ ـ القادة والولاة:

ومن أبرزهم عماد الدين زنكي الذي ولّاه السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه الموصل سنة ٥٢١هـ، فعظم أمره بعد ذلك وتوسعت دولته لشجاعته وإقدامه وحرصه على جمع كلمة المسلمين في مواجهة النصارى، قال عنه الذهبي: كان بطلاً شجاعاً مقداماً كأبيه[١] وقد كان من أبرز جهوده في مواجهة الفرنج ودعوتهم وضعه أساس الوحدة الإسلامية في الموصل والشام والتي كانت من أهم الأسباب التي مكنت المسلمين من المواجهة ضد زحف النصارى على البلاد الإسلامية؛ حيث دخلت في طاعته مجموعة من المدن المستقلة والمتناحرة بينها وكان قد بدأ بجزيرة ابن عمر سنة ٥٢١هـ وغير ذلك، وبعد أن حقق هذه الوحدة بدأ بجهاد الصليبيين حيث هزمهم في مواقع كثيرة، وكان من أبرز إنجازاته في ذلك فتحه لإمارة الرها الصليبية سنة ٥٣٩هـ[٢]. وقال أحد الكتّاب الأوروبيين عن أهمية هذا الفتح: وسقوط الرها في يد زنكي يعتبر نقطة تحول في الشرق اللاتيني، كما يعتبر بداية النهاية[٣]، وبعد مقتله عام ٥٤١هـ تولى ابنه نور الدين محمود زنكي وكان ذا ديانة وورع ومداومة للجهاد محباً للسُّنة، مظهراً لها مزيلاً للمناكير ممكناً لأهل الخير في دولته[٤]. قال عنه ابن الأثير: طالعت السير فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته ولا أكثر تحرياً منه للعدل[٥]، وقال ابن كثير: كان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر محباً للعلماء والفقراء والصالحين، مبغضاً للظلم، صحيح الاعتقاد.. وكان قد قمع المناكر وأهلها، ورفع العلم والشرع، وكان مدمناً لقيام الليل[٦]، وقال أبو شامة

---

(١) نصيبين: مدينة قديمة في جنوب شرق تركيا على الحدود السورية.

(٢) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (١/ ٣٦).

(٣) الحروب الصليبية أرنست باركر ترجمة السيد الباز العريني ص ٥٢.

(٤) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٦٥).

(٥) الكامل في التاريخ (٩/ ٣٩٤)دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٦٥).

(٦) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠٦) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٦٥).

المقدسي: . . كان يعظم العلماء ويجمعهم عنده للبحث والنظر، واستقدمهم إليه من البلاد الشاسعة[١]، قال ـ رحمه الله ـ مبيناً دور الفقهاء والعلماء في ظهور دولته، ونصره على أعدائه الفرنج: هؤلاء جند الله وبدعائهم ننصر على الأعداء ولهم في بيت المال حق أضعاف ما أعطيهم، فإذا رضوا منا ببعض حقهم فلهم المنة علينا[٢]، وكان ـ رحمه الله ـ متمسكاً بالسنة وقافاً عند حدود الله، أظهر في بلاده السنة وأمات البدعة[٣]، وكان أكثر القادة المسلمين في هذه الفترة مواجهة للنصارى، فمن جهوده المباشرة في دعوتهم مراسلاته مع بعض قادتهم بشأن العلاقات بينهم وبين المسلمين وما تحقق من جراء ذلك للأمة من المصالح، كمراسلاته مع ملك الروم، والتي تمخضت عن هدنة مكنت المسلمين من مواجهة أعداء آخرين ومراسلاته مع ملك الأرمن حيث أدت هذه المراسلات إلى استمالته في صف المسلمين ضد أبناء ملته[٤]، ومن جهوده المباشرة أيضاً في دعوتهم جهاده المستمر لهم والذي أثمر عن تقلص نفوذهم في بلاد الشام وظهور دولة المسلمين بعد ضعف وفرقة وقد قال ابن الجوزي عن ذلك: . . وجاهد وانتزع من الكفار نيفاً وخمسين مدينة وحصناً[٥]، بل وأسر بعض قادتهم كصاحب طرابلس وصاحب الروم وابن جوسلين وغيرهم ولهذه الانتصارات الكبيرة على الفرنج والتمكين للمسلمين بعد ضعفهم في الشام مع قلة العسكر في مواجهة تكالب النصارى على المسلمين أدرك بعض النصارى سبب هذه الانتصارات وأنه لا يرجع إلى القوة العسكرية فحسب، بل إلى صبر نور الدين واحتسابه وصدقه وإنابته إلى الله سبحانه مع الأخذ بالأسباب حيث قال بعضهم: . . وابن القسيم له مع الله سر، فإنه لا يظفر علينا بكثرة جنده وعسكره، وإنما يظفر علينا بالدعاء وصلاة الليل، فإنه يصلي بالليل ويرفع يده إلى الله ويدعو فالله سبحانه وتعالى يستجيب له دعاءه ويعطيه سؤاله وما يرده خائباً فيظفر علينا[٦]، ومن جهوده، غير المباشرة في دعوة النصارى تحقيقه للوحدة بين المسلمين في الموصل والشام

---

(١) كتاب الروضتين (١/ ٩).
(٢) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٦٦).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٣٦٦).
(٤) كتاب الروضتين نقلاً عن دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٦٧).
(٥) المنتظم (١٨/ ٢٠٩).
(٦) كتاب الروضتين (١/ ١٤) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٦٨).

ومصر مما كان له أثره الكبير في نجاح عملية الجهاد[١]، يضاف إلى ذلك اهتمامه بالعلم والعلماء، حيث بنى المدارس في حلب وحماة ودمشق، وشيد دار الحديث في دمشق ولا يخفى أثر ذلك في نشر العلم وتثقيف المسلمين مما ساعد على مواجهة شبه النصارى بل ودعوتهم وهكذا كان نور الدين عزًّا للمسلمين في الشام ومصر بعد ضعف وظهور النصارى، وكانت جهوده في مواجهة النصارى ودعوتهم الأساس لنجاح جهود من بعده من الولاة والقادة، كصلاح الدين والظاهر بيبرس وغيرهما[٢].

قال ابن كثير موضحاً الانسجام التام بين الراعي والرعية: . . وفيها ـ أي سنة ٥٥٢هـ ـ مرض نور الدين فمرض الشام بمرضه وعوفي ففرح المسلمون فرحاً شديداً[٣]. وبعد حياة حافلة بالجهاد والدعوة توفي نور الدين سنة ٥٦٩هـ في دمشق رحمه اللّه رحمة واسعة[٤]، ومن أراد التوسع فليراجع كتابي عن الزنكيين.

أ ـ جهود صلاح الدين في دعوة النصارى:

كان خليقاً للإمارة مهيباً، شجاعاً، حازماً، مجاهداً، كثير الغزو عالي الهمة[٥]، أمضى حياته في جهاد الفرنج والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام فكان خلال لقاءاته بقادتهم ومحادثاته معهم يستغلها في إبراز محاسن الإسلام لهم ودعوتهم إليه، ومن ذلك مثلاً ما فعله صاحب صيدا الإفرنجي حيث قال ابن شداد عن ذلك: . . . ولقد رأيته وقد دخل عليه صاحب صيدا بالناصرة فاحترمه وأكرمه وأكل معه الطعام ومع ذلك عرض عليه الإسلام فذكر له طرفاً من محاسنه وحثه عليه[٦]، وكان يستغل علاقاته الحسنة مع بعض قادتهم من أجل التمكين للدعوة ومن ذلك تفاهمه مع صاحب طرابلس الصليبي بأن يوعز الأخير لأتباعه باعتناق الإسلام حيث أدركته المنية قبل إتمام ذلك[٧]، ولأجل هذا الغرض النبيل كان يتألف كثيراً من قادتهم بالمال والهدايا طمعاً في إسلامهم وكان نبله وحسن

(١) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٦٨).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٣٦٨).
(٣) البداية والنهاية (١٢/ ٢٥٤) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٦٨).
(٤) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٦٨).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٧٩).
(٦) النوادر السلطانية ص ٦٦.
(٧) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد ص ١١١.

خلقه من أبرز الأسباب التي جعلت الكثير من النصارى في هذه الفترة يغيرون ما علق بأذهانهم عن الإسلام من صورة مشوهة، بل ويعتنق أعداد كبيرة منهم الإسلام ومن ذلك مثلاً ما حدث بعد معركة حطين ومنّه على كثير من أسرى الصليبيين، ورحمته لنسائهم وضعفائهم مما جعل أعداد كبيرة منهم يعتنقون الإسلام(١)، ولنبله في كثير من المواقع انضمت أعداد كبيرة منهم إلى معسكر المسلمين بعد إسلامهم لتقاتل معه ضد أقوامهم(٢)، بل إن كثيراً منهم كانوا على نصرانيتهم، ومع ذلك انضموا إليه ضد بني ملتهم(٣)، وأما الجهاد في سبيل اللّه ـ أهم وسائل الدعوة ـ فله اليد الطولى فيه، ووقعاته مشهورة معهم، وعلى يده كان طردهم من الغالبية العظمى من بلاد الشام ومن أعظم ذلك استرداده بيت المقدس من أيديهم بعد معركة حطين المشهورة عام ٥٨٣هـ(٤)، وكان ـ رحمه اللّه ـ حريصاً في كل وقعة معهم أن يعرض الإسلام عليهم فبعد كل معركة يعرض الإسلام على الأسرى قبل اتخاذ أي إجراء معهم ومن ذلك مثلاً ما حدث بعد معركة حطين وقد كان طموحه ـ تتبع النصارى في بلادهم حتى لا يبقى منهم من يكفر باللّه، وهذا ما صرح به لقاضي عسكره ابن شداد، وذلك بقوله: أما أحكي لك شيئاً؟ قلت: بلى، قال: في نفسي أنه متى يسَّر اللّه تعالى بقية الساحل قسمت البلاد وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم أتتبعهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر باللّه أو أموت(٥)، ومن جهوده المباشرة في الدعوة للنصارى حرصه على تحقيق الوحدة بين المسلمين والعمل على ذلك لتقوية الجبهة الإسلامية ضد النصارى، وجهوده في مجال تحقيق الأمن والضرب على أيدي العابثين(٦)، وقد اهتم صلاح الدين بالعلماء والفقهاء واتخذهم بطانة له، بل وأسند كثيراً من المهمات الإدارية والقيادية إليهم وهم قادة الرأي في الأمة وهداتها إلى طريق الحق وحراسها من الغواية والضلال ودعاتها بعلمهم وعملهم، ومن أبرز هؤلاء العلماء القاضي ابن شداد الذي تولى قضاء عسكره وقام بكثير من

(١) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٧١).

(٢) الروضتين في أخبار الدولتين (٢/ ٧٤).

(٣) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٧١).

(٤) النوادر السلطانية ص ٥٥.

(٥) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٧٢).

(٦) النوادر السلطانية ص ١٣٩.

السفارات له[١]، وكان صاحب ديوان الإنشاء لديه وأحد أهم مستشاريه القاضي الفاضل وقد تحدثت عنهم بالتفصيل في كتابي عن صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ومما يضاف إلى جهوده غير المباشرة في دعوة النصارى توسعه في إنشاء المدارس، خصوصاً في مصر، والتي كان لعلمائها، والدارسين فيها دور كبير في دعوة النصارى في هذه الفترة، ولقد تأثر الكثير من قادة النصارى بأخلاق صلاح الدين وتسامحه وعفوه وحلمه وقد بيَّن صاحب قصة الحضارة بعد أن نقل نماذج من نبل صلاح الدين وكرمه وأخلاقه إعجاب كثير من المؤرخين النصارى بهذا البطل المسلم بل ودهشتهم، كيف يخلق الدين الإسلامي ـ الخاطئ في ظنهم ـ رجلاً من العظمة إلى هذا الحد[٢]. وبعد حياة حافلة بالجهاد والدعوة توفي ـ رحمه اللّه ـ في صفر سنة ٥٨٩هـ ودفن في دمشق[٣].

ب ـ جهود الملك العادل:

وممن له جهود واضحة في مواجهة النصارى ودعوتهم في هذه الفترة من الولاة والقادة الملك العادل محمد بن أيوب بن شادي بن مروان بن يعقوب الدويني التكريتي أخو صلاح الدين، الذي ولد سنة ٥٣٤هـ في بعلبك، إذ كان والده نائباً فيها لزنكي بن آقسنقر، وعندما شب خدم أخاه صلاح الدين في كثير من المهام فولاه نيابة مصر ثم دمشق، وبعد موت صلاح الدين ونشوب الصراع بين ولديه الملك الأفضل والملك العزيز استطاع أن يستولي على الحكم الأيوبي قال ابن كثير: كان العادل حليماً صفوحاً صبوراً على الأذى كثير الجهاد بنفسه ومع أخيه، حضر معه مواقفه كلها أو أكثرها في مقاتلة الفرنج[٤] وقال أيضاً: . . من خيار الملوك وأجودهم سيرة ديناً وعقلاً، صبوراً وقوراً أبطل المحرمات، والخمور والمعازف من مملكته، وقد كانت ممتدة إلى أقصى بلاد مصر واليمن والشام والجزيرة إلى هَمْذان كلها[٥]. وكانت له جهود واضحة في مواجهة الفرنج

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٧٤).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٣٧٤).

(٣) البدايةوالنهاية (١٣/ ٨٦ ـ ٨٧) دعوة المسلمين (١/ ٣٧٥).

(٤) البداية والنهاية (١٣/ ٨٦ ـ ٨٧) دعوة المسلمين (١/ ٣٧٥).

(٥) همذان: بتسكين الميم مدينة باليمن في شماله الغربي قرب صعدة.

ودعوتهم، قال ابن كثير عن ذلك: فقد كان كثير الجهاد بنفسه ومع أخيه[١]، ثم جهاده بعد ذلك النصارى وهزيمته لهم في عدة مواقع كما في مرج عكا وفتح يافا سنة ٥٩٣هـ وغير ذلك يضاف إلى جهوده في هذا المجال محادثاته ومراسلاته واجتماعاته الكثيرة مع قادة الفرنج ورسلهم خصوصاً في حكم أخيه صلاح الدين وما أسفرت عنه هذه الجهود لصالح الإسلام والمسلمين ومن ذلك مثلاً لقاءاته الكثيرة، بملك الإنجليز ممثلاً لأخيه صلاح الدين وقيامه بمساعي الصلح معه وفق الشروط التي وضعها المسلمون[٢]، حيث أسفرت هذه اللقاءات والمحادثات عن تنازل الصليبيين عن القدس وعدم مطالبتهم بها والاكتفاء بالزيارة والحج إلى بعض الأماكن المقدسة لديهم فيها[٣]. وكذلك لقاؤه بابن الهنفري وهو من أكابرهم وملوكهم وأولاد ملوكهم وكان يجيد اللغة العربية، وغيرهم من قادتهم، ومحادثاته الكثيرة مع رسلهم وما أسفرت عنه مجموعة هذه اللقاءات والمراسلات والمحادثات من تغير فكرة كثير من النصارى الفرنج للمسلمين، والتخفيف من روحهم العدائية الشديدة تجاه المسلمين مما كان له أثره في إزالة بعض عوائق الدعوة الموجهة إليهم وكانت وفاة الملك العادل ـ كما مرّ معنا ـ سنة ٦٢٥هـ حيث دفن في دمشق[٤]. هؤلاء من أشهر القادة ممن قام بالدعوة إلى الإسلام في عصر الحروب الصليبية وغيرهم كثير.

ج ـ جهود يوسف بن تاشفين في المغرب الإسلامي:

قال عنه ابن الأثير: وكان يوسف بن تاشفين حليماً، كريماً، ديناً خيراً، يحب أهل العلم والدين ويحكمهم في بلاده[٥]، وقد تزعم دولة المرابطين وكان من أبرز أعماله في مواجهة النصارى نجدته للمسلمين في الأندلس إثر زحف النصارى على الممالك الإسلامية هناك نتيجة لتناحر الطوائف وضعف المسلمين، فكان له مع النصارى الوقائع المشهورة وكان على يديه إعادة توحيد الأندلس ودفع الخطر النصراني الزاحف ومن أشهر وقائعه معهم معركة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٣٧٦).

(٢) النوادر السلطانية ص ٢٧٤.

(٣) النوادر السلطانية ص ٢٩٠.

(٤) السلوك لمعرفة دول الملوك (١/ ١٩٠).

(٥) الكامل في التاريخ (٩/ ٥٣١).

التي هزم فيها الأذفونش ملك الإفرنج في الأندلس، وأظهر اللّه الإسلام وأعز أهله[١]، قال الذهبي عن هذه المعركة: ثارت الفرنج بالأندلس فعبر ابن تاشفين ينجد المسلمين فطعن العدو[٢]، ثم تتالت بعد ذلك معاركه مع النصارى، والتي وحد بها الأندلس وأعاد بها هيبة المسلمين هناك ولتأكيد عزمه على إعادة نشر الإسلام في الأندلس وجهاد الإفرنج هناك كتب على عملته قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥][٣].
وكانت وفاته في مراكش سنة ٥٠٠هـ[٤].

د ـ جهود عبد المؤمن بن علي في عهد دولة الموحدين:

ومن الولاة في غرب الدولة الإسلامية الذين كان لهم جهد في دعوة النصارى وجهادهم الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي بن يملي بن مروان من قيس عيلان[٥]، والذي تولى الخلافة سنة ٥٢٤هـ وكان عاقلاً حازماً، سديد الرأي، حسن السياسة للأمور، كثير البذل للأموال[٦]، كان له اهتمام كبير لمراقبة عماله ونصحهم ومعاقبة المسيء منهم، مع حثه إياهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على أيدي السفهاء حتى إنه عزل ابنه عن ولاية العهد لما ظهر عليه من أمور مخلة بالكرامة[٧]، ومن جهوده في مواجهة الفرنج ودعوتهم مهاجمته بعض حصونهم في الأندلس على يد أحد قواده سنة ٥٥٠هـ واسترداده للمرية[٨] من أيديهم بعد زحفهم عليها إثر تضعضع أحوال المرابطين في الأندلس، وذلك سنة ٥٥٢هـ. كذلك طرد الفرنج من المهدية سنة ٥٥٨هـ وإحسانه إلى أسراهم وترغيبهم بالإسلام ودعوته إليه[٩]، وقد كانت وفاته في سلا[١٠] سنة

---

(١) الأنيس المطرب ص ١٤٥.
(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٢٥٣).
(٣) الأنيس المطرب ص ١٥٧.
(٤) المصدر نفسه ص ١٣٧ دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٨٦).
(٥) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٨٨).
(٦) الكامل في التاريخ (٩/ ٢٩٩) دعوة المسلمين (١/ ٣٨٩).
(٧) البيان المغرب، قسم الموحدين ص ٧٨.
(٨) المرية: مدينة في جنوب شرق إسبانيا على البحر المتوسط.
(٩) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/).
(١٠) سلا: مدينة مغربية ، تقع حالياً على ساحل المحيط الأطلسي.

٥٥٨هـ حيث حمل إلى تيفل[١] ودفن بها وكان لحفيده يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الذي ولد سنة ٥٥٣هـ[٢] جهود واضحة في هذا المجال، فمن جهاده للنصارى قدومه بنفسه إلى الأندلس سنة ٥٩١هـ، ومواجهة النصارى في عدة مواقع ثم هزيمته للفرنج في معركة الآراك التي شبهها بعض المؤرخين بمعركة الزلاقة لقوتها وأهميتها وأثرها في إعادة هيبة المسلمين في الأندلس، ثم ما تلاها من غزوات قام بها ـ رحمه الله ـ سنة ٥٩٢هـ قال صاحب البيان المغرب عن أثر بعض جهود المنصور في نشر الإسلام بالأندلس: . . واصطكت في هذه الحصون المذكورة دعوة الإسلام، وتقوضت في أسبوع واحد ملة الكفر بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام[٣]. ولذلك لما رأى فرنج الأندلس تقدم أبي يوسف واكتساحه لكثير من حصونهم وعدم توانيه في ذلك كفوا أذاهم عن المسلمين، بل طلبوا الصلح على ما اشترطه أبو يوسف[٤]، ولشعوره ـ رحمه اللّه ـ بحال المسلمين في الأندلس في مقابل النصارى، وخشيته على الأندلس من زحفهم عليها، وحرصه على مجاهدتهم فيها أوصى من بعده في مرض وفاته بالاهتمام بذلك وإبلائه القدر الأكبر من العناية، فكان من قوله: . . أوصيكم بالأيتام واليتيمة: الأندلس، والأيتام: هم المسلمون فيها مقابل النصارى وكانت وفاته ـ رحمه اللّه ـ في مراكش سنة ٥٩٥هـ[٥].

وهكذا كان لبعض الولاة والقادة في غرب الدولة الإسلامية دور مهم في الحفاظ على الكيان الإسلامي وتوحيد كلمة المسلمين هناك، ودعم المسلمين في الأندلس وإيقاف زحف النصارى عليها إضافة إلى جهودهم غير المباشرة والمتمثلة في التمكين للعلماء ونشر العلم، ولا يخفى أثر ذلك في نجاح الجهود الدعوية بشكل عام، ومنها الجهود الموجهة إلى النصارى[٦].

٢ ـ العلماء:

في عصر الحروب الصليبية كان العلماء يقومون بهذه المهمة خير قيام، فنبغ

(١) تيفل وتسمى حالياً تافيلت، مدينة تقع في الوسط الشمالي لدولة المغرب.
(٢) البيان المغرب قسم الموحدين ص ٧٩.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٩١).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٣٩١).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٣٩٢).
(٦) المصدر نفسه (١/ ٣٩٢) نقلاً عن دعوة المسلمين للنصارى .

الكثير من العلماء في مختلف العلوم وشعروا بمسؤوليتهم في الدعوة بشكل عام ودعوة النصارى على وجه الخصوص، فبذلوا جهوداً مشكورة في سبيل ذلك من خلال الجهاد، والتعليم، والتأليف، والكتابة، والردود، وغير ذلك[(١)] . وممن له جهود في دعوة النصارى في عهد الحروب الصليبية : .

أ ـ نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب :

والذي عاش بعد سنة ٤٤٩هـ ومن خلال كتابه النصيحة الإيمانية، وبعض الترجمات اليسيرة عنه يتضح أنه نصراني يعمل بالطب، ثم أسلم بعد بحث ونظر، ويرجح أحد الباحثين، أن نصر هذا هو نفسه الذي ترجمت له بعض المصادر باسم يحيى بن يحيى بن سعيد المتطبب النصراني، المتوفى بالبصرة سنة ٥٨٩هـ وقد تمثل جهد نصر بن يحيى بعد إسلامه في دعوة النصارى شعوره بمسؤوليته في دعوة قومه فاستغل معرفته بديانتهم واطلاعه على تحريفاتهم وشبهاتهم فألف كتاباً في ذلك، وحيث أنقذني اللّه من الشريعة التي نسخت والملة التي طمست، وشرفني اللّه بدين الإسلام . . أحببت أن أذكر نبذاً من أحوال النصارى[(٢)] ، حيث ذكر في هذا الكتاب نبذاً من أحوال النصارى وفرقهم ومذاهبهم وأناجيلهم وأبرز معتقداتهم التي أوضح أنه لا يعول عليها وليس لها أصل أو برهان أو حجة تقوم عليها[(٣)] ، ثم وجه هذا الكتاب ابتداء إلى علمائهم ومقدميهم لعلهم يرجعون عن ضلالهم وغيّهم وطغيانهم[(٤)] .

ب ـ محمد بن عمر بن الحسين بن علي الرازي :

وكان من جهوده في دعوة النصارى في هذه الفترة مناظراته الكثيرة معهم والتي منها مناظرته المشهورة مع أحد قساوسة أصبهان وكان في مناظراته مع النصارى ظاهر الحجة واضح البرهان، لا يجرؤ كثير منهم لذلك على التصريح بمعتقده أمامه حتى قيل عنه: وما من نصراني رآه إلا وقال: أيها الفرد لا نقول بالتثليث بين يديك[(٥)] . ومما يضاف إلى جهوده في هذا المجال عرضه لعقائد

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٩٣).

(٢) النصحية الإيمانية ص ٥١ دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٤٠٢).

(٣) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٣٩٤).

(٤) المصدر نفسه (١/ ٤٠٣).

(٥) طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ٨٤).

النصارى وبيانها والرد عليها وذلك في بعض كتبه وإسهامه في ذلك في تفسيره عند الآيات التي تتحدث عن النصارى حيث يعرض الكثير من عقائدهم وشبهاتهم مبطلاً ومفنداً لها وقد كانت وفاة الرازي دعوة المسلمين للنصارى يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦هـ.

ج ـ صالح بن الحسين بن طلحة الجعفري:

كان مولده بمصر سنة ٥٨١هـ[١] وكان الجعفري كثير المناظرة لرهبان النصارى، حيث يدل على ذلك بعض الإشارات في كتبه، ومن ذلك مثلاً قوله: . . ولقد فاوضني بعض الرهبان ممن يدعي بناناً في البيان[٢] قوله: لقد فاوضت بعض النصارى فيما يتعلق بألفاظ النبوّة[٣] وقوله: قلت لنصراني من عقلائهم[٤]. ومن جهود الجعفري في هذا المجال اهتمامه بما يصدر عن نصارى الفرنج تجاه المسلمين وتصديه لشبههم والرد عليها وتفنيدها، ففي كتابه: الرد على النصارى أشار إلى الدافع له لتأليفه أسئلة وردت من الفرنج يمتحنون بها المسلمين إذ يقول: . . وقفت على مسائل ذكر أن الفرنج بعثوا فيها يمتحنون أهل الإسلام، فنظرت فيها، فإذا هي خالية من الفوائد الدينية عاطلة عن المنافع الدنيوية[٥]. وأما التأليف في هذا المجال فكان للجعفري الجهد الواضح فيه دعوة لهم، ورداً على شبههم، وبياناً للحق الذي اشتبه على كثير من عامتهم؛ حيث استشعر هذه المهمة الجليلة في دعوة النصارى، فبين أن من أسباب تأليفه مثلاً لكتاب تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل هو رجاء هدايتهم فعسى اللّه أن يقدر هداية بعضهم، ونحن مأمورون بدعائهم إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة[٦]. ومما دفعه إلى التأليف أيضاً تعليم الحجة في الرد عليهم، وإلزامهم بمقتضى أصولهم، وهذا مما يعين على دعوتهم[٧]. مع ما في ذلك من ترسيخ لإيمان المسلم بإظهار الآيات من كتبهم التي توافق القرآن، كما قال تعالى:

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠١).
(٢) النجوم الزاهرة (٦/ ٩٨).
(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ص (١/ ٢٥٠).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٣٣).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٣٥٣).
(٦) الرد على النصارى ص ٥٦.
(٧) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٤١٠).

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧][١]. وكثرة الأدلة توجب الطمأنينة وتثلج الصدر[٢]، ولهذا الغرض الجليل المتمثل في دعوة النصارى إلى الإسلام وردّ شبههم، وكشف باطلهم لمن حجب عنه الحق منهم أن يعرفه قيام الجعفري بتأليف عدد من الكتب منها: تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل، وكتاب الرد على النصارى، وكتاب الواضح المشهود في فضائح النصارى واليهود، ومما يضاف إلى جهود الجعفري في دعوة النصارى إلى الإسلام اعتماد الملك الكامل عليه في بعض الأحيان للرد على أسئلة النصارى ومناقشتهم، فعندما أرسل ملك الروم رسالة إلى الملك الكامل سنة ٦١٨هـ متضمنة بعض الأسئلة للمسلمين كان ممن كلف بالإجابة عليها الجعفري[٣]، وقد كانت وفاته ـ رحمه اللّه ـ سنة ٦٦٨هـ بالقاهرة حيث دفن بالمقطم[٤].

د ـ أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي:

كانت له جهود كبيرة في مناظراته الكثيرة معهم والرد على شبههم ودعمه للسلطة في وقته وفي مواجهتهم، ومما يدل على كثرة مناظراته مع النصارى قوله في أحد كتبه: . . اتفق لي مع كثير منهم في المناظرة أني أطالبه بتصوير مذهبه كيف يمكن إقامة الدليل عليه[٥]. وقد اعتنى ـ رحمه اللّه ـ في الرد على شبههم، ومن ذلك تخصيص الباب الثاني في كتابه الأجوبة الفاخرة في الرد عليها وتفنيدها حيث قال: الباب الثاني في أسئلة لأهل الكتاب النصارى واليهود عادتهم يتولوعون بإيرادها. . والجواب عنها[٦]، ومن مشاركته ودعمه للسلطة في وقته في مواجهة النصارى ودعوتهم تأليفه كتاب: «أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية» وإهدائه للملك الكامل الذي كان الصراع العسكري والفكري في وقته على أشده مع الصليبيين وقد قال القرافي في ذلك: . . فرأيت أن أؤلف لمولانا السلطان أعزه اللّه تعالى في الرد عليهم كتاباً أتحفه فيه بغريبه وأنفرد فيه بطريقة

(١) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٤١٠).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٤١٠).
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٤١١).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٤١١).
(٥) الأجوبة الفاخرة ص ١١١.
(٦) الأجوبة الفاخرة ص ٣.

عجيبة، أجمع فيه مذاهبهم على جليتها وأخاطبهم بنصوص نصوصهم وأجادلهم بها مجادلة الأقران، وأبارزهم على نقضها مبارزة الشجعان[١]. والقرافي كان مستشعراً لأهمية الدعوة إلى الإسلام بشكل عام وأن الذب عن الدين والدعوة إليه أسمى ما تصرف فيه الهمم حيث قال: أجلت طرف الفكر ميدان النظر أي فن أقصد إليه، وأرجو من اللّه أن يثيب عليه، فظهر لي أن أولي ما تصرف إليه الهمم، وتتفاوت فيه القيم، وتتنافس فيه الأفاضل، ويتميز به المفضول من الفاضل الذب عن حوزة الدين وحراسة بقية المسلمين بالبحث [عن] الملل والأديان، وإقامة الدليل على وحدانية الملك الديان[٢]، ثم وضح القرافي أن أول من يدعى إلى ذلك هم النصارى حيث قال: فنظرت في أهل الشرائع والمذاهب، وتفكرت فيمن هو فيها عن التوحيد ذاهب، فلم أجد سوى مذهب النصارى الضالين الحيارى[٣]. ومن الكتب أيضاً التي ألفها القرافي في هذا المجال كتاب «الأقوال القديمة في حكم النقل من الكتب القديمة» وبعد حياة حافلة بالعلم والدعوة توفي القرافي في جمادى الآخرة من سنة ٦٨٤هـ[٤] بالقاهرة ـ رحمه اللّه رحمة واسعة ـ.

هـ ـ أحمد عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي:

عرف منذ شبابه بالذكاء والحفظ وكانت له عناية بالحديث والتواريخ[٥]، وله جهود مشكورة في دعوة النصارى من خلال كتاباته في عقائدهم ومناظراته معهم، والرد على شبههم، ومن ذلك أنه كان أحد قساوسة طليطلة الإفرنج يثير الشبه ويلقيها بين المسلمين لزعزعة ثقتهم في دينهم وكانوا يحارون في الإجابة عنها حتى هيأ اللّه لهم أبا عبيدة، فكان المسلمون يأتون إليه ليجيب على أسئلة القسيس وشبهه، فيتصدى أبو عبيدة لذلك، فتزول شبهتهم ثم يحملون الإجابة ليلقمونه حجراً ويفندون حججه ويبطلون إدعاءاته[٦]. وكانت لأبي عبيدة جهود مباشرة في النقاش والردود والدعوة لقساوسة النصارى في الأندلس، منها على

(١) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ص ٤١٤.
(٢) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٤١٤).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٤١٤) أدلة الوحدانية ص ٢٠.
(٤) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب (١/ ٢٣٩).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٢١٥ ـ ٢١٦).
(٦) مقامع هامات الصلبان ومراتع رياض أهل الجنة ص ٥٣.

سبيل المثال: رسالته إلى أحد قساوسة طليطلة ردًّا على رسالة بعث بها هذا القسيس إليه يدعوه فيها إلى النصرانية ويثير فيها بعض الشبه حول الإسلام حيث أرسل له أبو عبيدة رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام ويظهر له مثالب النصرانية وتحريفها ويزيل الشبه التي تعلق بها هذا القسيس للطعن في الدين الإسلامي[١].
ومما يضاف إلى جهود أبي عبيدة في هذا المجال تأليفه للكتب التي توحي عناوين بعضها بأنها مجابهة لحرب فكرية أثارها النصارى في الأندلس ضد الإسلام والمسلمين في وقته ومن هذه الكتب: مقامع هامات الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان[٢]، وكتاب مقام المدرك في إفحام المشرك، وكتاب مقصد السبيل في معرفة آيات الرسول، وكتاب آفاق الشموس وأعلاق النفوس، والأخير في أحكام النبي ﷺ، وكانت لأبي عبيدة ـ رحمه اللّه ـ مشاركة في الجهاد العسكري ضد النصارى حتى إنه أسر في طليطلة سنة ٥٤٠هـ وبقي في الأسر إلى سنة ٥٤٢هـ، وكان خلال فترة أسره يحاور النصارى ويناقشهم ويملي الحجة على المسلمين الذين في الأسر معه لمواجهة شبه النصارى وإدعاءاتهم وبعد فكاك أبي عبيدة من الأسر ودعماً منه للجهود المبذولة في مواجهة النصارى جمع بعض ردوده ومناقشاته معهم في عدة نسخ ووضعها بأيدي المسلمين الذين لا يزالون تحت الأسر في طليطلة، حيث قال صاحب كتاب الذيل والتكملة عن ذلك: «... وتركه في نسخ بأيدي جماعة من المسلمين المبتلين بالأسر هناك لما يسّر اللّه في تخلصه[٣]». وقد كانت وفاة أبي عبيدة في فاس سنة ٥٨٢هـ[٤].

و ـ محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي:

كان من علماء المغرب الإسلامي الذين لهم جهود في دعوة النصارى نشأ في قرطبة بالأندلس وأخذ من علمائها ثم هاجر إلى المشرق واستوطن مصر حيث كانت وفاته في منية الخصيب بصعيد مصر سنة ٦٧١هـ[٥]. وكان القرطبي محدثاً، فقيهاً، مفسراً، متبحراً في كثير من العلوم وكان ورعاً زاهداً، متعبداً،

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٤٢٠).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٢٠).
(٣) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة القسم الأول ص ٢٤٠.
(٤) فاس: مدينة في شمال المغرب أسسها إدريس الثاني سنة ١٩٣.
(٥) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٢/ ٢١٠ ـ ٢١٢).

عمّر أوقاته بين العبادة والتصنيف، حيث خلف العديد من المؤلفات القيمة، من أشهرها: كتابه في التفسير، الجامع لأحكام القرآن، والأسنى في أسماء اللّه الحسنى، والتذكار في أفضل الأذكار والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة، إلى غير ذلك[١].

وفيما يتعلق بدعوة النصارى فله اهتمام كبير في هذا الجانب يتمثل في حرصه على الرد عليهم وكشف ضلالهم وإزالة شبهاتهم ومن ذلك رده على قسيس طليطلة الذي بعث بكتاب إلى المسلمين في قرطبة أسماه: تثليث الوحدانية[٢] : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإثبات نبوّة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، حيث ناقش القرطبي في كتابه الإعلام فصلاً بين فيه أن السبب الذي دفعه إلى ذلك هو خشيته من تلبيس قسوسهم الذين يكتبون حول بعض تشريعات الإسلام وهم لا يحسنون ذلك فيقرؤها إخوانهم في الديانة فيفهموا الإسلام على غير وجهه الصحيح[٣]، إضافة إلى أنه وضع هذا الفصل ليطلع عليه النصارى فيفهمون الإسلام على الوجه الصحيح ليكون أدعى إلى اعتناقهم إياه[٤].

سابعاً

وسائل الدعوة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية

تنوعت وسائل الدعوة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية إلى وسائل متنوعة منها:

١ ـ الكتب:

في فترة الحروب الصليبية كان الكتاب من أهم وسائل الدعوة الموجهة إلى النصارى، وكان له أثره في إبطال شبههم، وفضح ضلالاتهم، وكشف تلبيس

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٤٢١).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٢١).
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٤٢٢).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٤٢٢).

مبطليهم وبيان الحق الذي عُمّي على عامتهم، ومن الأمثلة على ذلك كتاب «الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة» للقرافي حيث كان السبب الأول الذي دفعه لتأليف هذا الكتاب رسالة بعث بها أحد النصارى يقيم الحجج فيها على صحة دينه[١]، ومثله كتاب القرطبي ـ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوّة محمد عليه الصلاة والسلام ـ حيث كان الدافع الأول لتأليف القرطبي هذا الكتاب كتاب بعث به أحد قساوسة النصارى في طليطلة بالأندلس أسماه ـ تثليث الوحدانية[٢] ـ فحرك ذلك القرطبي لتأليف كتابه رداً على كتاب القسيس متتبعاً له ومناقشاً ما أورده فيه من شبه، ومبطلاً ما اعتمدوا عليه في ديانتهم وعقائدهم، ومن الكتب التي كان السبب المباشر في تأليفها كتابات لبعض النصارى بعثوا بها إلى المسلمين، كتاب الرد على النصارى لصالح بن الحسين الجعفري[٣]، وكذلك من الكتب رد أبي عبيدة الخزرجي على شبهات قسيس طليطلة وتفنيدها، وردود بعض علماء الأندلس على رسالة ابن غرسية النصراني في ذم العرب والمسلمين والتي كثر تداولها في الأندلس في هذه الفترة حيث ألف بعض العلماء في الرد عليه منهم: محمد بن مسعود بن طيب بن أبي الخصال وكان رده بعنوان: خطف البارق وقذف المارق في الرد على ابن غرسية المارق[٤]. وهناك نوع آخر من الكتب التي ألفها علماء هذه الفترة بمبادرة منهم وذلك دعماً للسلطة في مواجهة النصارى ودعوتهم، ومن هذه الكتب كتاب أدلة التوحيد في الرد على النصرانية لأحمد بن إدريس القرافي ومن الكتب في هذه الفترة من ألفها بعض العلماء ابتداء رجاء هداية النصارى من خلال مناقشة عقائدهم وبيان بطلانها وإيضاح الحق الذي اشتبه على كثير من عامتهم بسبب تلبيس قساوستهم، ومن الأمثلة على هذا النوع من الكتب كتاب تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل لصالح بن الحسين الجعفري[٥]. وغيرها من الكتب الكثيرة التي ناقشت قادة الرأي ورجال الدين النصارى كرسالة أبي عبيدة الخزرجي إلى قسيس طليطلة وكتاب الواضح المشهود ولها أثرها أيضاً من جهة

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٣.
(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٣.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٤٤٨).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٤٥٠).
(٥) دعوة المسلمين النصارى (١/ ٤٥١).

أن بعضها كان ردًا مباشراً على قضايا معينة أثارها النصارى في هذه الفترة وكان لها رواج فكان الرد على مثل هذه القضايا له انتشاره وأثره على العامة من النصارى الذين راجت عندهم، فوصل إليهم الرد والشبه عالقة في أذهانهم فكان أدعى إلى تفنيدها وإزالتها وذلك مثل رد أبي الخصال وغيره على رسالة ابن غورسية، ورد القرافي في كتابه الأجوبة الفاخرة على أسئلة تعوَّد النصارى إثارتها وترويجها في هذه الفترة، ولهذه الكتب أيضاً أثرها في عمق التأثير في القارئ بل وفي طبقات المجتمع النصراني بشكل عام في هذه الفترة، وذلك لكونها أطول بقاءً وأوسع انتشاراً وأسهل تداولاً، فالمحاضرة والخطبة والمناظرة وغيرها في ذلك الوقت يبقى تأثيرها محدوداً من حيث وصول أثرها للحاضرين في وقتها، أما الكتاب وإن كان تأثيره بطيئاً فإن أثره عميق، لكونه يُتداول في المجتمع النصراني بمختلف طبقاته فيتسرب لذلك أثره إلى هذه الطبقات إما بإسلام البعض أو بإزالة شبهة قائمة حول الإسلام، أو بتشويش ما لديهم من قناعات حول معتقدهم[١].

٢ ـ وسيلة الجهاد:

وفي عصر الحروب الصليبية كان الجهاد في سبيل اللّه من أهم وسائل الدعوة الموجهة إلى النصارى، وقد تحدثت في كتبي السابقة عن السلاجقة والزنكيين وصلاح الدين عن هذه الوسيلة بنوع من التفصيل، ولقد ساهمت وسيلة الجهاد لإتاحة أعداد كبيرة من النصارى الأوروبيين المقاتلين في الجيوش الصليبية الاحتكاك بالمسلمين ومعرفة بعض معتقداتهم وأخلاقهم وما يتميز به كثير من القادة المسلمين من عدل ورحمة وعطف. هذه الصفات التي تعكس الأخلاق الإسلامية وتعطي صورة صادقة عن سماحة الإسلام، الأمر الذي جعل أعداداً كبيرة من أفراد هذه الحملات يعتنقون الإسلام، بل إن بعض قادتهم أقسم ألا يقاتل المسلمين لما رآه من عدل وإنصاف لدى بعض القادة، وكثيرون منهم تبدلت عداوتهم إلى محبة للمسلمين بسبب حسن المعاملة التي وجدوها من قبل الجيوش الإسلامية، وللجهاد أثر واضح في دعوة النصارى من ناحية كونه أتاح الكثير من الاتصالات بين قادة الفريقين سواء عن طريق الرسل أو من خلال الرسائل والمكاتبات أو الاجتماعات المباشرة[٢]. ومن أعظم آثار وسيلة الجهاد

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٤٥٢).

(٢) دعوة المسلمين في عصر الحروب الصليبية (١/ ٤٦٥).

في هذه الفترة تجاه النصارى أنها أظهرت عزة المسلمين وقوتهم أمام أعدائهم، وجعلتهم أمة مرهوبة الجانب تحطمت على صمودها وقوتها حملات الصليبيين المتعاقبة، مما جعل كثيراً من عامة النصارى خاصة في أوروبا تتزعزع قناعاتهم بصحة ما هم عليه، ويفقدون الثقة برجال دينهم الذين وعدوهم بالنصر والعز والسعادة[١]، فحينما عاد جماعة من النصارى المشاركين في إحدى الحملات الصليبية أخذوا يدعون إلى التحرر من سلطة رجال الدين لديهم وأعلنوا أنه: لو اجتمعت الباباوات والكرادلة من أولهم إلى آخرهم على أن يضعوا عن مخلوق ذنباً واحداً ما قدروا، بل اللّه يغفر الذنوب[٢]، بل إن أعداداً كثيرة من النصارى في أوروبا أخذوا يصرحون أن إخفاق الحملات الصليبية يدحض ما يدعيه البابا من أنه نائب عن اللّه أو ممثل له في أرضه[٣]. ولما أخذ الرهبان في أوروبا يدعون إلى إحدى الحملات الصليبية المتأخرة ويسألون الناس بذل المال دعماً لها كان كثيراً من النصارى يسخرون منهم حتى إنهم أخذوا يوزعون المال على الفقراء باسم محمد ﷺ من قبيل السخرية بالرهبان، لأن محمداً ﷺ قد ظهر أنه أعظم قوة من المسيح في هذه الحروب[٤]. وقد بيَّن أحد الكتَّاب الغربيين أن من أهم نتائج فشل الحملات العسكرية الصليبية ـ والتي كان الجهاد في سبيل اللّه السبب المباشر في ذلك ـ إن هذا الفشل بعث كثيراً من العقول في أوروبا على التفكير، وكان سبباً في إضعاف العقائد الدينية المستقرة لدى النصارى في القرنين الثالث والرابع عشر[٥].

٣ ـ وسيلة الرسل:

في عصر الحروب الصليبية اعتمد المسلمون كثيراً على الرسل في اتصالاتهم مع النصارى خصوصاً مع الصليبيين فمن خلالهم نُقلت وجهات النظر الإسلامية إلى النصارى حيال كثير من الأمور التي كانت مدار خلاف بين الطرفين في هذه الفترة، وعن طريقهم تبدلت مواقف كثير من النصارى العدائية تجاه

(١) المصدر نفسه (١/ ٤٦٧).
(٢) أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية ص ١٤٥.
(٣) قصة الحضارة (٤/ ٦٧).
(٤) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٤٦٧).
(٥) دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٤٦٧).

الإسلام والمسلمين، ولدورهم الفعال تحققت الكثير من المصالح للمسلمين في مواجهة النصارى ودعوتهم خصوصاً إذا كان لهؤلاء الرسل مجال في المفاوضة والمحاورة والنقاش[١].

٤ ـ وسيلة المسجد:

في عصر الحروب الصليبية كانت المساجد من وسائل الدعوة الموجهة إلى النصارى، حيث يظهر ذلك من خلال كونها معلماً من معالم المدن الإسلامية، فمن أول ما يلفت نظر غير المسلم الزائر للمدينة الإسلامية هذه المساجد التي لم يعتد رؤيتها في بلاده، فيطرح ذلك بعض الأسئلة في ذهنه والتي ربما تقوده إلى البحث ومحاولة التعرف على الإسلام، فالمساجد من هذه الناحية أول منادٍ تدعو إلى الإسلام لغير المسلم الذي يشاهدها لأول مرة، وهذا هو حال كثير من النصارى القادمين مع الحملات الصليبية الذين لم يعتادوا رؤية المساجد من قبل في بلادهم، وفي المساجد يرفع الأذان الذي يتضمن تمجيداً للّه سبحانه وتعالى وتوحيداً له وإعلاناً بنبوّة محمد ﷺ وفي ذلك نقض لعقيدة التثليث لدى النصارى ورد على تكذيبهم بنبوّة محمد ﷺ، ولا شك أن سماع النصارى للأذان وتكراره في اليوم خمس مرات على مسامعهم فيه دعوة مباشرة لهم بالتوحيد والإيمان بنبوّة محمد ﷺ بغض النظر عن الاستجابة[٢]. وكانت هناك مساجد كثيرة بأيدي المسلمين منفردين في الصلاة فيها وهي تحت الحكم النصراني وقد بقيت على حالها وهذا ما أشار إليه ابن جبير في مدينة صور وهي تحت الحكم الصليبي حينما زارها حيث قال: وكانت راحتنا مدة مقامنا بصور بمسجد بقي بأيدي المسلمين، ولهم فيها مساجد أخرى[٣]. كذلك ارتياد النصارى لبيت المقدس واختلاطهم بالمسلمين فيه وتعوّدهم رؤية المسلمين يؤدون صلاتهم فيه، أدى إلى تبدل نظرة الكثيرين منهم إلى المسلمين من نظرة متعصبة حاقدة إلى نوع من المودة والاحترام وقد أشار أسامة بن منقذ إلى شيء من ذلك فبينما كان يؤدي الصلاة في بيت المقدس متجهاً إلى مكة وحوله بعض الفرنج تقدم إليه أحدهم وصرفه عن القبلة، فمنعه آخرون منهم واعتذروا لأسامة، وأن هذا الرجل قدم

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٤٧٠).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٧٧).

(٣) رحلة ابن جبير ص ٢٧٩ دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٤٧٨).

حديثاً من البلاد ولم يتعود أن يرى مسلماً يصلي متجهاً إلى مكة[١]، لذلك استنتج هذه الملاحظات أسامة بنفسه حيث قال: فكل من هو قريب بالبلاد الإفرنجية أجفى أخلاقاً من الذين قد تبلدوا وعاشروا المسلمين[٢].

وقد كان لبعض المساجد في بلاد المسلمين شأن وذكر، بل إنها استحوذت على بعض القادة المسلمين، وكون العناية بمثل هذه المساجد وسيلة لكسب المسلمين الخاضعين لسيطرتهم ومن ذلك مثلاً مسجد القسطنطينية الذي دارت بشأنه العديد من السفارات بين صلاح الدين وإمبراطور الروم والذي كان يبدي اهتمامه وعنايته بهذا المسجد، حيث أرسل صلاح الدين من أجل ذلك سفارة تضم إماماً وخطيباً للمسجد، وكان لذلك أثره في إبراز صورة الإسلام في معقل من معاقل النصرانية، وقد قال ابن شداد عن ذلك: . . وكان يوم دخولهم ـ أي سفارة صلاح الدين ـ إلى القسطنطينية يوماً عظيماً من أيام الإسلام شاهده جمع كثير من التجار، ورقى الخطيب المنبر، واجتمع إليه المسلمون المقيمون بها والتجار وأقام الدعوة الإسلامية العباسية[٣]. لقد قامت المساجد بدورها في دعوة النصارى إلى الإسلام العظيم.

٥ ـ وسيلة الرسائل:

في عصر الحروب الصليبية استطاع كثير من قادة المسلمين وعلمائهم إيصال الحق إلى النصارى من خلال الرسائل، وقد اختلفت موضوعات هذه الرسائل إلا أنها في النهاية في مجموعها لصالح المسلمين، فهي إما دعوة مباشرة للإسلام، أو بحث في أمر يهم المسلمين في مواجهة النصارى، أو أنها رسائل تحمل نوعاً من التلطف واللين مع قادة النصارى ومقدميهم درءاً لشرهم وكسباً لقوة بعضهم ضد بعض ومن الأمثلة على استخدام الرسائل من قبل المسلمين تجاه النصارى في هذه الفترة رسائل صلاح الدين الكثيرة إلى بعض قادة الفرنج والتي منها رسائله إلى ملك القسطنطينية في شأن إقامة خطبة الجمعة في القسطنطينية وترتيب إقامة الصلاة فيها وما يتعلق ببناء مسجد للمسلمين هناك، حيث تمّ ذلك وكان قد أنفذ ـ رحمه اللّه ـ مع إحدى رسائله في هذا الشأن خطيباً ومنبراً وجمعاً من

(١) الاعتبار، لابن منقذ ص ١٣٤ ـ ١٣٥.
(٢) المصدر نفسه ص ١٣٤ دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٤٧٨).
(٣) النوادر السلطانية ص ٢٠٢ دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٤٧٩).

المؤذنين[١] . ومن رسائل صلاح الدين إلى النصارى رسالته إلى ملك الإنجليز ردّاً على رسالة بعث بها الأخير إليه متضمنة المطالبة بتنازل المسلمين عن القدس وبعض البلاد الشامية، واسترجاع صليب الصلبوت المعظم عندهم، والذي غنمه المسلمون منهم في معركة حطين، فكان جواب صلاح الدين، في رسالته على رسالة الملك الصليبي الرفض التام للحديث في شأن القدس أو التنازل عن شيء من أراضي المسلمين، أما تسليم صليب الصلبوت للنصارى فإن ذلك لا يكون إلا لمصلحة راجحة للإسلام[٢] حيث قال في هذه الرسالة: . . هو عندنا ـ أي القدس ـ أعظم مما هو عندكم، فإنه مسرى نبيّنا ومجتمع الملائكة، فلا يتصور أن ننزل عنه ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين وأما البلاد فهي أيضاً لنا في الأصل واستيلاؤكم كان طارئاً عليها لضعف من كان بها من المسلمين في ذلك الوقت. . وأما الصليب فهلاكه عندنا قربة عظيمة ولا يجوز أن نفرط فيها إلا لمصلحة راجحة إلى الإسلام هي أوفى منها[٣] . وهكذا كانت وسيلة الرسائل في هذه الفترة من الوسائل التي استخدمها المسلمون في إيصال الدعوة إلى النصارى[٤] .

ثامناً

أساليب دعوة المسلمين للنصارى

في عصر الحروب الصليبية اهتم الدعاة المسلمون في جهودهم الدعوية المباركة الموجهة إلى النصارى بجانب الأساليب اهتماماً كبيراً حيث ظهر ذلك جلياً من خلال تنوع هذه الأساليب وتعدد أشكالها واختلاف عرضها[٥] .

١ ـ الأساليب العقلية:

غلب على العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية استخدام الأساليب العقلية من سبر وتقسيم وأقيسة ومحاكمات عقلية وغيرها. ومن أبرز الأساليب

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٤٨٥) .
(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٨٥) .
(٣) النوادر السلطانية ص ٢٩٠.
(٤) دعوة المسلمين للنصارى (٣/ ٤٨٨) .
(٥) المصدر نفسه (١/ ٤٩٢) .

العقلية التي استخدمها العلماء المسلمون في مناقشاتهم وردودهم ومناظراتهم مع النصارى:

أ ـ أسلوب السبر والتقسيم:

والسبر والتقسيم في الاصطلاح هو أن يحصر المعترض جميع الأوصاف المناسبة للحكم في الأصل ثم يبين إلغاءها وعدم صلاحيتها للتعليل[١]، وقد كان هذا الأسلوب العقلي من أبرز الأساليب وأكثرها استخداماً من قبل العلماء المسلمين في نقاشاتهم وحواراتهم ومناظراتهم مع النصارى في عصر الحروب الصليبية، وذلك لما يتميز به من شمولية في تتبع الاحتمالات والاعتراضات التي يمكن أن يتعلق بها النصارى وإبطالها وذلك في القضايا التي كانت مدار النقاش والبحث بين الفريقين. ومن الأمثلة على استخدام هذا الأسلوب مع النصارى إبطال الخزرجي في مناقشته لقسيس طليطلة حجة هذا القسيس على تجسيد اللّه في شخص المسيح، حيث ذكر هذا القسيس أن علة تجسد اللّه في شخص المسيح هي من أجل أن ينزل إلى الأرض ويكلم الخلائق بدون واسطة حتى تنقطع حجتهم[٢]، فأبطل الخزرجي هذه الحجة من خلال السبر والتقسيم بأن حصر الاحتمالات التي يمكن أن يكون من أجلها نزل الإله إلى الأرض متجسداً في شخص المسيح وبيان عدم صحتها، الأمر الذي يهدم أساس هذه العقيدة التي يدين بها النصارى، فلا يخلو بسبب هذه العقيدة التي يدين بها النصارى، سبب هذا التجسد من أن اللّه ـ تعالى عما يقولون علواً كبيراً ـ لم يحط علمه بما فعله أنبياؤه فهبط ليطلع على فعلهم وهذا محال، أو كان الأنبياء متهمين بمخالفة أمره سبحانه عمداً فلم يؤدوا أمانة التبليغ وهذا محال، أو أنهم عجزوا عن أداء ما حُمِّلوا وضعفوا عن إظهار ما يؤكد صدقهم فنزل مؤيداً لهم وهذا محال[٣]، فإذا انتفت هذه الاحتمالات التي يمكن أن تكون علة للتجسد انتفى معها حدوث التجسد الذي يدعيه النصارى ومن ثم بطلت هذه العقيدة التي يدينون بها ولم يبق لهم مستند فيها إلا الكذب بعد تهافت حججهم عليها[٤]. وفي مفاوضات صلاح

---

(١) شرح مختصر الروضة (٣/ ٤٩٢).

(٢) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ٤٩٦.

(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٤٩٦).

(٤) المصدر نفسه (٢/ ٤٩٦).

الدين مع ريتشارد قلب الأسد عن طريق أخيه الملك العادل بيَّن الملك الإنجليزي لرسول الملك العادل أن ما جاء به بجحافله من بلاده ثلاثة أمور، إذا تحققت له رجع وترك بلاد المسلمين، وهذه الأمور هي: القدس والصليب والبلاد التي زحف عليها المسلمون بعد معركة حطين ولما عُرض ذلك على صلاح الدين كان رده على دعاوي الملك الإنجليزي وهو رحمه اللّه يقود الجيوش الإسلامية للوقوف في وجه أطماعه ـ ردّاً عقلياً يفند ادعاءاته وحججه التي تعلق بها في قدومه للبلاد الإسلامية موضحاً أن لا حجة له على الحقيقة تدعوه إلى القدوم والاعتداء على المسلمين وأن الأولى أن يعود من حيث أتى، فمن خلال أسلوب السبر والتقسيم حصر صلاح الدين دعاوي الملك الإنجليزي وفندها، ففيما يختص بالقدس بيَّن ـ رحمه اللّه تعالى ـ مكانته لدى المسلمين بكونه مسرى النبي ﷺ ولن يوافق أي مسلم على التنازل عنه فلا مجال للخوض في أمره، وفيما يختص بالبلاد التي زحف عليها المسلمون بعد معركة حطين فهي في الأصل للمسلمين واستيلاء النصارى طارئ عليها لضعف من بها من المسلمين، فلا حق على ذلك لهم فيها، والصليب الذي يطالب به النصارى غنمه المسلمون منهم لما قدموا للبلاد الإسلامية محاربين للمسلمين، فكيف يفرط به المسلمون وهو بهذه المنزلة لدى النصارى الذين هم في الوقت نفسه معتدون عليهم؛ ولذلك فلا يكون التنازل عنه إلا لمصلحة ظاهرة للإسلام[١]، وهكذا بجانب المواجهة العسكرية التي يقودها صلاح الدين ضد الملك الإنجليزي تصدى لدعاويه وشبهه الفكرية التي يتذرع بها في عدوانه على المسلمين، فمن خلال هذا الأسلوب العقلي فندها جميعاً ولم يبق للملك الإنجليزي إلا أن يوقف عدوانه على المسلمين ويعود من حيث أتى[٢].

ب ـ أسلوب قياس الأولى:

هو ما يكون معناه في الفرع زائداً على معنى الأصل[٣]، أو هو ما قطع فيه بنفي الفارق ويسمى القياس الجلي[٤] وهذا الأسلوب استخدمه العلماء المسلمون

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٠٠).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٥٠٠).
(٣) البحر المحيط للزركشي (٥/ ٣٦).
(٤) شرح مختصر الروضة (٣/ ٢٢٣).

لدحض حجج النصارى وشبهاتهم التي أقاموا عليها اعتقاداتهم وبنوا عليها أصول ملتهم[١]. ومن الأمثلة على ذلك إبطال الخزرجي في نقاشه مع قسيس طليطلة لحجة النصارى في اتخاذ المسيح عليه السلام ابناً للّه بدعوى ولادته من غير أب، حيث قرر الخزرجي أنه إذا كانت هذه هي العلة التي سوغت للنصارى أن يجعلوا المسيح ابناً للّه سبحانه وتعالى فإنها متحققة في شأن آدم بشكل أكبر من المسيح، إذ إنه وجد من غير أب أو أم، فهو أولى بالألوهية من المسيح لهذه العلة[٢]، وبالأسلوب نفسه أبطل القرطبي هذه الحجة للنصارى على اتخاذ المسيح ابناً للّه ـ تعالى اللّه عما يقولون علوًّا كبيراً ـ حيث قال: بل لو أمكن لأحد أن يقول: إن بشراً يتصور أن يكون إلهاً لكونه من غير أب لكان آدم أولى بذلك من حيث إنه لم تشتمل عليه أواصر الرحم، فقد شارك المسيح في كونه من غير أب وزاد عليه أنه من غير أم[٣]، ومن خلال هذا الأسلوب أيضاً طالب الخزرجي في نقاشه مع قسيس طليطلة النصارى بالإيمان بنبوّة محمد ﷺ للمعجزات الكثيرة التي جاء بها ﷺ دالة على صدقه ـ حيث عرض كثيراً منها ـ وذلك قياساً على إيمانهم ببعض الأنبياء وهم لم يكن لهم معجزات أو آيات تؤيدهم كداود وحزقيال وغيرهم[٤]، فإذا كان إيمان النصارى بمثل هؤلاء الأنبياء لإخبارهم عن أنفسهم بالنبوّة، فحسب، فإن من أخبر عن نفسه وجاء بالمعجزات المصدقة له من باب أولى، فمن خلال قياس الأولى بيّن الخزرجي أن النبي ﷺ اشترك هو وهؤلاء الأنبياء الذين يؤمن بهم النصارى بدعوى النبوّة وزاد عليهم بالآيات والمعجزات فوجب الإيمان بنبوّته ولزمكم أيها النصارى الإيمان بذلك أكثر من إيمانكم ببعض أنبيائكم اعتماداً على دعواهم النبوّة فقط وفي مناظرة للزاهدي مع أحد علماء النصارى وإثبات هذا النصراني للنبوات السابقة عن طريق التواتر وظهور المعجزات بيَّن الزاهدي أن إثبات نبوّة محمد ﷺ على هذا الأساس أولى من غيرها من النبوّات السابقة، إذ التواتر في حقه ﷺ أولى بالقبول لأن عصره أقرب من عصر موسى وعيسى ومتى كان المخبر به أقرب زماناً كان الثقة به والاعتماد عليه أكثر وأقوى؛ لأن الوسائط في البعيد

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٠١).

(٢) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ١٣٠.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٣٦.

(٤) مقامع الصلبان ص ٢١٠ دعوة المسلمين للنصارى (١/ ٥٠١).

أكثر وطول العهد منسي. حيث انقطع النصراني وأسلم وحسن إسلامه[١].

ج ـ أسلوب القياس المساوي:

وهو ما يكون معناه في الفرع مساوياً لمعنى الأصل، ويسمى القياس الخفي[٢]، والقياس المساوي من الأساليب التي استخدمها العلماء المسلمون كثيراً في مناقشاتهم وردودهم على النصارى في هذه الفترة، ففي مناقشة نصر بن يحيى المتطبب لعقائد النصارى والتي منها زعمهم أن المسيح استحق اللاهوتية؛ لأن اللّه سماه ابناً، وأبطل نصر هذه الحجة بقياس حال الأنبياء الآخرين على حال عيسى حيث ورد في كتب النصارى تسمية بعضهم أبناءً للّه كداود وإسرائيل وغيرهما؛ فلماذا لم تجعلوهم أيها النصارى بناءً على ذلك أبناء للّه[٣]، فإذا كانت علة الألوهية للمسيح تسميته ابناً للّه فهؤلاء إذن أبناء للّه على الحقيقة لأنه سماهم أبناء، وإلا فلتكن النبوّة للجميع على سبيل الرحمة، وهكذا فلا سبيل للنصارى بناء على هذا القياس العقلي إلا صرف الألوهية عن المسيح واعتقاد نبوّته، أو إثبات الألوهية لغيره من الأنبياء، أو انقطاع حجتهم وتمسكهم بضلالهم على سبيل العناد والمكابرة[٤]، ومن حجج النصارى على إثبات الألوهية للمسيح أيضاً أنه نفخة من روح اللّه في رحم مريم فذلك يدل على ألوهيته وقد أبطل هذه الحجة القرطبي من خلال أسلوب القياس المساوي، حيث قاس حال آدم عليه السلام على حال المسيح، إذ هو نفخة من روح اللّه في تربة من الأرض، فتربة بمنزلة لحمة، ونفخة بمثابة نفخة فبناءً على هذا القياس لا فرق بين الحالين في المسيح وآدم عليهما السلام، فإثبات الألوهية للمسيح لكونه نفخة من روح اللّه في لحمة مريم يماثلها حال آدم لكونه نفخة من روح اللّه في تربة من الأرض، فإما إثبات الألوهية للاثنين لهذه العلة أو نفيهما عنهما. ومن شُبه النصارى التي أثاروها حول رسالة النبيّ ﷺ كونها ناسخة لما قبلها والنسخ بداء، والبداء على اللّه الذي هو عالم الغيب والشهادة محال، وقد أبطل الزاهدي هذه الشبهة من خلال أسلوب القياس المساوي حيث طالبهم أن يقيسوا حال محمد ﷺ في ذلك

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٠٣).
(٢) البحر المحيط (٥/ ٣٦) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٠٣).
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٠٣).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٥٠٤).

بحال موسى وعيسى حيث جاءا ونسخا ما قبلهما ولم تعدوا ذلك أيها النصارى بداء[١].

د ـ قياس الخلق:

وهو: إثبات نقيض الحكم في غيره لافتراقهما في علة الحكم[٢] وقيل: هو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه[٣]، ومن استخدامات هذا الأسلوب من قبل العلماء المسلمين في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى في هذه الفترة، رد القرطبي اعتراض النصارى على المسلمين في نسبة الهدى والضلال إلى اللّه حيث بيَّن القرطبي أن الهدى والضلال مخلوقان، وإذا أنكر نسبتهما إلى اللّه تعين وجود خالق لهما مما يعني وجود خالقين وهذا محال، فلم يبق إلا أن يكون الفاعل هو اللّه إذ لا خالق إلا هو ولا مبدع سواه[٤]، فأثبت القرطبي من خلال قياس الخلق المطلوب وهو نسبة الهدى والضلال إلى اللّه بإبطال النقيض وهو عدم نسبتهما إليه سبحانه، لاستحالة وجود خالق آخر محدث لهما[٥].

هـ ـ أسلوب المحاكمات العقلية:

والمقصود طلب تحكيم العقل المجرد من الهوى في قضايا مسلّم بها إظهاراً للحق وتقريراً له[٦]. وقد استخدم هذا الأسلوب العلماء المسلمون كثيراً ومن ذلك: طلب نصر بن يحيى المتطبب من النصارى تحكيم عقولهم في إثباتهم الألوهية للمسيح، إذ كيف يكون إله وهو المولود من امرأة بشرية قد نالته العلل والآفات وجرى عليه ما يجري على الآدميين من غذاء وتربية وصحة وسقم وأمن وخوف وتعلم وتعليم، فكيف تجتمع هذه النقائض مع مقام الألوهية، ثم قال: . . . فيجب على ذوي العقول أن يزجرهم عقلهم عن عبادة إله ولدته امرأة بشرية آدمية[٧]. وفي مناقشة الخزرجي لقسيس طليطلة وبعد عرضه جملة من

---

(١) الرسالة الناصرية ص ٤٤ ـ ٤٥ البحر المحيط (٤٦/٥).

(٢) البحر المحيط (٤٦/٥) دعوة المسلمين للنصارى (٥٠٥/٢).

(٣) مناهج الجدل في القرآن الكريم د. زاهر الألمعي ص ٧٧.

(٤) دعوة المسلمين للنصارى (٥٠٦/٢).

(٥) المصدر نفسه (٥٠٦/٢).

(٦) النصيحة الإيمانية ص ٧٢.

(٧) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ٢٩٤.

الصفات البشرية للمسيح قال في نهايتها: وهذه كلها صفات إنسان مهين لا إله قوي متين[١]. وذلك لفتاً منه لعقل هذا القسيس وتنبيهاً له ليحكم هو على نفسه ويقر أن المسيح عبدٌ للّه وأحد أنبيائه وليس له من خصائص الألوهية شيء ثم قال الخزرجي بعد ذلك: . . ومن جرى في المناظرة هذا المجرى ثم طرح الهوى فنظر بعين الإنصاف كان الحق له أبين من فلق الصبح[٢]. وفي مناقشة القرافي لعقائد النصارى بيَّن عدم قبول العقل ألوهية مولود رضع وفُطِم ومرض وصلب وذلك استثارة لعقولهم في الحكم على هذه القضية حيث قال: . . فيا معشر النصارى كيف أتيتم بما تحيله العقول. . . وجعلتم ذا الملك والملكوت والعزة والجبروت خرج من رحم امرأة ووضع وفُطم وصُلب على صليب الصلبوت بعد أن وصل إليه من الذل والقتل ما لم يصل إلى أحد من المخلوقين[٣].

و ـ أسلوب القلب:

وهو أن يبين القالب أن ما ذكره المستدل يدل عليه لا له، أو يدل عليه وله[٤]، ففي مناقشة الجعفري مثلاً لعقيدة الصلب لدى النصارى وبأسلوب القلب أثبت أن المصلوب غير المسيح وذلك من خلال قصة صلبه التي يسوقها النصارى في أناجيلهم إثباتاً لصلب المسيح، فمن خلال هذه القصة أثبت الجعفري أن المصلوب شخص آخر غير المسيح ـ كما هي عقيدة المسلمين ـ وذلك أن المصلوب حسب هذه القصة اشتكى العطش وطلب الماء وقال حين صلبه: إلهي إلهي، لم تركتني وخذلتني[٥]، فاستدل الجعفري بذلك على أن المصلوب غير المسيح من حيث إنه ثبت في الإنجيل أن المسيح كان يطوي أربعين يوماً لا يحتاج إلى الماء، فلِمَ لم يصبر هذه اللحظات؟ مما يدل على أن المصلوب غيره، كذلك قوله: إلهي لِمَ تركتني؟ فيه تبرم من القضاء والقدر لا يليق بالصالحين فضلاً عن الأنبياء مما يدل على أن المصلوب شخص آخر؛ إذ لا يمكن أن يصدر هذا القول من المسيح عليه السلام[٦].

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٠٧).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أدلة الوحدانية ص ٦٤.

(٤) البحر المحيط (٥/ ٢٨٩).

(٥) الكتاب المقدس، إنجيل متى الإصحاح (٢٧/ ٤٦).

(٦) تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل (١/ ٣٤٩).

ز ـ أسلوب تناقض الخصوم:

هذا الأسلوب من أبرز الأساليب العقلية التي تهدم ما لدى الخصم من قناعات وتزعزع ثقته في اعتقاداته وما يؤمن به ويناقش فيه وقد استخدم العلماء المسلمون هذا الأسلوب كثيراً في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى إبرازاً لتهافت الديانة النصرانية وإثباتاً ومما أبرزه علماء هذه الفترة إظهار تناقض كتب النصارى حيث أسهبوا في ذلك إثباتاً لتحريفها وتأكيداً على عدم الاعتماد على شيء منها ومن ذلك مثلاً ما أورده الأنباري من نماذج منها قولهم في إنجيل متى: إنه صلب ومعه لصان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وكانا يشتمانه ويتناولانه محركين رؤوسهما ويقولان له: سلم نفسك إن كنت ابن اللّه[١]، وفي إنجيل لوقا: وكان أحد اللصين المصلوبين معه يسبّه ويقول: إن كنت أنت المسيح فسلّم نفسك وسلمنا[٢]. حيث علق الأنباري على ذلك بقوله: وهذا تناقض، فإن في إنجيل متى: إن اللصين كانا يسبانه، وفي إنجيل لوقا: إن أحدهما كان يسبّه[٣]. وأفرد الجعفري باباً في كتابه التخجيل لإبراز مواضع التحريف والتناقض في الإنجيل، حيث أورد نماذج في اثنين وخمسين موضعاً وقد قال في مقدمته: «.. ونبين بعون اللّه في هذا الباب من تناقض إنجيل النصارى وتعارضه وتكاذبه وتهافته ومصادمة بعضه بعضاً ما يشهد معه من وقف عليه أنه ليس هو الإنجيل الحق المنزل من عند اللّه»[٤]. وفي رد الخزرجي على قسيس طليطلة أورد الكثير من تناقضات الإنجيل إظهاراً لعدم الاعتماد عليه وإبرازاً لتهافت حجج القسيس ومما أورده من ذلك قوله مخاطباً القسيس: وفي الإنجيل الذي بأيديكم عنه ـ أي المسيح ـ إنه قال: إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة وغيري يشهد لي[٥]. ثم في موضع آخر من الإنجيل أنه قال: إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب[٦]. وقد علق الخزرجي على ذلك قائلاً للقسيس: أخبرني كيف تكون شهادته حقاً وباطلاً؟

---

(١) الكتاب المقدس، إنجيل متى الإصحاح (٢٧/ ٣٩ ـ ٤٣).
(٢) الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الإصحاح (٢٣/ ٣٩).
(٣) الداعي إلى الإسلام ص ٣٨٦.
(٤) تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل (١/ ٢٨٣).
(٥) الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا الإصحاح (٥/ ٣١).
(٦) مقامع الصلبان ص ١٤٦.

ومقبولة وغير مقبولة؟ وكيف يجمع بين هذين في كتاب منسوب إلى اللّه تعالى[١]، ومن الأمثلة على ذلك استخدام القرافي لهذا الأسلوب في مناقشته لبعض عقائد النصارى حيث أظهر جانباً من تناقضهم في أصل إيمانهم وهي الأمانة التي يعتقدونها، إذ فيها قولهم: «ونؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا. . » يناقضه اعتقادهم أن خطيئة آدم عليه السلام عمت ذريته وما تخلصوا منها إلا بصلب المسيح وقتله، حيث بين القرافي أن ذلك ظاهر التناقض فإما أن تكون المعمودية توجب غفران الخطايا وحينئذ لا حاجة إلى الصلب أو يكون هو الذي أوجب الغفران وزالت به الخطيئة فلا حاجة إذن إلى المعمودية[٢].

ح ـ أسلوب المقارنة:

هو قرن النظر إلى قضيتين لإبراز وجوه التفاضل بينهما[٣]. وكان هذا الأسلوب من الأساليب العقلية المستخدمة من قبل العلماء المسلمين في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى في هذه الفترة ومن ذلك مثلاً: مقارنة القرطبي حفظ اللّه سبحانه وتعالى للقرآن وعناية الأمة مقابل تبديل التوراة والإنجيل وتحريفهما واختلاطهما بالكذب والدجل والتزوير على اللّه سبحانه وتعالى وأنبيائه الكرام حيث عرض القرطبي نماذج من التحريف فيهما وعلق على ذلك بقوله: . . وكتابنا منزه عن أمثال تلك الآفات، فإن اللّه تولى حفظه، وأجزل من كل صيانة حظه، فصار بنظمه الذي لا يقدر الجن والإنس على آية منه، فلا يختلط به كلام متكلم، ولا يقبل وهم متوهم إذ ليس من جنس كلام البشر وهو معدود الآي والسور، ثم صانه بأنه يسره للحفظ والاستظهار فيستوي في نقله الكبار والصغار[٤]، وبعد هذه المقارنة التي وضعها القرطبي أمام صاحب كتاب تثليث الوحدانية قال: فأين اللؤلؤ من الخذف والياقوت من الصدف[٥]. وفي موضع آخر قارن القرطبي بين حال النبي ﷺ وشجاعته وصموده أمام قريش وتحمله الأذى وصبره على الشدائد في سبيل تبليغ الدعوة وبين حال المسيح ـ وهو إله بزعم النصارى ـ وأنه لما استشعر وثوب اليهود عليه قال: قد جزعت نفسي الآن،

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٢/ ٥١٣).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥١٤).
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٩٣ ـ ١٩٤.
(٥) المصدر نفسه ص ١٩٤.

فماذا أقول يا أبتاه؟ فسلمني من هذا الوقت، وأنه كذلك لما رفع على خشبة الصلب صاح صياحاً عظيماً: إلهي إلهي لِمَ أسلمتني وتركتني[١]؟ وقد علق القرطبي على ذلك بقوله: فتأمل إن كنت منصفاً فرق ما بين نبينا عليه الصلاة والسلام وبين ما يحكيه النصارى عن المسيح في إنجيلهم[٢]، ولا شك أن هاتين الصورتين ـ وعرضهما في وقت واحد ـ صورة النبيّ ﷺ وشجاعته وصبره وعدم جزعه وصورة المسيح ـ ابن الإله بزعم النصارى ـ وقد خار وجزع، تدعو النصراني إلى التدبر والتفكير، كيف أن من يتصف بالألوهية يجزع ويضعف أمام أعدائه في مقابل من يدعي النبوّة كيف يصبر ويواجه أعداءه بشجاعة في سبيل تبليغ دعوته، فهذه الصورة الحسنة للنبي ﷺ في مقابل الصورة السيئة للمسيح ـ حسب اعتقاد النصارى ـ ربما توقظ في نفس النصراني، تساؤلات كثيرة تدعوه إلى إعادة النظر فيما هو عليه وربما تقوده إلى الإسلام.

ط ـ أسلوب الاستدلال بمسلمات الخصم:

وقد استخدم العلماء في هذه الفترة هذا الأسلوب في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى خاصة في نفي الألوهية عن المسيح والدلالة على نبوّة محمد ﷺ ومن ذلك مثلاً ما أورده المتطبب من نصوص الإنجيل الدالة على بشرية المسيح وعدم الألوهية التي يدعونها فيه ومنها قوله عن نفسه: من عند اللّه أرسلت معلماً. وقوله لأصحابه: أخرجوا بنا من هذه المدينة، فإن النبيّ لا يلح في مدينته وأقاربه، وأخبر الإنجيل كذلك أن امرأة رأت المسيح فقالت له: أنت النبي الذي كنا ننتظر مجيئه ؟ فقال لها المسيح: صدقت طوبى لك أيتها المرأة[٣]، وقد علق المتطبب على بعض النصوص الكثيرة التي أوردها من الإنجيل مبيناً دلالتها على عبودية المسيح وأنه مربوب مبعوث من عند اللّه لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا بإذنه سبحانه وتعالى[٤]. ومما استدل به القرطبي على صحة نبوّة محمد ﷺ من كتب النصارى ما ساقه من البشارات به ﷺ ومن ذلك ما ورد في سفر التثنية وهو قول اللّه سبحانه: جاء اللّه من سيناء، وأشرق من

(١) المصدر نفسه ٣١٩ ـ ٣٢٠.
(٢) النصيحة الإيمانية ص ١٠٩.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥١٧).
(٤) الكتاب المقدس، العهد القديم، الإصحاح (٣٣/ ١ ـ ٣).

ساعير، واستعلى من جبال فاران ومعه جماعة من الصالحين[١]. حيث شرح ذلك القرطبي مبيناً أن مجيئه من جبل سيناء أن اللّه أنزل فيه التوراة دلَّكم عليه موسى، وإشراقه من جبل ساعير أن دين المسيح إنما أشرق من جبال ساعير قرب القدس، واستعلاؤه من جبال فاران أن اللّه تعالى بعث فيها محمداً ﷺ وأوحى إليه فيهما. ولا خلاف أن فاران هي مكة، وقد قال في التوراة: إن اللّه أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران[٢]. وقد علق القرطبي على ذلك بتوجيه الخطاب إلى صاحب تثليث الوحدانية وحثه على التفكير في إنصاف وتثبت، وقبول هذه البشائر الظاهرة بنبوّة محمد ﷺ[٣]، ومن بشائر الإنجيل أيضاً بنبوّة محمد ﷺ والتي أوردها القرطبي قول المسيح: إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وسأرغب إلى الأب في أن يبعث إليكم البرقليط ليكون معكم إلى الأبد[٤]، حيث بيَّن القرطبي معنى البرقليط وهو لفظة رومية معناها بالعربية محمد[٥]، وأورد الجعفري أربعاً وثمانين بشارة في التوراة والإنجيل بنبوّة محمد ﷺ مبيناً وجه الاستدلال بكل منها وحاثًا النصارى على التصديق بها، ثم قال في نهايتها: . . فهذه أربع وثمانون بشارة عن الأنبياء وأتباع الأنبياء وقد تضمنتها كتب اللّه المنزلة من لدن إبراهيم الخليل إلى أتباع المسيح منوهة باسم محمد ﷺ صريحاً واسم أرضه التي يخرج منها وبلده التي نشأ بها[٦]. ثم قال: وإنما نقلت قليلاً من كثير ويسراً من خطير، ولو استوعبت ما في كتب اللّه من الإشادة بذكر المصطفى ﷺ وذكر أمته لأطلت وخرجت إلى حد الإسهاب[٧]. وهكذا كان لمجموع هذه الأساليب العقلية استخداماً واسعاً مع هؤلاء النصارى الذين لا يؤمنون بالقرآن ولا ينفع معهم الأمر والنهي والترغيب والترهيب وظهر عمق أثرها عليهم[٨].

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٢/٥١٨).
(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢٦٥.
(٣) الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا، الإصحاح (١٤/ ١٥ ـ ١٨).
(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢٦٨.
(٥) تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل (٢/ ٧٢٢).
(٦) المصدر نفسه (٢/ ٧٢٢).
(٧) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٢٠).
(٨) المصدر نفسه (٢/ ٥٢١).

٢ ـ الأساليب العاطفية:

والمقصود بالأساليب العاطفية هي تلك الأساليب التي تعتمد في تأثيرها على مخاطبة العاطفة وإثارة المشاعر للحث على أمر ما أو المنع منه(١)، ولأهمية الأساليب العاطفية في الدعوة، فقد كانت من أبرز أساليب الرسل عليهم الصلاة والسلام في دعوة أقوامهم ومن ذلك مثلاً ترغيب الرسل لأقوامهم بالمغفرة حال الإيمان كقوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [إبراهيم: ١٠].

ودعوة نوح عليه السلام لقومه من خلال ترغيبهم بالخير حال الاستجابة قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح: ١٠، ١٢]. وكانت الأساليب العاطفية من أبرز أساليب القرآن سواء في دعوة المشركين إلى الإيمان أو حث المؤمنين على الزيادة في الخير(٢) وفي عصر الحروب الصليبية كانت بعض الأساليب العاطفية من ضمن الدعوة الموجهة إلى النصارى ومن تلك الأساليب:

أ ـ أسلوب الترهيب:

ومن ذلك مثلاً ما كان يتخلل به القرطبي نقاشه وردوده على القسيس صاحب كتاب تثليث الوحدانية من تخويف له بالنهاية السيئة إذا مات على معتقده وترهيبه باليوم الآخر وعند الوقوف للحساب، وذلك كقوله للقسيس بعد تفنيد بعض ما أورده في كتابه من عقائد كفرية: .. وإذا انتهى إنسان إلى هذه المخازي فقد كفر بموسى، وبإله موسى، نعوذ بالله من أنظار تقود في الدنيا إلى الفضيحة والعار وفي الآخرة إلى الخلود في عذاب النار(٣). وفي موضع آخر وبعد مطالبته القسيس الاستعداد للحساب وذلك بالتوبة عن تأليه عيسى واعتقاد نبوّته، خوّفه بعاقبة إصراره على اعتقاده في ذلك اليوم؛ فكأني والله بك إن مت على ما أنت عليه يؤخذ بناصيتك وقدمك، وتحيط بك ملائكة ربك ﴿ مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] فتنادي فتقول: يا عيسى، يا

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٢٢).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٥٢٤).

سيدي، يا إلهي يا ولد اللّه، فيقول لك: كذبت ما اتخذ اللّه من صاحبة ولا ولد، ولست بإله، ولم أقل لك ذلك.. فكيف ترى خجلتك بين يديه.. فذلك المقام لا ينفعك فيه ملك مقرب ولا نبي مُرسل إلا مما قدمت يداك من حسن إيمان وصالح عمل،.. فإن الملائكة والنبيين لا يشفعون إلا لمن ارتضى رب العالمين، فاللّه اللّه. انظر في خلاص نفسك لتجني ثمار غرسك(١).

ب ـ أسلوب الاستهزاء والتهكم:

في الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى في عصر الحروب الصليبية كثر استخدام هذا الأسلوب من قبل بعض العلماء وربما كان من أسباب ذلك ما صدر من بعض النصارى ورجال دينهم من كلمات فيها شيء من السخرية والتهكم سواء في كتاباتهم أو مناقشاتهم أو مناظراتهم مع المسلمين وذلك تجاه الإسلام ورسوله ﷺ كتداول رسالة ابن غرسية في الأندلس، والقصيدة التي قيلت على لسان ملك الروم في سب الإسلام ورسوله ﷺ وتداولها في هذه الفترة في الأندلس، وعبارات الحقد والسب والاستهزاء في كتابات بعض مؤرخيهم ورجال دينهم كفوشيه شارتر، وإشارة أحد القساوسة في رسالته لأبي عبيدة الخزرجي إلى كثرة مؤلفات النصارى التي تطعن بالإسلام ورسوله ﷺ وتستخف بهما ومن مظاهر استخدام هذا الأسلوب من قِبل بعض العلماء المسلمين في هذه الفترة تجاه النصارى ما جاء في ثنايا مناقشة نصر بن يحيى المتطبب لبعض عقائد النصارى من عبارات الاستهزاء بعقولهم والاستخفاف بحججهم وطريقة استدلالهم كقولهم: ليس لاعتقادهم أصل يعول عليه، ولا برهان يستند إليه، قد اقتدوا بقوم لا يعقلون واغتروا بجهال لا يفقهون(٢). وقوله:.. لكني أقول: لا إله إلا اللّه تعجباً منكم يا ذوي العقول الضعيفة كيف تعتقدون الألوهية في إنسان لا يقدر على تخليص نفسه من الأعداء.. فأين قدرته أيها الغافلون ؟ وأين تمكنه أيها المبطلون ؟ بئس واللّه ما تعتقدون، إنما أنتم في طغيانكم تعمهون، حدتم عن الرشاد، وسلكتم طريق العناد، وكفرتم بالرحمن واتبعتم سنن الشيطان(٣). ومن مظاهر استخدام هذا الأسلوب لدى القرافي في مناقشته لبعض عقائدهم قوله:..

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى والأوهام ص ١٢٣.

(٢) النصيحة الإيمانية ص ٥٢.

(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٢٨).

فأي ضرورة تدعوكم إلى إثبات أنواع الإهانة والعذاب في حق رب الأرباب على زعمكم أيها الدواب الذي يفضي من ضعف عقولهم العجب العجاب[١]. وفي رد الخزرجي على قسيس طليطلة كان في قوله في صدر رسالته إليه: أما بعد أيها الأعجمي الألكن، الطاعن على كتاب اللّه جهلاً، ولا يُعرف لخطابه فصلاً، والملتمس له تأويلاً، وأنت لم تؤت من العلم كثيراً ولا قليلاً[٢]. واشتد القرطبي في استهزائه وتهكمه في بعض حجج ألوهية المسيح لدى النصارى بقوله: وعلى الجملة فهؤلاء القوم أغبياء جاهلون، وعن التوفيق معزولون، فهم عن المعقولات معرضون وبها مستهزئون، لا يستحون من خالقهم، ولا يتأدبون مع مالكهم ورازقهم، فسبحان اللّه عما يقول الجاهلون[٣]. ولا شك أن استعمال أسلوب التهكم والاستهزاء في السخرية من قبل بعض العلماء المسلمين في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى قد يجدي في لفت أنظار البعض منهم إلى ضلال ما هم عليه، وأن ما يقوم عليه اعتقادهم وأساس ديانتهم حقاً محل السخرية والتهكم، فربما يكون ذلك دافعاً لتنفيرهم منه وبحثهم عن الحق ومن ثم قبوله[٤].

ج ـ أسلوب اللين والتلطف بالخطاب:

كان من أبرز أساليب النبي ﷺ في دعوته بشكل عام اللين والرفق والتلطف بالخطاب؛ فتح اللّه عز وجل به قلوباً غلفاً وآذاناً صمًّا، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال ﷺ: «إن اللّه رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[٥]. وقال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»[٦]. وعندما أرسل اللّه سبحانه وتعالى موسى وأخاه هارون إلى فرعون قال لهما جلّ وعلا: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه: ٤٤].

ولم تخل الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى في فترة الحروب الصليبية

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٥٨.

(٢) مقامع هامات الصلبان ص ١٢٧.

(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٢٩).

(٤) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٣٠).

(٥) مسلم رقم ٢٥٩٣.

(٦) مسلم رقم ٢٥٩٤.

من استخدام هذا الأسلوب وإن كان ذلك بشكل أقل من الأساليب الأخرى ومثال على ذلك؛ رسالة العزاء من صلاح الدين إلى بولدوين الخامس بعد وفاة والده في بيت المقدس وفي مطلع الرسالة: . . خص اللّه الملك المعظم حافظ بيت المقدس بالجد الصاعد، والسعد الساعد، والحظ الزائد، والتوفيق الوارد[١].

وكان أيضاً يتخلل بعض ردود العلماء، ومناقشاتهم مع النصارى في هذه الفترة شيء من اللين والرفق والتلطف في الخطاب، ومن ذلك مثلاً: الدعاء لهم بالهداية، كقول الخزرجي في نقاشه مع قسيس طليطلة: . . ونحن نسأل اللّه سبحانه أن يكشف ما بكم من بشع الضلالة ويتلقاكم بالهداية، فهو فعال لما يريد[٢]، وقول القرطبي في رده على كتاب تثليث الوحدانية: . . فاللّه يعلم أني أنظر إليك وإلى كافة خلق اللّه بعين الرحمة، وأسأله هداية من ضلّ من هذه الأمة، وأتأسف على الأباطيل التي ينتحلون، فإنا للّه وإنا إليه راجعون[٣]، وفي موضع آخر وبلين عبارة خاطب القرطبي صاحب كتاب التثليث حاضًا له على اعتقاده بنوّة المسيح عليه السلام بقوله: . . فما أجل بكم ألو قلتم فيها الحق الذي ينبغي لهما: إن اللّه جعل عيسى وأمه آية للناس، هو عبداً ورسولاً وأمه صدِّيقه مباركة[٤].

د ـ أسلوب القسم:

وقد ورد استعمال هذا الأسلوب كثيراً في القرآن الكريم، فأقسم اللّه سبحانه وتعالى بنفسه وآياته وببعض مخلوقاته والقسم في كلام اللّه يزيل الشكوك ويحبط الشبهات ويقيم الحجة، ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم في أكمل صورة[٥].

وما أكثر الأحاديث التي كان يبدؤها النبي ﷺ: والذي نفسي بيده[٦]، وقد استخدم هذا الأسلوب في فترة الحروب الصليبية ومن ذلك قول الخزرجي في

(١) صبح الأعشى (٧/ ١١٥ ـ ١١٦) دعوة المسلمين (٢/ ٥٣٢).
(٢) مقامع هامات الصلبان ص ٢٩٤ دعوة المسلمين (٢/ ٥٣٢).
(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٠١.
(٤) المصدر نفسه ص ١٣٧.
(٥) المصدر نفسه ص ١٣٧.
(٦) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٣٤).

نقاشه مع قسيس طليطلة بعد حديثه عن تحريف الإنجيل: . . حتى إني أحلف بالذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلاً من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبني عليه شيء من أمر الدين[١].

وبعد حض القرطبي صاحب كتاب تثليث الوحدانية على نبذ ما يعتقده في عيسى عليه السلام أقسم باللّه على سوء عاقبته إن مات على هذه النهاية وذلك بقوله: . . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

٣ ـ الأساليب الفنية:

هي تلك الأساليب المتعلقة بجمال التعبير وتحسينه من الناحية اللفظية ليكون أكثر تأثيراً من السامع[٢]. وفي عصر الحروب الصليبية كان كتاب اللّه عز وجل هدفاً لمطاعن النصارى وشبههم والتي كان من ضمنها الطعن في بلاغته وفصاحته لذلك اعتنى العلماء المسلمون عناية كبيرة في التصدي لذلك في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى[٣]، وقد تمثل ذلك من خلال إبرازهم لفصاحة القرآن وبلاغته وعجز العرب عن معارضته أو من خلال استعمالهم لبعض الأساليب الفنية التي تظهر جوانب من فصاحة العربية وبلاغتها وجمالها وقوة تأثيرها مع عدم التوسع فيها كثيراً بجانب الأساليب الأخرى؛ لنظرتهم إلى أن غالبية النصارى وهم من العجم أقل وأحقر من أن يتحدث عن بلاغة القرآن وفصاحته بعدما عجز عنها العرب الأوائل وهم أرباب البيان والفصاحة، ولذلك قال الخزرجي حينما بين إقرار العرب الأوائل بفصاحة القرآن وبلاغته: فكيف يلتفت إلى مقال العجم الجهلاء[٤]، وفي مقدمة رسالته في الرد على قسيس طليطلة قال: أيها الأعجمي الألكن الطاعن في كتاب اللّه جهلاً[٥]. وذلك إشارة إلى قصوره لعجميته عن فهم بلاغة القرآن وفصاحته[٦]، ومن الأساليب الفنية التي استخدمت:

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ٥٣٤).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٣٤).

(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٣٧).

(٤) مقامع هامات الصلبان ص ١٩٧.

(٥) المصدر نفسه ص ١٢٧.

(٦) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٣٧).

أ ـ أسلوب ضرب الأمثال:

وضرب الأمثال من الأساليب التي استخدمها العلماء المسلمون في مناقشاتهم وكتاباتهم ومناظراتهم مع النصارى في عصر الحروب الصليبية، فمن الأمثال السائرة التي استخدمها القرطبي في رده على القسيس قوله: لا يستوي الظل والعود أعوج[١]، وذلك بعدما عرض مذاهب النصارى واختلافهم في تفسير الأقانيم، ومحاولة كل فرقة إصلاح خلل الأخرى في ذلك، وقصد القرطبي في هذا المثال أنه مهما حاولوا تقويم الخلل في تفسيراتهم لهذه العقيدة الباطلة فلن تستقيم كحال الذي يريد إقامة ظل لعود أعوج، فلن يستقيم الظل ما دام العود على اعوجاجه، وهذه حال تفسيراتهم لن تستقيم وتصحح الخلل ما دام أصل العقيدة باطلاً وفي موضع آخر وبعد رده على النصراني ومناقشته لما طرحه من تفسير لعقيدة الاتحاد وإبطال هذه التفسيرات التي جاء بها ختم ذلك بإيراد هذا المثل وهو قوله: فإن الفتق اتسع على الراقع[٢]، ففي هذا المثل قصد القرطبي أنه مهما جئت أيها النصراني بتفسير لهذه العقيدة الباطلة ـ عقيدة الاتحاد ـ تفسير يقبله العقل فلن تفلح، فكلما أجبت على سؤال ثارت عليك أسئلة كمن يريد أن يرفع ثوباً اتسع فتقه ومن استخدام الأمثلة السائرة لدى القرافي أنه بعد وصفه لرجال الدين النصارى بالجهل الشديد وعدم تفريقهم بين الحلال والحرام وغفلتهم وبلاهتهم التي حجبت عنهم عقل الحق والأخذ به ختم بقوله: حتى إن أحدهم لا يفرق بين كوعه من بوعه[٣].

ب ـ أسلوب القصة:

وفي عصر الحروب الصليبية استخدم كثير من العلماء أسلوب القصة في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى لكونها من أنسب الأساليب مع النصارى لكشف باطلهم وبيان ما في كتبهم من تحريف وتبديل، وإظهار مواقفهم من أنبيائهم. ومن هذه القصص ما قام به الخزرجي في رده على قسيس طليطلة في قوله: إنه لا ينكر صلبه ـ أي عيسى ـ إلا كافر[٤]، عرض قصة الصلب كاملة

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٨٠.
(٢) المصدر نفسه ص ٩٢.
(٣) الأجوبة الفاخرة ص ٦.
(٤) مقامع الصلبان ص ١٥٨.

حسب رواية النصارى مستنبطاً منها الأدلة على وقوع الصلب على الشبه وليس على عيسى كما يدعيه النصارى[١]. وعرض القرطبي قصة قسطنطين ومجمعه الذي ابتدعت فيه كثير من شرائع النصارى الباطلة ومنها الصلب، وذلك دليلاً على عدم اعتمادهم على شيء من هذه العقائد وأنها من وضع ضلالهم وليس من أصل ديانتهم الصحيحة[٢]، وحينما عرّض القسيس للقرطبي في هاجر أم إسماعيل عليهما السلام وفي معرض الرد عليه ساق القرطبي قصة هاجر مع سارة من التوراة كاملة لبيان افتراء هذا القسيس[٣]. وفي معرض إثبات القرطبي لنبوَّة عيسى عليه السلام سرد قصة بولس اليهودي وأثره في تحريف النصرانية والقول بألوهية المسيح ثم أثر قسطنطين بعد ذلك[٤]، ثم عقب بقوله: . . . ولتعلم أن هذه الأخبار التي ذكرناها لا يمكنهم إنكار جملتها وإن أنكروا بعض تفاصيلها لكون هذه القصص معروفة على الجملة عندهم، فإنهم لا يقدرون على جحد محاربة بولس اليهودي وإخلائهم من الشام ودخول بولس في دينهم، وكذلك ملك قسطنطين مما لا ينكرون إشهاره لكتبهم[٥]. وساق القرافي أيضاً قصتي بولس وقسطنطين في معرض بيان أثرهما في تحريف النصرانية وإضلال النصارى[٦]. ثم عقب على ذلك بقوله: وكفى بهذه الثلمة في دين النصارى خللاً عظيماً لم تترك لهم عقلاً مستقيماً ولا قلباً سليماً[٧]. ونوع آخر من القصص ورد الاستشهاد به كثيراً في مناقشات العلماء المسلمين وردودهم على النصارى في هذه الفترة وهي القصص التي تتعلق بالتاريخ الإسلامي وحياة النبي ومناقبه، ومن ذلك مثلاً قصة كفالة جده ثم عمه، ورضاعه من حليمة، والبركة التي عليها بسبب ذلك، وقصة رحلته إلى الشام ولقائه[٨] ببحيرا الراهب وشهادته له بالنبوّة، ثم سرد القرطبي الكثير من القصص أيضاً حول معجزات النبي ﷺ وذلك في سياق الحديث عن

---

(١) المصدر نفسه ص ١٥٨ ـ ١٦٨ دعوة المسلمين (٢/ ٥٤٥).
(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٦٩ ـ ١٧٢.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٣٠ ـ ٢٣٢.
(٤) المصدر نفسه ص ٢٤١ ـ ٢٤٦ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٤٦).
(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (٢/ ٥٤٦).
(٦) الأجوبة الفاخرة ص ١١٩ ـ ١٢٤.
(٧) المصدر السابق ص ١٢٤.
(٨) البداية والنهاية (٢/ ٢٦٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٤٦).

دلائل نبوّته، ومن ذلك مثلاً: قصة نبع الماء من بين أصابعه في إحدى غزواته، وتكثير الطعام في غزوة الخندق وغيرهما، وقصص أخرى كثيرة أبرز فيها القرطبي حماية اللّه سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ كرد المشركين عنه ليلة الهجرة، وخبر سراقة وغير ذلك. وهكذا إيراد القصة في الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى بالإضافة إلى كونه يزيد من جمال التعبير ويضفي عليه شيئاً من التشويق، فإن له أثره في التمهيد لقبول المحتوى لدى السامع وإيصال المعنى المراد له من خلال استغلال ذلك(١).

ج ـ أسلوب التكرار:

ومن الأساليب الفنية أسلوب التكرار والذي قد يكون تكراراً لكلمة بعينها، أو لمعنى، أو لعبارة أو لفكرة، أو لموضوع ويكون التكرار عيباً لموضوع إذا كان عارياً عن الفائدة ولا يكون له معنى بلاغياً إلا إذا كان الهدف معيناً كأن يكون القصد منه التأكيد، أو المبالغة أو الإيضاح، أو بيان الأهمية، أو إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة إلى غير ذلك(٢). والتكرار من الأساليب التي استخدمها العلماء المسلمون في كتاباتهم ومناقشاتهم مع النصارى في فترة الحروب الصليبية، فمن ذلك مثلاً: تكرار نصر بن يحيى المتطبب الإشارة إلى تحريف الأناجيل حيث فصل في الموضع الأول وذلك في سياق ذكره لواضعي الأناجيل الأربعة حيث ذكر شواهد على الاختلافات فيما بينها، ثم اختصر ذلك في موضع آخر وذلك في سياق ذكره لتاريخ كتابة الأناجيل والتي كانت كثيرة جداً، فاختصرت إلى أربعة منها في المجمع الذي دعا إليه الملك الروماني قسطنطين حيث تساءل نصر بن يحيى: ما حال عشرات الأناجيل المستبعدة؟ وعلى أي أساس تم انتقاء هذه الأربعة فقط(٣)؟ حيث يظهر الوجه البلاغي للتكرار في الموضعين إلى اختلاف الهدف من إيرادها، ففي الموضع الأول إبراز التناقض بين الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى، وفي الموضع الثاني الطعن في أصل الأناجيل بشكل عام وطريقة اعتمادها لدى النصارى وعلى أي أساس كان اختيارها؟ ولم يكن في غيرها من عشرات الأناجيل الأخرى المستبعدة ما هو

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٤٨).

(٢) الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان ص ١٦٣ ـ ١٧٠

(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٤٩).

أفضل منها[١]؟ وكذلك كرر الخزرجي الإشارة إلى حفظ القرآن وعدم **تحريفه**، فمن ذلك مثلاً ذكره لذلك مجملاً في سياق المقارنة مع تحريف كتب النصارى[٢]، ثم تفصيل ذلك في سياق الحديث عن إعجاز القرآن وكونه من أدلة صدق رسالة النبي ﷺ والإسهاب في عرض وجوه إعجازه وضبطه[٣].

د ـ أسلوب الاستفهام:

والاستفهام هو طلبُ بشيء لم يكن معلوماً من قبل، بأدوات خاصة، وهو من أنواع الإنشاء الطلبي[٤]. وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي إلى معان تفهم من السياق كالنفي والنهي والتقرير والأمر، والإنكار والتشويق والتعجب والوعيد إلى غير ذلك[٥]، وهذه المعاني تضفي على التعبير جمالاً وتزيد من تأثيره في السامع، ففي مناقشة نصر بن يحيى المتطبب لعقيدة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت التي يدعيها النصارى في المسيح وأن الناسوت حين الصلب مات واللاهوت لم يمت تساءل نصر بن يحيى على سبيل الإنكار قائلاً: فكيف يكون ميتاً لم يمت في حال واحدة[٦]، فالمتطبب لم يلق هذا السؤال طالباً الإجابة عليه، وإنما للإنكار على النصارى الذين أدى بهم اعتقاد الاتحاد إلى هذه النتيجة التي لا يقبلها العقل، فهذا السؤال يثبّتُ فساد نتيجة هذا الاعتقاد عليهم مما قد يؤدي بالعقلاء منهم إلى الإقرار بفساده والإقلاع عنه وبعد بيانه لبعض تناقضات النصارى في تفسير الاتحاد وجّه هذا السؤال لهم على سبيل الإنكار لمجمل اعتقادهم في المسيح عليه السلام وذلك بقوله: فكيف يصح لذي عقل عبادة المولود من امرأة بشرية قد مات ونالته العلل والآفات[٧]؟ وهكذا في مواضع أخرى بعد مناقشة المتطبب لبعض عقائد النصارى يلقي عليهم أسئلة على سبيل الإنكار لباطلهم[٨].

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ٥٥٠).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٥٠).
(٣) مقامع هامات الصلبان ص ٣٢٣.
(٤) جواهر البلاغة ص ٧٠ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٥١).
(٥) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ص ١١٤ ـ ١١٨.
(٦) النصيحة الإيمانية ص ٦٢.
(٧) المصدر نفسه ص ٧٢ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٥٣).
(٨) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٥٣).

هـ ـ أسلوب التعجب:

وهو دهشة المتحدث واستغرابه في أمر ليس له تفسير في نفسه أو أن تفسيره غير متوقع لديه[١]. وبعد إيراد الجعفري لبعض تناقض الإنجيل قال: فانظر رحمك اللّه ما أفسد هذا الكلام وأقربه من كلام المجانين[٢]. وفي السياق نفسه وفي موضع آخر قال: فانظر ـ رحمك اللّه ـ ما أقبل عقول هؤلاء القوم إلى الترهات التي تمجها الأسماع وتأباها الطباع[٣]، وفي موضع آخر من السياق نفسه قال: ما أقبح هذا التكاذب وأوضح هذا التناقض[٤]. وهكذا في مواضع كثيرة وبعد تفنيد القرطبي لعقيدة الفداء لدى النصارى، وتهافت أدلتهم عليها ختم ذلك بقوله متعجباً من عقولهم الضعيفة التي قبلت مثل ذلك[٥]... قاتلكم اللّه ما أسخف عقولكم[٦].

و ـ أسلوب استخدام الشعر في تأدية بعض المعاني:

وفي عصر الحروب الصليبية لم تخل ردود العلماء ومناقشاتهم مع النصارى من استخدام الشعر، فمن الأمثلة على ذلك قصيدة البوصيري في الرد على النصارى واليهود والتي مطلعها:

جاء المسيح من الإله رسولاً فأبى أقل العالمين عقولا

حيث ناقش فيها الكثير من عقائدهم وانتقدها مبيناً بطلانها وعدم اعتمادهم على دليل فيها[٧]، ومن هذا القبيل أرجوزة لأبي طالب عبد الجبار المرواني تعرض فيها لبطلان ما عليه النصارى ومنها:

وصانع العالم فرد صمد والصنع لم يشركه فيه أحد

إلى أن قال:

وللنصارى القول في التثليث أفظع به من مذهب خبيث[٨]

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٥٤).

(٢) تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل (١/ ٢٩١).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٢٩٨).

(٤) المصدر نفسه (١/ ٣١١).

(٥) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٥٥).

(٦) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤١٨.

(٧) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٦٠).

(٨) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (١/ ٩٢٤ ـ ٩٢٥).

ومن ذلك مثلاً ما أورده القرطبي في مقدمة رده على صاحب الكتاب وتناقضاته وأنه بكتابته فضح نفسه حيث استشهد على ذلك بهذا البيت:

وإن لسان المرء ما لم تكن له حصاة على عوراته لدليل[١]

فالقرطبي بهذا البيت عبر باختصار بليغ كيف فضح هذا النصراني لسانه ودل على جهله وركاكة أسلوبه وفي موضع آخر حينما حاول هذا النصراني إظهار فصاحته بجمل ساقها رد عليه القرطبي بقول الشاعر:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وذلك كناية عن قصوره وعجزه وعدم أهليته لهذا الأمر، وحينما استدل النصراني ببعض الآيات القرآنية على بعض باطله مؤولاً معناها الصحيح كان من إجابة القرطبي قول الشاعر:

ألق السلاح فلست من أكفائنا واقعد مكانك في الخفيض الأسفل[٢]

وذلك كناية على أن المسلمين هم أهل المعرفة بالقرآن وعلومه وتفسيره وليس هذا لك أيها النصراني، ولا شك أن معنى هذا البيت أغنى القرطبي عن مقال طويل في بيان أحقية المسلمين وقدرتهم على تفسير القرآن ومعرفة علومه وعجز أمثال هذا النصراني عن ذلك[٣].

وفي موضع آخر وفي مناقشة تناقض أمانة النصارى وقولهم فيها:

إن المسيح الذي صلب سيعود لفصل القضاء بين الأحياء والأموات رد الجعفري على ذلك بقول الشاعر:

لألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي[٤]

وقصد الجعفري بهذا البيت بيان عجز المسيح عن خلاص نفسه من القتل والصلب بزعم النصارى، فكيف يقدر على خلاصهم بجملتهم وهذا المعنى لا شك يستغرق صفحات لو أراد الجعفري التفصيل في شرحه وهكذا في مواضع كثيرة استغنى الجعفري بأبيات شعرية تؤدي المعنى الذي يقصده دون إسهاب في

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٤.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٦.

(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٦٣).

(٤) تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل (١/ ٢٩٧).

تفصيل ذلك المعنى نثراً[١]. وكان القرافي في كتابه الأجوبة الفاخرة يستشهد أيضاً ببعض الأبيات الشعرية اختصاراً بها عن تفصيل ما يريد بيانه نثراً قد يستغرق صفحات منه في بعض النقاط[٢].

تاسعاً

آثار دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية

١ ـ دخول أعداد كبيرة من النصارى في الإسلام:

فمن ذلك مثلاً على مستوى القادة والعلماء النصارى إسلام أحد ملوكهم في شرق الدولة الإسلامية على يد الشيخ مختار بن محمود الزاهدي[٣]، وإسلام كاتب الديوان في بغداد واسمه جبرائيل بن منصور ت ٦٢٦هـ[٤]. ويحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب البغدادي المتوفَّى سنة ٤٩٣هـ[٥]، وكاتب الإنشاء للملك العادل ويقال له: ابن النحال حيث أسلم على يديه في حلب[٦]، وشيخ نصراني ذو أتباع أسلم على يد أبي شامة المقدسي سنة ٦٦١هـ[٧]. ومن مقدمي الصليبيين الذين اعتنقوا الإسلام عدد من فرسانهم انضموا إلى جيش صلاح الدين معلنين اعتناقهم الدين الإسلامي[٨]، وفارس صليبي يدعى روبرت أوف سانت ألبانس أحد مقدمي فرسان المعبد أسلم سنة ١١٨٥م/ ٥٨٠هـ وتزوج بإحدى حفيدات صلاح الدين[٩]، بل إن ابني أخت الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد هربا من معسكر الفرنج، والتحقا بجيش صلاح الدين معلنين اعتناقهما الإسلام وذلك سنة

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٥٦٣).
(٢) الأجوبة الفاخرة ص ٣٣ ، ٧٤ ، ٩٧.
(٣) الرسالة الناصرية ص ٥٦ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٤).
(٤) البداية والنهاية (١٣/ ١٣٥) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٤).
(٥) سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٨٨).
(٦) كتاب الروضتين (٢/ ٥٢) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٤).
(٧) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد ص ١١١.
(٨) المصدر نفسه ص ١١١ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٤).
(٩) الدعوة إلى الإسلام ص ١٠٨ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٤).

٥٨٧هـ. . حيث أكرمهما، وفارس صليبي مشهور يدعى رانيود أسلم وانضم بفرقته العسكرية إلى المسلمين[١]، وكان سفير سلطان مصر إلى الملك الصليبي لويس إفرنجياً اعتنق الإسلام وصار ذا مكانة عند السلطان[٢]. وأما اعتناق رجال الدين النصارى للإسلام فإن هناك إشارات تدل على كثرتهم في هذه الفترة، فمن ذلك مثلاً: إسلام الراهب عبد اللّه الأرمني على يد الشيخ عبد اللّه اليونيني المتوفَّى سنة ٦١٧هـ وكان زاهداً ورعاً فيه تصوف[٣]، حيث أسلم أيضاً على يد عبد اللّه الأرمني راهب آخر كان معتزلاً في صومعة له[٤] وإسلام أحد علماء النصارى على يد الشيخ مختار بن محمود الزاهدي في خوارزم[٥]، وإسلام عبد الواحد الصوفي ت ٦٣٩هـ والذي كان قسًّا في كنيسة مريم بدمشق نحواً من سبعين سنة[٦]. وكذلك إسلام دانيال أسقف خابور في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي[٧] وقد أشار توماس أرنولد نقلاً عن بعض المصادر اللاتينية إلى خلو كثير من الأسقفيات القبطية في بداية القرن الثالث عشر الميلادي في مصر من الأساقفة فمثلاً: في دير القديس مكاريوس وحده لم يبق غير أربعة من القسس بعد أن كان عددهم تجاوز الثمانين في عهد البطريق السابق[٨]، بل إن بعض رجال الدين الصليبيين المبشرين الفرنسيسكان الذي أرسل إلى إفريقية لهذه المهمة فعاد مسلماً[٩]. وقد ذكر توماس آرنولد نقلاً عن بعض المصادر الغربية كثرة اعتناق القساوسة الصليبيين الإسلام في هذه الفترة[١٠]، أما اعتناق الإسلام من قبل عامة النصارى فإنه لا إشكال أن العراق وبلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا والأندلس وغيرها من البلاد كانت الديانة الغالبة فيها قبل ظهور الإسلام هي النصرانية، ومع انتشار الإسلام دخل الناس فيه من أهل هذه البلاد أفواجاً حتى

(١) مذكرات جوانفيل ص ١٦٨.
(٢) البداية والنهاية (١٣/ ١٠٠ ـ ١٠١).
(٣) المصدر نفسه (١٣/ ١٥٢ ـ ١٥٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٥).
(٤) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٥).
(٥) البداية والنهاية (١٣/ ١٦٩) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٥).
(٦) الدعوة إلى الإسلام ص ١٠٧ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٥).
(٧) الدعوة إلى الإسلام ص ١٠٧ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٥).
(٨) الدعوة إلى الإسلام ص ٦٢٩ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٥).
(٩) الأوضاع الحضارية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ص ٢٣٣.
(١٠) الدعوة إلى الإسلام ص ١١٢ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٦).

أصبح الإسلام دين الغالبية، وأصحاب الديانات الأخرى أقلية بالنسبة إليه[١].
وفي عصر الحروب الصليبية كانت هناك تحولات كبيرة من هذه الأقلية النسبية خاصة من النصارى إلى الإسلام حيث يدل على ذلك، الإشارات المتناشرة في المصادر والمراجع المختلفة، فمن ذلك مثلاً قول سبط ابن الجوزي: . . سمعت جدي على المنبر يقول: بأصبعي هاتين كتبت ألفي مجلدة، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرون[٢] ألفاً. وأسلم على يدي نحو مائتين من أهل الكتاب[٣]. وفي عهد صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه اللّه ـ ولحسن معاملته لأقباط مصر تحول أعداد كبيرة منهم إلى الإسلام كما ذكر ذلك أحد مؤرخيهم[٤]، وقد قال توماس آرنولد عن كثرة اعتناق القبط للدين الإسلامي، ولكثرة عدد القبط الذين كانوا يعتنقون الإسلام من حين إلى حين أخذ أتباع النبيّ يعتبرونهم أشد ميلاً لقبول الدين الإسلامي من أية طائفة أخرى[٥]، وبين أنه حتى القرن التاسع عشر الميلادي لم تخل سنة من السنوات لم يتحول فيها القبط إلى الإسلام[٦].
أما إسلام العامة من النصارى الصليبيين فكان كثيراً جداً في هذه الفترة، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره توماس آرنولد نقلاً عن بعض المصادر الغربية أنه في الحملة الصليبية الأولى انفصلت جماعة كبيرة من الألمان وغيرهم من الطائفة الرئيسية لتنضم إلى الجيش السلجوقي المسلم معتنقة الإسلام[٧]، وفي الحملة الصليبية الثانية انضمت فرقة كبيرة من الجيش الصليبي قوامها أربعة آلاف مقاتل تقريباً إلى جيش المسلمين وذلك بعد فشل هذه الحملة، ولحسن المعاملة التي قوبلت بها هذه الفرقة اعتنق عدد كبير من أفرادها الإسلام بمحض إرادتهم وذلك سنة ٥٤٢هـ ـ ١١٤٨م[٨]. وكذلك كانت أخلاق صلاح الدين ـ رحمه اللّه تعالى ـ وحسن معاملته للنصارى الصليبيين دافعاً لأعداد كبيرة منهم إلى اعتناق الإسلام

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٧٠).
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٦).
(٤) الدعوة إلى الإسلام ص ١٣٠ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٦).
(٥) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٧).
(٦) المصدر نفسه (٢/ ٧٤٧).
(٧) الدعوة إلى الإسلام ص ١٠٨ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٧).
(٨) المصدر نفسه ص ١٠٩ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٧).

كما حدث بعد معركة حطين[١]، بشكل خاص وقد قال أحد الكتَّاب الغربيين عن ذلك: . . حتى إن نفراً من الفرسان المسيحيين بلغ من قوة انجذابهم إليه أن هجروا ديانتهم المسيحية[٢]. ونقل توماس آرنولد عن بعض المصادر الغربية أنه في الحملة الصليبية الثالثة انضمت أعداد كبيرة من الجيش الصليبي إلى المسلمين حيث اعتنق البعض منهم الإسلام، وقد ساق توماس شهادة مؤرخ غربي على ذلك رافق هذه الحملة، حيث قال هذا المؤرخ: . وفريق من رجالنا. . تراهم يهجرون بني جلدتهم ويفرون إلى الأتراك فلم يترددوا أن يصبحوا في زمرة المرتدين، ولكي يطيلوا أعمارهم الموقوته زمناً قصيراً اشتروا موتاً أبدياً بهذا الكفر المفزع[٣].

وقد أشار توماس نفسه إلى كثرة تحول الصليبيين إلى الإسلام في فترة الحروب الصليبية حيث قال: ولكن بانتهاء القرن الحادي عشر الميلادي انضم إلى أهالي الشام وفلسطين من المسيحيين عنصر جديد يتألف من هذه الجموع الهائلة من الصليبيين الذين كانوا يدينون بشعائر الأمم اللاتينية. . وظلت تعيش مهددة قرابة قرنين من الزمن، وفي غضون هذه الفترة كانت تحدث من حين لآخر تحولات إلى الإسلام من بين هؤلاء المهاجرين الغرباء[٤] وقال أيضاً: . . . وكان عدد المرتدين عن المسيحية في القرن الثالث عشر الميلادي كثيراً كثرة نلاحظها في سجلات الصليبيين القانونية التي يطلق عليها مجالس قضاء بيت المقدس[٥]، ومما يدل على كثرة اعتناق النصارى من الصليبيين الإسلام في هذه الفترة فزع أحد قساوستهم في الشام من ذلك وإرساله رسائل إلى البابا ورجال الدين في أوروبا يطلب فيها ألا يرسلوا الضعفاء والفقراء لأنهم أكثر عرضة لأن يفتنهم المسلمون فيعتنقوا الإسلام[٦].

٢ ـ تأثر النصارى بعادات المسلمين وأخلاقهم وتقاليدهم:

فمن ذلك مثلاً ما يتعلق باللباس والذي كان في غالب الأحيان لدى نصارى البلاد الإسلامية لا يختلف عن لباس المسلمين، فقد كان أحد الأساقفة الصليبيين

(١) شفاء القلوب في أخبار بني أيوب ص ١٢١.
(٢) الدعوة إلى الإسلام ص ١١١ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٧).
(٣) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد ص ١١١.
(٤) الدعوة إلى الإسلام ص ١١٢ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٨).
(٥) الدعوة إلى الإسلام ص ١١٠ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٤٨).
(٦) الدعوة إلى الإسلام ص ١١٠ دعوة المسلمين للنصارى ٠٢/ ٧٤٨).

والذي بعث إلى عكا قد أرسل إلى البابا في روما اشتكى فيها تشبه النصارى الصليبيين بالمسلمين في زيهم وطريقة حياتهم(١) وحتى بعض النصارى من الصليبيين كانوا يتشبهون بالمسلمين بالزي واللباس، فمن ذلك مثلاً تقليد النساء الصليبيات لنساء المسلمين بالحجاب واللباس المحتشم. حيث قال أحد الكتَّاب الأوروبيين في ذلك!.. وكانت النساء الصليبيات يقلدن المسلمات في لبس الحجاب الذي يضفي على المرأة الحشمة والوقار(٢). ومن عادات المسلمين التي اكتسبها النصارى الصليبيون في هذه الفترة النظافة وكانت ليست بذات أهمية لديهم، وقد نقل أحد الباحثين رأياً في ذلك لمؤرخ أوروبي معاصر لفترة الحروب الصليبية وهو قوله: ولكنهم ـ أي الصليبيين ـ يعيشون كالحيوانات، ويغسلون أبدانهم ولا [يغسلون] ثيابهم التي لا ينزعونها إلا إذا تمزقت(٣). وبعد مخالطة الصليبيين للمسلمين اكتسبوا هذه العادة الحميدة فتردد الكثيرون منهم على الحمامات العامة المنتشرة في الشام ومصر حتى الرهبان والراهبات الذين يعتكفون في كنائسهم وأديرتهم، مما جعل أحد مقدميهم واسمه جاك دوفتري يحتج على الراهبات لخروجهن من الأديرة مخالفات بذلك تعاليم شريعتهم ليذهبن إلى الحمامات العامة(٤) وقد ساق أسامة بن منقذ نماذج على استغرابهم اهتمام المسلمين بالنظافة ومحاولتهم التشبه في ذلك وترددهم على الحمامات العامة للمسلمين رجالاً ونساءً لهذا الغرض(٥)، ومن العادات الإسلامية التي اكتسبها الصليبيون النصارى الغيرة على النساء، وكانت هذه الغيرة مفقودة جداً لديهم حيث قال أسامة بن منقذ في سياق عرضه لمشاهداته وقائع في حياتهم وعرضه لنماذج منها تدل على ذلك بقوله: .. ليس عندهم شيء من النخوة والغيرة، يكون الرجل منهم يمشي هو وامرأته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدثان معاً والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث فإذا طولت عليه خلّاها مع المتحدث ومضى(٦)، وقد أشار أحد الباحثين إلى تغير هذه العادة

(١) الأوضاع الحضارية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ص ٩٧ ـ ٩٨.
(٢) تاريخ الحروب الصليبية (٢/ ٥٠٩).
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٥١).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٧٥١).
(٥) الاعتبار ص ١٣٦ ـ ١٣٧ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٥٢).
(٦) المصدر ص ١٣٥ المصدر نفسه (٢/ ٧٥٢).

القبيحة نسبياً في الجيل الثاني من الصليبيين بعد إقامتهم في البلاد الإسلامية[١]، ومن الصليبيين من تشبه بالمسلمين حتى في الطعام فترك أكل الخنزير مثلاً[٢]. ومن أهم ما اكتسبه بعض الصليبيين النصارى من المسلمين لين الطباع وحسن التعامل، وهذا ما لاحظه أسامة بن منقذ من خلال تعامله معهم وسبره لهذا الجانب فيهم بين من قدموا حديثاً من بلادهم وبين من عاشروا المسلمين وتعاملوا معهم واكتسبوا شيئاً من أخلاقهم حيث قال أسامة عن ذلك: فكل من هو قريب العهد بالبلاد الإفرنجية أجفى أخلاقاً من الذين تبلدوا وعاشروا المسلمين[٣]. ومن المعروف في النصرانية تحريم التعدد بزعمهم ومع ذلك فبعضهم قلد المسلمين وتزوج أكثر من واحدة خاصة بعض زعمائهم وقوادهم[٤]، ومن مظاهر تأثر كثير من النصارى بالمسلمين في هذه الفترة اتجاه كثير منهم إلى تعلم اللغة العربية[٥]، فالصليبيون في الشام اهتموا بذلك فكان بعض قادتهم يتحدث العربية كريموند صاحب طرابلس وبعضهم وضع له قارئاً بها كصاحب صيدا[٦]. وحرص بعض قادتهم كذلك بأن يتعلم موظفوه ومن تحت يده في بعض الأعمال اللغة العربية كما في موظفي الجمارك في عكا والذين قابلهم ابن جبير في زيارته للشام في هذه الفترة[٧]، وأسامة بن منقذ كان يربطه مع بعض فرسان الفرنج نوع من الصداقات، وكان يتعامل معهم وهو لا يجيد لغاتهم مما يدل على أن منهم أعداد تتحدث باللغة العربية[٨]. وفي الأندلس كان تأثر النصارى باللغة العربية ـ لغة المسلمين ـ أكثر وضوحاً، إذ صارت هي لغة الحياة العامة في المجتمع الأندلسي[٩]، وهكذا فكما أن الشخص لا يتأثر بشيء ويقلده إلا من باب الإعجاب به والاقتناع بقيمته فإن بعض النصارى بتشبههم بالمسلمين في بعض الصفات وتأثرهم بها دليل على الإعجاب

---

(١) العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ص ١٩٢.
(٢) الاعتبار ص ١٤٠ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٥٢).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٧٥٣).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٧٥٣).
(٥) المصدر نفسه (٢/ ٧٥٣).
(٦) المصدر نفسه (٢/ ٧٥٣).
(٧) رحلة ابن جبير ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦.
(٨) الاعتبار ص ٨٧ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٥٣).
(٩) المسلمون في تاريخ الحضارة ص ٧٩.

بها ونوعاً من الرضا عنها واعترافاً ضمنياً بقيمة الدين الذي جاء بها وحثّ عليها[١].

٣ ـ تحسن نظرة كثير من النصارى للإسلام والمسلمين:

وقد نقل توماس آرنولد عن بعض الكتّاب الغربيين ما يؤيد ذلك، كقول أحدهم: . . . ومن المؤكد أن المسيحيين من أهالي هذه البلاد قد آثروا حكم المسلمين على حكم الصليبيين[٢]. وقول أحدهم: . . ويظهر أن أهالي فلسطين من المسيحيين لما وقع بيت المقدس في أيدي المسلمين نهائياً سنة ٦٤١ هـ ـ ١٢٤٤م رحبوا بالسادة الجدد واطمأنوا إليهم ورضوا بحكمهم[٣]، كذلك الحال بالنسبة لكثير من نصارى آسيا الصغرى في هذه الفترة الذين فضلوا حكم السلاجقة المسلمين على سيطرة إخوانهم من النصارى من البيزنطيين[٤]، أما بالنسبة للنصارى الصليبيين فقد تغيرت نظرتهم للإسلام والمسلمين نتيجة للجهود الدعوية المختلفة الموجهة إليهم في هذه الفترة فمثلاً أن أحد رسلهم ويدعى بركارد حينما قابل صلاح الدين سنة ٥٨٠هـ/ ١١٧٥م عاد إلى قومه وأخبرهم بما لاحظه من أن المسلمين يؤمنون بإله واحد خالق كل شيء، وأن محمداً ﷺ نبيّ مُرسل من اللّه جلّ وعلا، ومن مظاهر تغير هذه النظرة الحاقدة لدى النصارى تجاه المسلمين وجود نوع من الصداقات بين المسلمين والنصارى، ومن ذلك مثلاً ما كان لأسامة بن منقذ من أفراد منهم يعدهم أصدقاء له وكانوا يمكنونه من الصلاة في المسجد الأقصى حينما كان تحت سيطرة النصارى[٥]، وابن جبير الذي زار المنطقة في هذه الفترة رأى عرساً إفرنجياً حضره جمع من المسلمين، وكان من مشاهداته أن بعض النصارى إذا رأى أحداً من المسلمين انقطع للعبادة أتوه بالماء والزاد[٦]، بل إنه في بعض جبهات القتال لطول المخالطة والمواجهة بين الفريقين أنس البعض بالبعض بل وتجري في بعض الأحيان ألعاب ومسابقات على سبيل

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٥٤).
(٢) الدعوة إلى الإسلام ص ١١٦.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٥٤).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٧٥٥).
(٥) الاعتبار، أسامة بن منقذ ص ١٣٤ ـ ١٣٥.
(٦) رحلة ابن جبير ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

الترفيه بين الطرفين[١]. وكان التجار المسلمون والنصارى على حال من الاختلاط والمعاملة التي أزالت كثيراً من الحدة والحقد والعداء الشديد الذي كان يحمله غالب الصليبيين في بداية قدومهم. وقد قال ابن جبير عن ذلك: .. واختلاط القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الإفرنج غير منقطع، واختلاف المسلمين إلى عكا كذلك.. والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الأحوال، وأهل الحرب منشغلون في حربهم.. ولا تعترض الرعايا ولا التجار فالأمن لا يفارقهم في جميع الأحوال سلماً وحرباً[٢]. وقال أحد الكتّاب الغربيين مبيناً تبدل النظرة لدى متأخري الصليبيين عن سابقيهم: ... ولقد تحدث بعض المؤرخين أمثال وليم كبير أساقفة صور عن الحضارة الإسلامية حديثاً ملؤه الإجلال بل والإعجاب في بعض الأحيان لو سمعه المحاربون في الحملة الصليبية الأولى لهزمهم وصدم مشاعرهم وكبرياءهم[٣]، ولا أدل على تبدل هذه النظرة من سماح الصليبيين للمسلمين الخاضعين لحكمهم من ممارسة شعائرهم الدينية كما في عكا، وطرابلس، وأنطاكية، وجبلة وغيرها. وكان أسلاف هؤلاء في حملتهم الأولى حينما رأوا لأول مرة مسجداً في القسطنطينية تقام فيه الصلاة أحرقوه بما فيه[٤]، وقد بيَّن توماس آرنولد هذه الحقيقة وهي أنه ليس عامة الصليبيين، فحسب هم الذين تغيرت نظرتهم إلى المسلمين، بل إن علماء اللاهوت المسيحي قد أدى اختلاطهم بالمسلمين إلى تكوين رأي أكثر إنصافاً عن الإسلام[٥].

٤ ـ نجاح المسلمين في كسب بعض النصارى الصليبيين:

كان من حسن سياسة نور الدين محمود مثلاً، مع بعض القادة النصارى أن كسبهم إلى جانبه ضد بني ملتهم ودرأ بذلك خطراً عظيماً عن الإسلام بعدما كادوا أن يتفقوا ضد المسلمين وذلك سنة ٥٤٤هـ[٦]. وكذلك صلاح الدين، حينما صالح صاحب صيدا حتى جعله يقاتل في صف المسلمين ضد بني ملته وكان له

---

(١) النوادر السلطانية ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٢) رحلة ابن جبير ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٣) قصة الحضارة (٢٢/ ٦٥).

(٤) المصدر نفسه (٤/ ٥٠) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٥٨).

(٥) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٥٨).

(٦) كتاب الروضتين (١/ ١٢٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٥٨).

أثر موجع عليهم، وكذلك صاحب صور الذي جاهر بعداء بني ملته[١]، وبعد معركة حطين وما ظهر من نبله وكرمه وصفحه عن بعض قادة الصليبيين أن أقسم بعضهم ألا يواجهه في قتال[٢].

٥ ـ حسن معاملة النصارى لمن تحت أيديهم من المسلمين:

ومن مظاهر التحسن مثلاً أنه في بعض القرى الواقعة تحت النفوذ الصليبي يتمتع أهلها المسلمون بحكم ذاتي لهم يحكمهم واحد منهم كما هي الحال في جبلة وقد لمس الأحوال المعيشية الهادئة التي تعيشها بعض القرى والمدن الإسلامية تحت الحكم الصليبي ابن جبير حتى أنه خشي على أهلها من الفتنة مقابل بعض الاضطهاد الذي يلاقيه إخوانهم من قبل بعض الولاة المسلمين في بعض المناطق الإسلامية، حيث قال: .. وطريقنا كله ضياع متصلة وعمائر منتظمة سكانها كلها مسلمون، وهم مع الإفرنج على حالة ترفيه ـ نعوذ بالله من الفتنة ـ ومساكنهم بأيديهم وجميع أحوالهم متروكة لهم، وكل ما بأيدي الفرنج من المدن بساحل الشام على هذا السبيل، ثم وصف ابن جبير استقرار أحوالهم وخشيته عليهم من الفتنة بالنصارى لذلك حيث قال: .. وقد أشربت الفتنة قلوب أكثرهم لما يبصرون عليه إخوانهم من أهل الرساتيق المسلمين وعمالهم لأنهم ضد أحوالهم في الترفيه والرفق، وهذه من الفجائع الطارئة على المسلمين[٣].

٦ ـ ظهور عزة الإسلام وتغير التكتيك الصليبي:

كان من أهم آثار الجهود الدعوية هو أن يكون الدين كله لله، وذلك بإقامة شرعه على أرضه وإرشاد الناس إلى سبيله وكان من أهم آثار الجهود الدعوية المختلفة خاصة الجهاد في سبيل الله في هذه الفترة إزالة الحكم الصليبي النصراني من المناطق التي زحف عليها وطرده كلياً وإعادة الحكم الإسلامي فيها وما ترتب على ذلك من إظهار لعزة الإسلام وقوة المسلمين[٤]، وهذا ما جعل الأعداء المتربصين من النصارى الصليبيين يعيدون تخطيطهم ويغيرون أساليبهم في محاربة المسلمين وفتنتهم عن دينهم فقرروا لذلك التركيز على الناحية الفكرية بعد

---

(١) النوادر السلطانية ص ٢٩٨ المصدر نفسه (٢/ ٧٥٩).

(٢) قصة الحضارة (٤/ ٣٨) المصدر نفسه (٢/ ٧٥٩).

(٣) رحلة ابن جبير ص ٧٤، ٧٥ دعوة المسلمين (٢/ ٧٦١).

(٤) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٦٢).

ما لم تجد الجحافل العسكرية في صرف المسلمين عن دينهم وإقامة دولة نصرانية في قلب البلاد الإسلامية، لذلك تكونت بدايات ما يسمّى بالغزو الفكري للشعوب الإسلامية، فاتجهت الجهود إلى إرسال جحافل من المبشرين الذين يتسللون إلى الشعوب الإسلامية بشكل سلمي ليفتنوهم عن دينهم بالإقناع والتفاهم تحت ستار العمل الخيري، فكان لذلك تأسيس المدارس النصرانية والجماعات التنصيرية لتحقيق هذا الهدف بعدما عجزت عنه القوة العسكرية، وقد كان من أول هذه المؤسسات التبشيرية الرهبنة الكرملية التي تأسست في عام ٥٤٨هـ ـ ١١٥٤م في طرابلس لبنان، ثم الفرنسيسكان والدومنيكان في مطلع القرن الثالث عشر[١]، ومنذ ذلك الوقت تتابع الدعاة لبثّ أفكارهم التنصرية في العالم الإسلامي وقد قال أحد الكتَّاب الأوروبيين عن ذلك: إذ حدث في القرن الثالث عشر أن بدأ نشاط تبشيري ضخم، وهذا النشاط إنما نجم عن الحروب الصليبية والاتصال بالمسلمين[٢]، وكانت البداية العملية المنظمة لهذا العمل على يد ريموندلل وهو إسباني تعلم اللغة العربية وكرس حياته لتنظيم العمل التبشيري وأرضاهم بواسطة دراسة لغتهم والتنصير بينهم، ثم إرسال الجيوش العسكرية بعد ذلك[٣].

٧ ـ تأجيل إخراج المسلمين من الأندلس:

ساءت أحوال المسلمين في الأندلس من جراء ضعف الخلافة الأموية فيها ومن ثم انتهاؤها سنة ٤٢٢هـ حين أعلن أهل قرطبة إلغاءها وعلى رأسهم جهور بن محمد بن جهور[٤]، فقامت على أنقاضها ما يسمى بدول الطوائف التي بلغت عشرين دولة تقريباً حيث تغلب كل على جهة وتلقب بالإمارة، بل والخلافة، فمنهم من تسمى بالمعتضد وبعضهم تسمى بالمأمون وآخر تسمى بالمستعين والمقتدر والمتوكل والموفق إلى غير ذلك من الألقاب التي قال عنها الشاعر الحسن بن رشيق:

مما يزهدني في أرض أندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد[٥]

(١) الأوضاع الحضارية في بلاد الشام ص ١٣٦.
(٢) الحروب الصليبية آرنست باركر ص ١٤٢.
(٣) البيان المغرب في أخبار الأندلس نقلاً عن دعوة المسلمين (٢/ ٧٦٣).
(٤) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٦٣).
(٥) المصدر نفسه (٢/ ٧٦٣).

ومع هذا الوضع المتردي لدول الطوائف أخذت الممالك النصرانية تتوسع على حسابها، فسقطت طليطلة بيد الإذفونش ملك قشتالة وليون وذلك سنة ٤٧٨هـ[١]، ولم تلق المساندة الكافية لصد العدوان النصراني عليها من قبل أمراء الدويلات الإسلامية الأخرى التي كانت تتصارع فيما بينها وتخطب ود النصارى حفاظاً على الطموحات الشخصية لبعض أمرائها الذي بلغ الحال بعدد منهم أن استعانوا بالنصارى ضد إخوانهم المسلمين لذلك ساد الفزع بين مسلمي الأندلس لسرعة تقدم النصارى وما يتوقعونه من نهاية سيئة لهم من جراء ذلك حتى عبر أحد الشعراء عن هذه الحالة بعد سقوط طليطلة بقوله:

يا أهل أندلس شدوا رحالكم   فما المقام بها إلا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى   سلك الجزيرة منثوراً من الوسط
من جاور الشر لا يأمن بوائقه   كيف الحياة مع الحيات في سفط[٢]

ولهذا الوضع المفزع في الأندلس دبت الغيرة في بعض أمراء الطوائف وبعض العلماء لحماية المناطق الإسلامية من النصارى فكانت الدعوة للمرابطين لدخول الأندلس حيث تغيرت الكفة وانحصر نفوذ النصارى، فكان قدوم المرابطين منقذاً للمسلمين في الأندلس من طمع النصارى ومحافظاً على بقائهم فيها بعد أن أوشك على الزوال، وقد قال عن ذلك أحد المؤرخين الأندلسيين بعدما وصف الأوضاع المضطربة فيها قبل النجدة المرابطية: . . . إلى أن جمع اللّه الكلمة ورأب الصدع ونظم الشمل، وحسم الخلاف وأعز الدين، وأعلى كلمة الإسلام، وقطع طمع العدو بيمن نقيبة أمير المسلمين وناصر الدين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين[٣]. وعبور المرابطين لنجدة إخوانهم مسلمي الأندلس كان في سنة ٤٧٩هـ حيث جرت معركة الزلاقة المشهورة مع النصارى والتي انتصروا فيها واندحر الزحف النصراني على المناطق الإسلامية آخذاً بالتقهقر[٤]، ومنذ ذلك الحين عمل المرابطون على تثبيت سلطانهم في الأندلس وتوحيد الطوائف فيها تحت سيطرتهم والوقوف في مواجهة النصارى وجهادهم في البلاد

---

(١) نفح الطيب (٤/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤).
(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (١/ ٤٦).
(٣) المعجب في تلخيص المغرب ص ١٤٧ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٦٤).
(٤) الكامل (٨/ ٣٠٧ ـ ٣١٠).

الأندلسية حتى كان تضعضعهم وضعف سلطانهم إثر سقوط عاصمتهم في المغرب مدينة مراكش سنة ٥٤١هـ وبعد اضطراب أحوال الأندلس طمع النصارى في استغلال ذلك فاجتاز الموحدون إليها وكان لهم الجهد المشكور في مواجهتهم وكبح جماحهم ومن ثم الحفاظ على البقاء الإسلامي في الأندلس[١]. حتى ضعف سلطانهم ثم سقوط دولتهم في سنة ٦٦٨هـ[٢]، فورثها مجموعة من الدويلات التي تساقطت في أيدي النصارى الواحدة تلو الأخرى حتى كان آخرها سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ[٣]، وهكذا فإن جهاد المرابطين ثم الموحدين في فترة الحروب الصليبية كان من أبرز العوامل بل أهمها في الحفاظ على الوجود الإسلامي في الأندلس وتأخير إخراج المسلمين منها[٤].

عاشراً

آثار الدعوة الإسلامية في أوروبا

لم تقتصر آثار الجهود الدعوية التي بذلها المسلمون في عصر الحروب الصليبية تجاه النصارى على البلاد الإسلامية فحسب، بل امتدت آثارها إلى أوروبا نفسها منطلق العدوان الصليبي الحاقد على البلاد الإسلامية، حيث تفاوتت هذه الآثار قوة وضعفاً بين الجهات الأوروبية، فبينما كانت أكثر وضوحاً في الجهات الجنوبية من أوروبا وفي الممالك النصرانية المحاذية للمسلمين في الأندلس فإنها أقل وضوحاً من الجهات الشمالية والغربية من أوروبا وفيما يلي عرض لشيء من هذه الآثار:

١ ـ تأثر بعض الأوروبيين بشيء من العادات والتقاليد الإسلامية:

ففي صقلية مثلاً: وكانت السلطة والدولة للنصارى فيها بعد أن كانت للمسلمين ـ امتدت آثار الجهود الدعوية المختلفة إلى نصارى هذه البلاد فمنها على سبيل المثال تقليد بعضهم للمسلمين في اللباس والنظافة بل وصل الأمر

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٦٥).
(٢) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب (١/ ٤٤٦).
(٣) التاريخ الأندلسي ص ٥١٣.
(٤) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٦٥).

بالبعض منهم إلى اعتناق الإسلام، فمما شاهده ابن جبير في حاضرة صقلية من ذلك قوله: . . وزي النصرانيات في هذه المدينة زي نساء المسلمين، فصيحات الألسن، ملتحفات منقبات[١] . ومما يتصل بذلك انتشار بعض الأزياء الإسلامية في أوروبا في تلك الفترة والتي منها ما يحتفظ باسمه العربي إلى وقتنا الحاضر كأنواع من القمصان والمعاطف والعباءات وغيرها[٢]، بل إن بعض القادة الأوروبيين كانوا يقلدون قادة المسلمين في اللباس وبعض العادات، كروجر الثاني وفريدريك الثاني في صقلية[٣]، والفونسو السادس ملك قشتالة وغيرهم[٤] . ومن الشعائر الإسلامية التي تشبه النصارى بالمسلمين فيها كذلك غسل الميت خاصة في الممالك النصرانية بالأندلس[٥]، ولذلك فإن بعض الكتّاب الأوروبيين عدّ الحروب الصليبية من أهم أسباب امتداد النفوذ الإسلامي في أوروبا واكتساحه الكامل آسيا الصغرى وبلاد الشام وقد كان قبل هذه الفترة جزء كبير من آسيا الصغرى ينتمي إلى الكنيسة اليونانية مع وجود بعض الدويلات النصرانية في الشام[٦] .

٢ ـ إعجاب بعض القادة الأوروبيين بالحضارة الإسلامية:

ومن الأمثلة على هؤلاء القادة روجر الثاني أحد ملوك صقلية الذي استحضر كثيراً من الكتب العربية وأمر بترجمتها وكان يجل العلماء المسلمين ويقدرهم فكان الإدريس إذا جاء إلى مجلسه أكرمه واحترمه ووسع له[٧] . ومن ملوك صقلية المعجبين بالحضارة الإسلامية كذلك الإمبراطور فريدريك الثاني الذي كان متأثراً بكل ما هو عربي وكان يجيد اللغة العربية كما كانت لغته الأم، وخلال طفولته كان على علاقة بقاضي المسلمين في مدينة بالرمو الذي قدم له عدداً من الكتب العربية في مختلف العلوم[٨] . وكان الإمبراطور فريديك كثير الاتصال بالملك

---

(١) رحلة ابن جبير ص ٣٠٧.

(٢) أثر الحروب الصليبية في الحضارة الأوروبية ص ٨٠.

(٣) رحلة ابن جبير ص ٢٩٨ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٦٧) .

(٤) الإسلام في إسبانيا ص ٩٨ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٦٧) .

(٥) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٦٨) .

(٦) المصدر نفسه (٢/ ٧٦٩) .

(٧) الوافي بالوفيات ص ٦٥٧ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٦٩) .

(٨) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٤٣٣.

الكامل في مصر بشأن بعض المسائل العلمية، ومن ذلك مثلاً إرساله بعض الأسئلة إليه ليجيب العلماء المسلمون عليها[١]، ثم محاوراته العلمية مع أحد سفراء الملك الكامل إليه والذي كان من العلماء المسلمين في مصر[٢] ومن القادة النصارى الذين أعجبوا بالحضارة الإسلامية بعض ملوك الدول النصرانية في الأندلس، فقد كان الفونسو السادس في طليطلة يحب العلماء المسلمين، بل إن أكثر مستشاريه ومعاونيه من المسلمين[٣].

وكذلك ألفونسو العاشر ملك قشتالة كان مقرّباً للعلماء المسلمين ومستخدماً لهم في كثير من المهام[٤].

٣ ـ حسن معاملة بعض قادة أوروبا للمسلمين الخاضعين لحكمهم:

ومن ذلك مثلاً ما لقيه المسلمون في صقلية من تسامح وهدوء تحت سلطة بعض حكامها كروجر الثاني الذي قال عنه ابن الأثير: . . فسلك طريق ملوك المسلمين. . وجعل له ديوان المظالم ترفع إليه شكوى المظلومين، فينصفهم ولو من ولده وأكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم الإفرنج فأحبوه[٥]. وشاهد ابن جبير جانباً من الأوضاع الحسنة للمسلمين في صقلية تحت حكم فريدريك الثاني ففي حاضرة صقلية قال ابن جبير عن أوضاع المسلمين: . . وللمسلمين بهذه المدينة رسم باق من الإيمان يعمرون أكثر مساجدهم ويقيمون الصلاة بأذان مسموع، قد انفردوا فيها بسكناهم عن النصارى[٦]. وقال: وأما المساجد فكثيرة لا تحصى وأكثرها محاضر لمعلمي القرآن[٧]، وعن حسن معاملة النصارى للمسلمين في هذه المدينة قال ابن جبير: . . . وطوائف النصارى يتلقوننا فيبادروننا بالسلام علينا ويؤنسوننا، فرأينا من سياستهم ولين مقصدهم مع المسلمين ما يوقع الفتنة في نفوس أهل الجهل[٨]. وكان المسلمون المقيمون في القسطنطينية في هذه الفترة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك (١/ ٢٣٢).
(٢) تاريخ الحروب الصليبية ، ستيفن رانسيمان (٣/ ٣٢٧).
(٣) الإسلام في إسبانيا د. لطفي عبد البديع ص ١٦٨.
(٤) فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص ٧٦.
(٥) رحلة ابن جبير ص ٣٠٥.
(٦) المصدر نفسه ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٧٢).
(٧) رحلة ابن جبير ص ٣٠٢ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٧٢).
(٨) رحلة ابن جبير ص ٣٠٣ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٧٢).

ينعمون بشيء من الحرية وإظهار شعائرهم الدينية وكان لهم جامع يؤذن ويصلى فيه[١] . ولم يقتصر الأمر على تمتع المسلمين في بعض الدول النصرانية بالحرية والأمن، بل إن أعداداً منهم بلغت حظوة ومكانة لدى بعض القادة النصارى[٢] . ومن ذلك مثلاً ما ذكره ابن الأثير عن روجر الثاني صاحب صقلية من أنه اتخذ رجلاً من أهل الصلاح يستشيره ويقدمه على الرهبان ويكرمه ولذلك يتهم بأنه مسلم[٣]، وكان ابن غليام الأول يحيط بحرس من المسلمين[٤]، وأما فريدريك الثاني فقد قال عنه ابن جبير: وهو كثير الثقة بالمسلمين وساكن إليهم في أحوالهم والمهم من أشغاله[٥] . وقال عنه أيضاً: أما فتيانه الذين هم عيون دولته وأهل عمالته في ملكه فهم مسلمون، ما منهم إلا من يصوم الأشهر تطوعاً وتأجراً ويتصدق إلى اللّه وتزلفاً[٦] . وهكذا، فإن هذه الأوضاع الحسنة للمسلمين في بعض الدول النصرانية قد كان للجهود الدعوية المبذولة من المسلمين في هذه الفترة أثر كبير في تحقيقها[٧] . كما كان للنموذج الإسلامي الأخلاقي في التعامل والحكمة الذي قدمها المسلمون أثر واضح.

٤ ـ اهتمام كثير من علماء الغرب بثقافة الشرق:

تأثر كثير من علماء الغرب بالمستوى الراقي للحضارة الإسلامية وتعرفوا على علماء أفذاذ في مختلف العلوم واستفادوا منهم فائدة عظيمة ومن هؤلاء أديلا ردأوف بات الذي زار الأندلس في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي ثم سافر إلى مصر وآسيا الصغرى واطلع على كثير من العلوم في البلاد الإسلامية وانتقلت بواسطته إلى الغرب معلومات مهمة عن الشرق الإسلامي[٨]، وكذلك ليونارد فيوناش الذي زار مصر والشام وكان معاصراً لفريدريك الثاني ملك صقلية[٩]، وجيرارد الكريموني

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٧٣).

(٢) الكامل في التاريخ (٩/ ١٣٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٧٣).

(٣) العرب في صقلية ص ١٤٦.

(٤) رحلة ابن جبير ص ٢٩٨.

(٥) رحلة ابن جبير ص ٢٩٨.

(٦) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٧٤).

(٧) فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص ٨٥.

(٨) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٧٥).

(٩) فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص ٨٤.

الذي قدم من إيطاليا سنة ٥٤٥هـ وبقي في طليطلة حتى وفاته سنة ٥٨٢هـ - ١١٨٧م وكان له جهود كبيرة في الترجمة[١]، حيث ترجم أكثر من مائة كتاب من الكتب الإسلامية إلى اللاتينية[٢]. وكان للأسقف رايموند الذي تولى أسقفية طليطلة بين سنتي ٥٢٦هـ ٥٤٧هـ دور كبير وجهود بارزة في ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية والتشجيع على ذلك، بل إنه كان يتولى رئاسة طائفة من المترجمين عرفت بمدرسة المترجمين الطليطليين[٣]. وكانت أعداداً كبيرة من العلماء الأوروبيين اهتمت بالترجمة من الثقافة العربية الإسلامية إلى اللغات الأوروبية في الحياة الفكرية في أوروبا الغربية[٤]. وقد قال كاتب غربي عن أثر ما نقله هؤلاء العلماء الأوروبيون عن المسلمين عن طريق الترجمة، وقد أحدثت هذه التراجم كلها في أوروبا اللاتينية ثورة عظيمة الخطر، ذلك أن تدفق النصوص العلمية من بلاد الإسلام واليونان كان له أعمق الأثر في استثارة العلماء الذين بدأوا يستيقظون من سباتهم[٥] وقال: . . كذلك أثارت هذه التراجم عقل أوروبا وحفزته إلى البحث والتفكير[٦]. ولقد أثرت المفاهيم الإسلامية في الأوروبيين وكان لا بدّ من أن يحدث توسعاً في علوم الدين وفي تعديل أفكار العلماء عن الإله[٧]. وشاع لدى النصارى في بعض مناطق أوروبا خاصة في الممالك النصرانية في الأندلس بعض الكلمات العربية ذات المدلول الديني الإسلامي، ومن ذلك مثلاً قولهم: DIS DID QUIRE ومعناه: قول المسلم: إن شاء الله[٨]، ويتردد كثيراً في أحاديثهم OJALA للتعبير عن العجب أو الدهشة وما شابه ذلك ومعناه الحرفي ما شاء الله، كذلك بعض ألفاظ التحية والسلام وغير ذلك[٩]. وفي صقلية وجنوب إيطاليا انتشرت عملات نصرانية كتب عليها آيات قرآنية منها قول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩] وكانت علامة أحد ملوك صقلية: «الحمد لله شكراً

---

(١) الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس ص ٥٤٢.
(٢) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٧٥).
(٣) فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص ٨٦.
(٤) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٧٨) نقلاً عن قصة الحضارة (٤/ ٢١).
(٥) قصة الحضارة (٤/ ٢٢) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٧٨).
(٦) الإسلام في إسبانيا د. لطفي عبد البديع ص ٩٥.
(٧) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٧٩).
(٨) الإسلام في إسبانيا د. لطفي عبد البديع ص ٩٥.
(٩) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٧٩).

لأنعمه» ولا شك أن هذه العبارات والمفاهيم وأمثالها وهي تتردد بين عامة النصارى الأوروبيين لها أثرها على المدى الطويل[١].

٥ ـ تأثر النصارى باللغة العربية:

كان البعض من الصليبيين الذين قدموا من أوروبا وعاشوا فترة في البلاد الإسلامية قد اكتسبوا اللغة العربية[٢]، ولا شك أن هؤلاء عند عودتهم إلى بلدانهم لم ينسوا اللغة العربية التي اكتسبوها في البلاد الإسلامية وما نقلته مفرداتها إليهم من بعض المفاهيم الدينية عن الإسلام والتي كانوا يجهلونها قبل ذلك فنقلوها هم بدورهم إلى أفراد مجتمعاتهم في البلاد الأوروبية ولكثرة المتحدثين باللغة العربية في بعض البلاد الأوروبية، ولكثرة المقبلين على تعلمها اتخذت لغة رسمية في بعض المناطق بجانب اللغات الغربية، ففي صقلية كانت اللغة العربية إحدى اللغات الثلاث التي أقرتها الدولة في سجلاتها بجانب اليونانية واللاتينية[٣]. وفي بعض المناطق التي زحف عليها النصارى في الأندلس كطليطلة وقرطبة والمناطق الشمالية والغربية وغيرها كانت هناك لغتان الإسبانية والعربية، بل إن بعض المفكرين الأوروبيين المتعصبين تأسف كثيراً على هجر كثير من النصارى لغتهم اللاتينية وولعهم باللغة العربية وثقافتها[٤]، ولم يقتصر الإقبال على اللغة العربية من عامة الناس في أوروبا، بل إن أعداداً من القادة الأوروبيين تعلموها وتحدثوا بها رغبة منهم في الاطلاع على الحضارة الإسلامية. ومن أبرز هؤلاء روجر الثاني وفريدريك الثاني في صقلية وقد قال ابن جبير عن الأخير: ومن عجب شأن المتحدث عنه أنه يقرأ ويكتب بالعربية[٥]، ولذلك فإن شيوع اللغة العربية نسبياً في المجتمعات الأوروبية وكثرة الإقبال على تعلمها جعل أحد رجال الدين النصارى في مجتمع فيينا ٧١٠هـ ـ ١٣١١م يدعو إلى إنشاء ست مدارس لتعليم اللغات الشرقية في أوروبا[٦]. ولهذا الانتشار للغة العربية في

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ٧٧٩).
(٢) العرب في صقلية د. إحسان عباس ص ١٤٦.
(٣) الإسلام في إسبانيا ص ١١٠ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٨٠).
(٤) رحلة ابن جبير ص ٢٩٨ دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٨٠).
(٥) الحروب الصليبية آرنست ص ١٥٠.
(٦) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٨٠).

أوروبا ـ كان للجهود الدعوية المختلفة التي بذلها المسلمون في هذه الفترة تجاه النصارى دور في ذلك ـ تسللت مئات الكلمات العربية إلى اللغة الأوروبية خاصة اللغتين الإنجليزية والإسبانية[١].

٦ ـ فقدان الثقة بالبابا ورجال الدين:

كانت الكنيسة مهيمنة على الحياة العامة في أوروبا محاربة لكل ما يهدد هذه الهيمنة من الملوك أو المفكرين، فالبابا ـ وهو رأس الكنيسة ـ أصبحت بيده السلطة الدينية وحتى السياسة في هذه الفترة مما جعل المعاصرين يعتبرونه ملك الملوك وأمير الأمراء[٢]، لنفوذه القوي على ملوك أوروبا في تلك الفترة، فكان من حق البابا أن يفرض الضرائب على رعايا الملوك وأن يحولها إلى روما وكانت صكوك الغفران وصكوك الحرمان أداة للضغط بيده في مواجهة معارضيه[٣].

وهذه الهيمنة الدينية والسياسية لسلطة الكنيسة تضاءلت كثيراً في أوروبا بعد نهاية الحرب الصليبية وقد قال أحد الكتَّاب الغربيين عن ذلك: . . . وعظم سلطان الكنيسة وعلت مكانتها إلى أبعد حد بسبب الحملة الصليبية الأولى ثم أخذت تضعف بالتدرج بسبب الحملات التي[٤] تلتها وما من شك أنه كان للجهود الدعوية المختلفة التي بذلها المسلمون في هذه الفترة من سفارة ورسائل ورسل ومخالطة وكتابة ولقاءات وجهاد أثر كبير في ذلك[٥]. ومع مرور الوقت قلت هيبة الكنيسة ومكانتها في نفوس العامة وأدركت الشعوب الأوروبية كذب ما يدعيه البابا من أنه نائب عن اللّه في الأرض وأنه معصوم عن الخطأ، فقلت الثقة به وسائر رجال الدين النصارى ومن الشواهد على ذلك مثلاً: أنه عندما دعا بعض الرهبان في أوروبا إلى حملة صليبية جديدة سخر الناس منه وعمِد بعضهم إلى توزيع الصدقات على الفقراء باسم محمد ﷺ على سبيل السخرية من هؤلاء الرهبان وذلك أن محمداً ﷺ تفوق على المسيح في هذه الحروب[٦]، بل إن

---

(١) أوروبا العصور الوسطى (٢/ ٢١٦).

(٢) قصة الحضارة (٤/ ٦٦).

(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٨٢).

(٤) المصدر نفسه (٢/ ٧٨٢).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) قصة الحضارة (٤/ ٦٧).

بعض المثقفين والكتّاب وحتى رجال الدين الذين بدأوا بنقد بعض معتقدات الكنيسة الخاصة بالتثليث والعشاء الرباني وصكوك الغفران وغيرهما اعتماداً على شيء من أقوال علماء المسلمين في ذلك[١]، كذلك ظهرت بعض الجماعات والفرق الدينية في أوروبا التي تنادي بمحاربة الفساد المستشري بالكنيسة، بل والدعوة إلى معاداة رجال الدين وانتقاد بعض الطقوس النصرانية، ومن ذلك مثلاً قيام أحد رجال الدين في جامعة أكسفورد في بريطانيا في هذه الفترة بحملة ضد بعض العقائد النصرانية حيث كان له أتباع ومؤيدون، وكان من أقواله: إنه ليس ثمة ما هو أشبه بالوثنية من القربان عند المذبح[٢]. ورجل آخر يدعى أبلار في الفترة نفسها نحى منحى عقلياً في تفسير بعض المعتقدات النصرانية، وكان له أتباع ومؤيدون الأمر الذي أغضب رجال الكنيسة في عصره حتى كفروه[٣]. وكان قد ألف كتاباً عن التثليث خالف فيه الاعتقاد السائد في عصره بيَّن في مقدمته أنه كتبه لطلابه قائلاً: لأنهم كانوا على الدوام يبحثون عن المعقول وعن الشروح الفلسفية ويسألون عما يستطيعون فهمه من الأسباب لا عن الألفاظ دون غيرها، ويقولون: إن من العبث أن ينطق بألفاظ لا يستطيع العقل تتبعها، وأنه لا شيء يمكن تصديقه إلا إذا أمكن فهمه أولاً، إن من أسخف الأشياء أن يعظ إنسان غيره بشيء، لا يستطيع هو نفسه أن يفهمه ولا يستطيع من يسعى لتعليمهم أن يفهموه[٤]. وقد أثار صاحب قصة الحضارة إلى كثرة المشككين في هذه الفترة في صحة بعض المعتقدات الكنسية وطقوس الديانة النصرانية وأن ذلك مردّه بشكل كبير إلى تأثير ما ترجم من الكتب العربية إلى اللغات الأوروبية[٥]. وقال أيضاً في موضع آخر عن ذلك: . . ولقد لاحظنا من قبل وجود نزعة عدم الإيمان بين أقلية ضئيلة من سكان أوروبا وزادت هذه الأقلية في القرن الثالث عشر على أثر اتصال الأوروبيين بالمسلمين عن طريق الحروب الصليبية وتراجم الكتب العربية، ولما تبين الأوروبيون وجود دين عظيم أخرج رجالاً عظاماً مثل صلاح الدين . . . كان ذلك في حد ذاته كشفاً اضطربت له نفوسهم[٦]. وإشارة إلى شدة ضعف الكنيسة وانحسار نفوذها في

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٨٣).
(٢) قصة الحضارة (٤/ ١٠٥).
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٨٣).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٧٨٣).
(٥) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٨٤).
(٦) المصدر نفسه (٢/ ٧٨٦).

المجتمع الأوروبي بعد الحروب الصليبية قال أحد الكتاب الغربيين: . . لقد فشل البابا نقولا في إثارة الغرب بعد سقوط طرابلس، كما أنه كان بالغ العجز بعد الكارثة الكبرى التي حلت بعكا[١]. وبطبيعة الحال فإن هذا العجز راجع إلى اضمحلال مكانة الكنيسة ورجال الدين لدى طبقات المجتمع الأوروبي مقارنة بالقوة التي كانت عليها الكنيسة عند بدايات الحروب الصليبية وتأثيرها البالغ في حشد مختلف قوى المجتمع الأوروبي ضد المسلمين[٢].

أهم الدروس والعبر والفوائد من دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية:

كانت هذه الفترة من تاريخ الأمة فيها الكثير من الدروس والعبر والتي يمكننا أن نستفيد منها في واقعنا المعاصر ونجملها في النقاط الآتية:

١ ـ وجوب الحذر من كيد أعداء الإسلام في كل زمان ومكان وإن اختلفت الوسائل وتنوعت الأساليب.

٢ ـ أهمية العلماء في نهوض الأمة ووجوب الدعوة إلى الله على بصيرة.

٣ ـ أهمية العمل الدؤوب وعدم استعجال النتائج خاصة في المجال الدعوي.

٤ ـ إن المقاومة الهادئة للغزاة على منهج سليم أساس النجاح والانتصار على الأعداء وتحصين الصف الداخلي.

٥ ـ للأقليات الإسلامية في ديار الغرب رسالة هامة، ولذلك وجب الاهتمام بها لتحقيق الأهداف المرجوة على المدى الطويل.

٦ ـ إن بقاء المسلمين في أوطانهم وعدم تركها أمام زحف العدو من أهم أسباب بقاء الإسلام فيها ومن ثم رحيل العدو منها.

٧ ـ إن التصميم على المطالبة بالحق وعدم التنازل عنه حتى في حالات الضعف من أهم أسباب تحصيله.

٨ ـ أهمية تأليف الكتب العلمية لإحياء الأمة وتقرير العقيدة، وبيان السُّنة، وإبراز محاسن الإسلام وإبطال شبهات الأعداء حوله بمختلف اللغات.

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية (٣/ ٧٢١).

(٢) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٨٥).

٩ - ضرورة إعداد المتخصصين بمعرفة شبهات الأعداء حول الإسلام وأساليبهم وطرق الرد عليهم وتعميم الثقافة الإسلامية.

١٠ - أهمية التزام المسلمين بأحكام دينهم وأثر ذلك في نشر الإسلام وقبوله لدى الآخرين.

١١ - خطورة الاختلاف والتناحر على الأمة وأثر الوحدة في عزتها وقوتها.

١٢ - عدم القنوط واليأس مهما كبرت الرزايا وكثرت الفتن ومن أراد التوسع في هذه الدروس والعبر والفوائد والجدل الثقافي بين المسلمين والنصارى في عهد الحروب الصليبية، فليراجع الكتاب القيم للدكتور سليمان بن عبد اللّه بن صالح الرومي بعنوان دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية[١].

ونحب أن نؤكد أنه في الوقت الذي كانت تجري فيه رحى المعارك الحربية بين المسلمين والصليبيين، كان هناك معارك أخرى بين الطرفين في صورة السجال الديني والجدل الثقافي والردود المتبادلة ومحاولة كل طرف إثبات أفضلية معتقده الديني، وقد برز في هذا الجدال والسجال أعلام وقادة من أشهرهم القرطبي والخزرجي والقرافي، وغيرهم، فدافعوا عن ثقافة الأمة وعقيدتها وخلّد اللّه ذكر مساعيهم وأعمالهم الحضارية الرائعة التي لا تزال آثارها إلى يومنا هذا.

سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك

وأتوب إليك وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٢/ ٧٨٩ إلى ٨١٨).

المؤلف في سطور

- ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م).

- حصل على درجة الإجازة العالية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة بتقدير ممتاز. وكان ترتيبه الأول على دفعته عام (١٤١٣هـ/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٢/ ١٩٩٣م).

- نال درجة الماجستير من جامعة أم درمان الإسلامية في السودان عام ١٩٩٩م وكانت الرسالة العلمية: في الماجستير: الوسطية في القرآن الكريم، وأما الدكتوراه فكانت؛ فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم.

- البريد الإلكتروني abumohamed2@maktoob.com

كتب صدرت للمؤلف:

١ - السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.

٢ - سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

٣ - سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه شخصيته وعصره.

٤ - سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه شخصيته وعصره.

٥ - سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه شخصيته وعصره.

٦ - سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب. شخصيته وعصره.

٧ - الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.

٨ - فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم.

٩ - تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.

١٠ - تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.

١١ - عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.

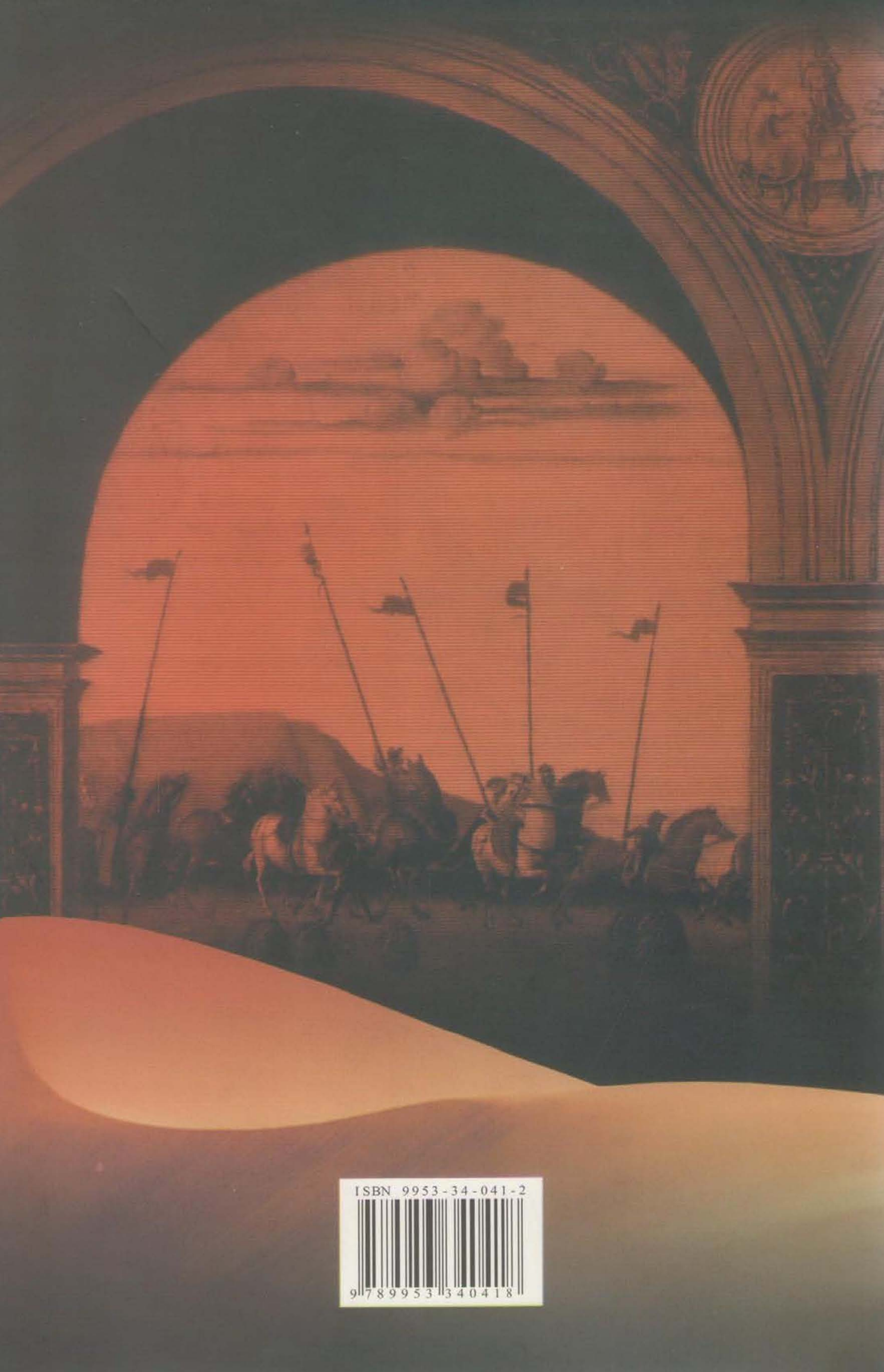
١٢ ـ الوسطية في القرآن الكريم.
١٣ ـ الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.
١٤ ـ معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.
١٥ ـ عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.
١٦ ـ خلافة عبد اللّه بن الزبير.
١٧ ـ عصر الدولة الزنكية.
١٨ ـ عماد الدين زنكي.
١٩ ـ نور الدين زنكي.
٢٠ ـ دولة السلاجقة.
٢١ ـ الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.
٢٢ ـ الشيخ عبد القادر الجيلاني.
٢٣ ـ الشيخ عمر بن المختار.
٢٤ ـ عبد الملك بن مروان بنوه.
٢٥ ـ فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السُّنة والجماعة.
٢٦ ـ حقيقة الخلاف بين الصحابة.
٢٧ ـ وسطية القرآن في العقائد.
٢٨ ـ فتنة مقتل عثمان.
٢٩ ـ السلطان عبد الحميد الثاني.
٣٠ ـ دولة المرابطين.
٣١ ـ دولة الموحدين.
٣٢ ـ عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.
٣٣ ـ الدولة الفاطمية.
٣٤ ـ حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.
٣٥ ـ صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس.

٣٦ - إستراتيجية شاملة لمناصرة الرسول ﷺ دروس مستفادة من الحروب الصليبية.

٣٧ - الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.

٣٨ - الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.

فهرس المحتويات



ISBN 9953-34-041-2
9 789953 340418